المجلد الرابع عشر الجزء ٧ و ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تموز وآب سنة ١٩٣٦ م

الموافق ربيع الثاني و جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً

الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٢٥٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

« ٢٠٠ « السابعة الى الثانية عشرة «

في الخارج ٤٠٠ « الاولى الى السادسة «

« ٢٢٥ « السابعة الى الثالثة عشرة «

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

اغلاط المستشرقين

للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملي

١ · تمهيد

لا يجوز لأحد ان ينكر على المستشرقين مالهم علينا — نحن الناطقين بالضاد — من الفضل في نشر تصانيف الاقدمين من السلف وتعميم فوائدها · ولولا هؤلاء الرجال الأفاضل لفقد جانب عظيم من ثروتنا — أو لا اقل من أن ذياك الكنز كان يبقى دفيناً إلى هذا العهد من غير ان نستفيد منه فائدة طيبة لا نحن ولا اولادنا ·

والمستشرقون اذا نشروا كتاباً يتمسك به سائر ابناء الغرب من محبي تراث العرب وتالدهم · ويعتقدون في زملائهم العلم العالي والتحقيق البالغ ولا يسمعون لعربي إصلاح شيء لاولئك القوم · لا بل إن بعض ابناء هذا اللسان المبين ، ينسبون إلى المستشرقين كل تحقيق ، ويظنون أنهم اذا نطقوا بكلام او بحقيقة كان الامر في منتهى التحقيق ، ولا تعقيب عليه ولا استئناف ·

على اننا نرى في هذه النسبة المبالغة بل الغلو ، ونظن ان علم المستشرقين عرضة للنقد والتحقيق كسائر الناس · ولا بد من ان ينتقدوا الانتقاد الصحيح ليظهر الغثاء وينبذ ، ويبلغ الى صميم الحق فيتبع · ولقد وجدنا هنوات لا نغتفر لهؤلاء المستشرقين من جميع الامم ، وفي جميع التصانيف ، وما نشروه من الكتب ، ولا يمكننا أن نتعرض لجميع هفواتهم ، فهذا يدعونا إلى وضع سفر ضخم ، بل عدة أسفار ، على أن مالا يبلغ كله لا يترك جله · ونحن نذكر بعض الامثلة لتلك الهنوات أو الهفوات ، لكي لا نكون من الكاذبين في ماتذهب اليه ، ودونك بعض هذه الأوهام :

٢ فريتغ الالماني

لفريتغ المستشرق الالماني كتب كثيرة نشرها بالعربية ، ونقلها إلى اللاتينية ، أو إلى الالمانية ، ومن هذه المؤلفات معجمهُ الشهير وهو معجم عربي منقول الى اللاتيني . ولقد عثر فيه عثرات لا تُحصى . وكل عثرة تهتز لهـا الارض ومن عليها . ومن جملة ذلك ما ذكره في مادة (ب ي ب ك) قال : « بَيْبَن (وزان زينب) ضرب من الصفصاف عند أهل الاندلس ويسميه غيرهم باذَامك » وهذا كلامه باللاتينية dicta بَاذَمَك alūs Species salicis, Andalusūs قلنا والكلمة ليست في كتاب عربي ثقة . فمن أين أتى لنا بها ؟ — انهُ نقلها عن معجم غوليوس ولم يشر اليه بخلاف مألوف عادته ، اذ يذكر دائمًا المصدر الذي يعتمد عليه . فرجعنا الى غوليوس فاذا به يذكر هذا الكلام عينهُ وينسبه إلى ابن البيطار . فبحثنا في مؤلف هذا النباتي فوجدناه يقول في مادة باذامك : « قيل انه الشجر المعروف عندنا بالاندلس بالبنين وهو صنف من الصفصاف . . . » فالطبعة المصرية المشهورة ذكرت الصفصاف باسم (البنين) . ولا جرم ان هذه اللفظة غير صحيحة . فقرأها غوليوس « البَيْبَن » فنقلها عنه فريتغ وعنهُ نقل محيط المحيط البيبن كزينب فقال : « البيبن ، الباذامك » ولم يزد على هذا القدر . واذا أردت ان تعرف ما هو الباذامك باحثًا عنهـا في محيط المحيط فانك لا ترى لها أثرًا فيه في مادة (ب ا ذ ا م ك) ولا في مادة (ب ذ م ك) فتبقى جاهلا لما تقرأ . اما فريتغ فقد ذكر باذانك وبادامك بالمعجم وبالمهملة وقال : هو الصفصاف ويسميه الاندلسيون بَيْبَنا . فانظر الى ما في محيط المحيط من الخلل والقصور . وقد بحثنا في ما عندنا من معاجم اللغة الاسبانية عن كلمة (بَيْبَن) فلم نجد لها اثرًا . فسألنا أحد الآباء الكرمليين الاسبانيين عما يعني عندهم الصفصاف فقال : (بِنْبر) وزان جعفر . فقلت له اكتبها فكتبها هكذا VIMBRE (١) فعرفنا منه ان

(١) اغلب الاسبانيين العصريين يقولون اليوم MIMBRE وكلتا الكلمتين ترى مدونة في معاجمهم ويقابلها في الفرنسية SAULE NAIN اي الصفصاف القزم . و Osier اي الوشيج وقد اخطأ الدكتور لكلير حين كتب في ترجمته في ملحق العدد ٢٣٧

الاسبانيين كثيراً ما ينطقون بالحرف V باء وفاء على المبادلة ومنه بلنسية وهي بلسانهم VALENTIA ووادي الكبير وبلسانهم GUADAL QUIVIR والوادي الابيض وبلسانهم GUADALAVIAR والبركان VOLCAN وبليش VELEZ والبندقية VENETIA والبيرة ELVIRA وقلعة رباح CALATRAVA إلى غيرها من الكلم التي لا تحصى . اذن الكلمة المنشودة والصحيحة هي (بَنْبَر) فصحفت (بَيْبَن) في معجم غوليوس وفريتغ والبستاني الاكبر (١) ولم يذكرها الشرتوني ولا صاحب البستان . وصحفها طابع المفردات لابن البيطار بصورة (البنين) كأنها جمع (ابن) وصحفت ايضاً في بعض النسخ الخطية : « تنّس ، وبتين ، وتبين ، وبنير ، ونبير ، ونبيز ، وبنيز ، إلى مالا يحصى عدة . والصواب ماذكرناه وعليه الاعتماد ، فليحفظ .

وذكر فريتغ في معجمه في مادة (ب و ل) البالة فقال : « المُرُّ (كذا بهذا الضبط اي كقفل) الذي يستعمل به في أرض الزرع » والظاهر انه لم يفهم العبارة ، والصواب المَرّ بفتح الميم ، ويقابله بالفرنسية PELLE أو BÈCHE او نحو ذلك . ولو فهم ما كتب لنقل الكلام إلى اللاتينية ، فلم يتعرض لذلك .

« ينبر » بياء مثناة من تحت في الاولى . ووهم ثانية حين كتب في ملحق العدد ٨١٥ Innbra وبالعربية ينبر . والصواب ما اوردناه لك وحققناه من آبائنا الاسبانيين الكرمليين في بغداد .

وقد ذكر لكلير بين تصحيفات (بيبر) في ملحق كلمة خلاف ، العدد ٨١٥ « بمن ، وبس » فتأمل .

(١) نشر الدكتور سليم شمعون وجبران النحاس كراسة سمياها «تنبيهات اليازجي على محيط المحيط » فطبعا ما يتعلق بذلك المعجم الاغلاط التي وردت في باب الهمزة . فطالعناها فاذا هي فارغة مما هنالك من الاغلاط الشائنة المشحون بها محيط المحيط . ونحن نجل الشيخ اليازجي عن ايراد تلك الاقوال الطويلة الفارغة لتأييد صحة كلمة واحدة والسكوت عن اوهام شنيعة كثيرة وردت في باب الهمزة . فالمصحح في تلك الكراسة هو دون العُشر ، ومن الغريب انهما سكتا عن هفوات عظيمة كثيرة تصغر عندها ما اورداه من هذا القبيل .

وذكر في مادة (ب ا لا و ن) ما هذا نقله بحروفه الاعجمية : « Secundus dies hebdomadis,-Gol. ad Alferg p. 17 ومعنى ذلك بلساننا « هو يوم الاثنين من الاسبوع نقل ذلك غوليوس عن الفرغاني ص ١٧ » فراجعنا هذا الكتاب فاذا فيه هذان البيتان :

اؤمل ان اعيش وان يومي باول او بِأَهْوَنَ او جبار
أو التالي دُبار فان افته مؤنس أو عروبة او شبار

فقرأ غوليوس بأهوَن المركبة من باء الجر و « أهون » كأوحد وهو يوم الاثنين عند الاقدمين كلمة واحدة وزان ناقوس فقال « باهون » فادخل في لغتنا كلمة لم يكن للعرب فيها عهد ·

٣ غوليوس الالماني

هذا اللغوي الالماني كثير السقطات والعثرات · وقد اكتفينا بما نقلناه عنه في نقدنا لمعجم فريتغ فلا حاجة لنا الى الاطالة ·

٤ الدكتور لكلير ناقل مفردات ابن البيطار الى الفرنسية Dr. LECLERC

في المفردات في مادة صفراغون (٢ : ٨٥ من النسخة المطبوعة في مصر) : اسم طائر يسمى بالافرنسية هكذا· وهو المسمى طرغلوديس وسنذكره في الطاء · اه · — ونقل اسم هذا الطائر بقوله Motacilla وقال في التعليقة التي علقها على الترجمة المذكورة ما هذا معناه بلساننا : « الكلام هنا على Phinis الذي ذكره ديسقوريدس وهو المعروف عند اللاتين باسم Ossifragus الذي نذكره بعد ذلك باسم طرغلوديس »

فهذا كلام فيه خبط وخلط · فالطرغلوديس طويئر معروف عندهم باسم Troglodyte واما الذي سماه فينس كزبرج باليونانية فهو الذي سماه العرب فيشة المصحف عن فينة اليونانية بحذف علامة الاعراب من الاصل · وهو نوع من النسر سماه العرب باسماء مختلفة · وهو المسمى باللاتينية Ossifragus بالتذكير على ما قاله بلنيوس Ossifraga بالتانيث على ما قاله لكريتيوس Lucretius وقد كرر هذا الغلط الدكتور لكلير في مادة طرغلوديس · — ولما كان الدكتور المذكور بنى قصوراً شاهقة على كلام ابن

البيطار فنحن ننقل هنا ما قاله في هذا الموضوع :

« طرغلوذيس (كذا ورد في النسخة المطبوعة اي بالذال المعجمة) الرازي في كتاب الكافي : انه عصفور صغير اصغر من جميع العصافير ، اكثر ما يظهر في الشتاء . لونه متوسط بين لون الرماد والصفرة . وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض ، له حركات متواترة وهو دائم الصفير قليل الطيران له خاصية عجيبة في تفتيت الحصاة المتكونة في المثانة ومنع ما لم يتكون . — الرازي في الحاوي : انه يسمى بالافرنجية صفراغون (كذا بغينين معجمتين والصواب صفراغون بفاء بعد الصاد) . — ديسقوريدس في الثانية : هو نوع من الطير يسمى بالافرنجية صفراغون . اذا شرب من جوفه (كذا) قليل فتت الحصاة » اه .

فنقل الدكتور لكلير صفراغون بقوله Ossifrage ثم علق على قول ابن البيطار بالافرنجية ما هذا ترجمته الى لغتنا : « إنه لأمر جدير بالملاحظة قوله « بالافرنجيـة » ونص ديسقوريدس اليوناني يقول « بالرومانية Pwpraïsti . وقد أعلمنا ابن جلجل ان كتاب ديسقوريدس نقل الى العربية في خلافة المتوكل اي في منتصف المائة التاسعة للميلاد وكان ذلك بُعيد احكام عرى الروابط بين شرلمان وهرون الرشيد . فلم تكن يومئذ رومية في رومية بل في مملكة الافرنج . فهنا اول شاهد على ظهور كلمة«الافرنج» في الآداب العربية بدون ادنى ريب . وفي فصل المشمش نرى شـاهداً آخر من هذا القبيل . وقد رأينا ان Motacilla troglodytes هو الذُعَرة في الرقم المعلم ١٤٠١ . فهذا هو Phinis المذكور في ديسقوريدس . » اه كلام الدكتور لكلير .

قلنا : لما ذكر ابن البيطار اللغة « الافرنجية » لم يرد بها اللغة الفرنسية لعدم وجودها في عهد شرلمان وبُعَيده ، انما كانت اللغة اللاتينية في انحطاطها . واللغة التودسكيـة كما ذكر هذه الحقيقة المؤرخون . فالمراد باللغة الافرنجية هذه اللغة اللاتينية المخلوطة بغيرها من اللغات ولا سيما التودسكية وغيرها والتي من جميعها نشأت اللغة الفرنسية بعد ذلك الى هذا الحين .

فالكلمة اللاتينية هي Sparganium وهو اسم الطرغلوذيس او الصفراغون والكلمة من اصل يوناني لكن اليونانيين لم يستعملوها بمعنى هذا الطويئر بخلاف اللاتين . ومعنى

الكلمة « ذو الجدة » او « الجديدة » تصغير الجدة المذكورة ويراد بها ما نريد من معنى الشريط . وذلك خطط على ظهره وذنبه كأنها أشارير او جدد او قدد .

اما الاسفراغون Ossifragns وهو غير الصفراغون (وزان افلاطون كما قال في برهان قاطع ، وليس صفراغون بكسر الاول كما ضبطها الدكتور لكلير في مظنة المادة وفي مادة طرغلوذيس ايضاً) قال التبريزي الحيدرآبادي ما معناه : « صفراغون على وزن افلاطون ، بالغين المعجمة (قبل الواو) : لفظ يوناني هو اسم طويئر بجثة العصفور اسمه بالعربية « عصفور الشوك » ويسمى في غير هذه الديار : طائر الشوك وبلبل الشوك ويسمى في هذه الربوع « بوقليجة بلبل » بسبب تغريده . ويدعى في مواطن اخرى عصفور الشوك « والطائر المغرد » وبعضهم سموا صفراغوناً الطائر الذي هو من جنس الجوارح المعروف باسم « چاقر طغان » اي الصقر اه . ومن هذا الكلام يتبين امران: الاول انهم ارادوا بالصفراغون طائرين الواحد صغير والثاني كبير . والصغير هو الطرغلوذس او عصفور الشوك ، وبلسان العلم Troglodytes europens وبالفرنسية Troglodyte ordinaire وبالفرنسية العامية Térichot و Fourre buisson . واما الثاني الكبير فهو البُلَح وله اسماء كثيرة في العربية منها الهُماء والهُماي، والاغثر، والقَيِنة (واصلها القينة) والبُلت، والأبغث ، وكاسر العظام ، والمكاَّفة ، والاغثر والسَّتل الى غيرها ، فيكون الصفراغون : الاسفراغون نفسه وقول الدكتور لكلير هو Motacilla troglodytes للصغير يكاد يكون صحيحاً . فليحفظ كل ذلك (١)

---

(١) ليسلم كلام ابن البيطار من الخطل ويصح كلامه يجب ان تصاغ عبارته هذه الصيغة في مادة صفراغون : (صفراغون : اسم مشترك بين طائر وطويئر ، فالطويئر هو المسمى ايضا طرغلوديس ، والطائر هو المسمى ايضا بالافرنجية صفراغون اي البلح وهو كاسر العظام Ossifragus — وفي مادة طرغلوذيس يقال « الرازي في الحاوي: انه المسمى بالافرنجية صفراغون وهو غير الصفراغون الذي يقع على البلح بل هو الطويئر المعروف باسم طرغلوذيس ايضا أي Sparganium ، ديسقوريدس في الثانية هو نوع من الطير يسمى بالافرنجية صفراغون اي SPARGANIUM اذا أخذ شيء من جوفه فتت الحصاة »

ونقل الدكتور لكلير المذكور في العدد ٢٢٦٢ ما قاله ابن البيطار في ممقاق ، إلا أنه كتب الكلمة ممقان بنون في الآخر كما جاءت مطبوعة في النسخة المصرية إذ جاء فيها ما هذا نقله بأوهامه : (ممقان ، أبو حنيفة : هو حبٌّ يشبه حب القطن يكون في جماعة (كذا) . كالخشخاش ، إلا أنهـا صلبة ذات شُعب نقلى وتؤكل للجماع وتكون في جبال بلغار (كذا) » اه — والصواب في جماعة : جماحة ، وبالفرنسية Capsule ، وممقان صوابها ممقاق بقافين كما قاله ابن سيده نقلاً عن الليث في كتاب العين الموجود عندنا منه نسخة خطية ؛ وليس جبال بلغار هي الصحيحة ولا جبال بعلم (كجعفر) كما في لكلير ؛ إنما الصواب هو : بَلْعمّ بتشديد الميم كما في اللسان وتاج العروس ، وبلعمّ هم بنو العم وهم من العرب ومنازلهم الأهواز وجبالها ، وليس المراد بهم هنا بلعم التي في بلاد الروم ، إذ العرب لم تعرف يومئذ ألفاظهم ولا تعبأ بها ، ولا سيما لأن أهالي ديار الروم لا تنطق بالعين ، ولو نقلوا بعض الكلم عن لسان العرب .

وقد علق لكلير على شرح كلمة ممقان ما يأتي معناه : (نجهل هذا الحب ، وبَلعم — وضبطها كجعفر — بالأحرف العربية وشكلاتها كما ضبطناها هنا — على ما قاله صاحب مراصد الاطلاع : مدينة في بلاد الروم . وكتبها فريتغ : ممقاق . وصنتهيمر Sontheimer ممقال) اه كلام الدكتور لكلير . فترى فيه ما ترى من الخطأ .

وإذا كان بين المستشرقين من يلحن في ضبط الألفاظ ، فإنك لا تجد في ذلك للدكتور لكلير مثيلاً ؛ فإن الظمخ مثلاً وهي بالظاء المشالة المعجمة المفتوحة الميم والمكسورة الخاء المعجمة ، ترى عنده في العدد ٥٣٩ : الطمح بالطاء المهملة المفتوحة والميم المفتوحة وفي الآخر حاء مهملة ، وفي العدد ٥٤٠ و ٥٤١ و ٤٥٢ يضبط الجوز المفتوحة الجيم : الجُوْز كقفل ، ويضبط الجَوْهر وهي مشهورة بفتح الجيم : الجُوْهر بضمها ، ويضبط كذلك الجولق ، ويضبط جبل بارِمّا وهو بفتح الباء وكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وفي الآخر ألف قائمة : بارْما ، ويكتبها Barma وهذا الجبل لا وجود له ، إنما الموجود ما ذكرناه وهو المعروف اليوم عندنا في العراق باسم جبل حمرين Humrin ؛ ونحن لا نريد أن نتتبع الدكتور لكلير في جميع

مزالقه فإنها لا تكاد تحصى ، ويجب أن يعاد النظر في كتابه من أوله الى آخره لتُنقى منه ويُنتقى منها .

٥ كليمان هوار Clément Huart الفرنسي

وضع الفرنسي كليمان هوار عدة كتب ونقل من التركية والعربية مؤلفات جمة ، وهو أيضاً كثير العثرات والسقطات ، ونحن لا نريد أن نذكرها كلها ، فهذا صعب ويستلزم وقتاً جليلاً ، إلا أننا نذكر ما جاء في نقله كتاب البدء والتاريخ لمطهر ابن طاهر المقدسي ، فقد جاء مثلاً في الجزء السادس في الصفحة ٩٣ ما هذا صورته : « وكان (أبو مسلم) لا يطأ امرأة منهن في السنة إلا مرةً واحدةً ويقول : يكفي الانسان أن يختن نفسه في السنة » هكذا روى الرواية أي بقوله (يختن نفسه) بلا أدنى تصحيح ، وهكذا نقلها الى الفرنسية إذ قال في ص 93 من النص الفرنسي ما هذا عادته بحروفه :

[Il suffit à l'homme, disait-il, de se circoncire lui-même une fois l'an]

فهذا كلام لا يتفق مع ما سبق ولا مع ما يلحق ، فلا جرم أن هناك خطأ من الناسخ ، ويجب أن يكون هكذا : (يكفي الانسان أن يُجنَّ في السنة مرةً ، أو أن يُجنن نفسه في السنة مرة ، أو : أن يُجنّ نفسه مرةً واحدة) الى ما ضاهى هذا التعبير ، وأما نقله (أن يختن نفسه) فمن المضحكات ؛ إذ كيف يختن نفسه في السنة مرة وهو لا يجد في جلده مادة لعمله هذا في كل سنة ؟ أفليس ذلك من أقوال المحال ؟ — فهذا ما بلغ اليه علم هذا المستشرق وهو في مقدمة المستشرقين الفرنسيين .

وقال في الصفحة التالية أي في ص ٩٤ : (وكان (أي أبو مسلم) أقل الناس طمعاً وأكثرهم طعاماً ، يُخبز في مطبخه كل يوم ثلاثة آلاف مآزف) كذا بهذا التعبير . وقال في الفرنسية ما هذا نقله بكلمه في ص 93 من النص الأفرنجي :

[Il avait peu d'avidité, mais il étais grand mangeur. Chaque jour, dans sa cuisine, on faisais cuire trois mille pains (?) appelés ma'âzif.]

وفي مختصر الدول لابن العبري المطبوع في بيروت (١) ماهذا نصابه : (وكان من أشد الناس طمعاً وأكثرهم طعاماً يُخبز كل يوم في مطبخه ثلاثة آلاف قرف) ، فبين كلام المؤلفين فرق بين ؛ فالأول يقول : أقل الناس طمعاً ؛ والثاني يقول : أشد الناس طمعاً ، ولا جرم أن المصيب هو الأول ؛ لأنه لو كان أبو مسلم أشد الناس طمعاً لما أطعم الخلق ذلك الطعام الوافر . وفي قول الأول ثلاثة آلاف مآزف خطأ ظاهر ، فكان يجب أن يقول : ثلاثة آلاف من المآزف ، أو ثلاثة آلاف مازف ؛ لكن لا معنىً للمأزف ولا للمآزف يدل على الخبز ، فالغلط ظاهر من الناسخ ؛ وقول الثاني ثلاثة آلاف قرف مبالغة لا يقبلها العقل ، لأن القرف في لغتنا وعاء يدبغ بقشور الرمان يُجعل فيه لحم مطبوخ بتوابل ، والجمع قروف ، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن هناك رجلاً يستطيع أن يهيئ كل يوم ثلاثة آلاف قرف ليطعمها الناس لما في هذا العمل من النفقة ووجوب كثرة الرجال وإيجاد مثل تلك الأوعية كل يوم حتى يتمكن من طبخها وإطعامها الناس ، فلا جرم أن في الأصل المنسوخ عنه خطأ ظاهراً ، ونزيد على ذلك أن القرف لا يخبز بل يطبخ ، فوجب إذن أن يكون هناك لفظ يقرب من (قرف) ويعني الخبز ، وهذا اللفظ هو (قُرص) بقاف مضمومة يليها راء ساكنة

(١) وقف على طبع هذا الكتاب الأب أنطون صالحاني اليسوعي وقد فاته أغلاط كثيرة هي أغلاط كلمات مصحفة لا غير ، إلا أن تلك الكلمات شوّهت المعنى تشويهاً شائناً وهو ضعيف البصر في ردّ الاعلام الى صحيحها . فقد جاء مثلاً في ص ١٩ في نحو آخر الصفحة هذا الكلام : « فلما جدُّوا في ذلك بأرض شنعار وهي السامرة » فقال في الحاشية : « وفي نسخة : سامرة » ولم يزد على هذا القدر . والصواب ان يقول : بأرض سنعار (بالسين المهملة لابالشين المعجمة لانها مركبة من « سِن » أي القمر . « وعار » وهي مقلوب « أرعا » أي أرض . فيكون معناها « أرض أو دبار القمر لأن القمر كان يعبد فيها . والغلط الثاني هو السامرة . والصواب سامَرّا التي يكتبها بعضهم سامرة أو ساء من رأى الى غيرها من الصور وقد ذكرناها في مقالة لنا في لغة العرب ٦ : ٧٢١ فلتراجع للاهتداء الى الحق والصواب . ومثل هذا الوهم شيءٌ كثير .

وفي الآخر صاد . قال في التاج : القرصة الخبزة ويقال في الصغيرة جداً كالقرص ، والتذكير أكثر ؛ وجمع القرص قرصة وأقراص مثل : غصن وغصنة وأغصان ، وجمع القُرْصة : قُرَص كغُرْفة وغُرَف وفي الحديث : فأتى بثلاثة قِرَصة من شعير . » انتهى

وقد قلنا إن المآزف لا تدل على أي نوع من الخبز كان ، والارجح ان الاصل : (ثلاثة آلاف من الموافي) والموافي جمع ميفي ، والميفي : إرة توسع خبز الملة . وقد يراد بهـا خبز الملة نفسه من باب تسمية الشيء باسم مكانه أو ظرفه او محله كما هو معروف ، فيكون معناه انه كان يخبز في مطبخه كل يوم ثلاثة آلاف خبزة من خبز المَلَّة وهي الرماد الحار ، وهذا أمر غير بعيد بل معقول .

بقي هناك كليمان هوار نقل الى الفرنسية قول المؤلف : (... وكان أكثرهم طعاماً) بما معناه (انه اكولاً) ، وهو غريب ، والمعنى الظاهر هو انه كان كثير إطعام الناس . فلم يفهم العبارة ، فاذا كانت هذه العبارة الصغيرة على ظاهر معناها لم يفهمها فكيف يفهم سائر التعابير العويصة التي تحتاج الى اعمال نظر وفكر ؟ مع أنه لو تدبّر قليلاً لانتبه إلى المراد بما يأتي من سياق الكلام ، فانه كان يعد تلك المعدات من الأكل لا لنفسه بل للناس الذين كانوا يأتون اليه . فهذا علم اصحابنا المستشرقين يغرقون في قطرة لا غير .

وقال كليمان هوار في ص ٧٤ من الجزء المذكور من كتاب البدء والتاريخ : « وأمر ببناء حائط سمرقند (والباني أبو مسلم) ليكون حصناً لهم إن دحمهم عدو » — كذا قال : (دحمهم) ونقلها إلى الفرنسية بقوله :

Il ordonna de construire à Samarquand un mur d'enceinte qui pût servir à ses habitants de citadelle si un ennemi (survenait à l'improviste.)

فالنقل صحيح لكن النص العربي مغلوط فيه ، والصواب أن يقول : (دهمهم عدو) بهاء بعد الدال ، لأن معنى دحمه بالحاء : دفعه شديداً ، وأما دهمه بالهاء فمعناه : غشيه وهو المطلوب هنا .

وورد في الصفحة ٦٣ من الكتاب المذكور ما هذا نقله : « وكثرت جموعه وهو

يظهر لكل واحد منهما أنه معه ، ويعده النصر على صاحبه ؛ فلما قوي أمره وتكاشف بؤسه (هابه الفريقان) فلم يفهم العبارة ونقلها الى الفرنسية هكذا :

Quand sa position fut devenue très forte, et que le mal qu'il pouvait causer se montra à découvert, les deux partis le craignirent.

فترجم الى لغته تلك العبارة مع ما فيها من ظاهر الفساد والتدافع ، زد على ذلك ان (تكاشف) لم يرد في لغة الفصحاء بالمعنى الذي يشير اليه في الترجمة الفرنسية ، والصواب أن يقال هنا : « فلما قوي أمره وتكاثف بأسه » أي واجتمعت قوته وتضام بعضها الى بعض ·

وفي هذا الكتاب شيء لا يحصى من هذا القبيل ، وجاءت ترجمته وتابعه لقراءته المغلوط فيها ، والظاهر أن الرجل لم يكن راسخ القدم في العربية ، فهو كثير العثرات والزلات فيما تولى طبعه أو ترجمته الى لغته ، وهذا أعظم دليل على أن المستشرقين يحتاجون الى عربي يصحح لهم مطبوعاتهم ويصلح ترجماتهم ·

٦ م · ج · دي خويه M. J. de Goeje

دي خويه أرسخ المستشرقين قدماً في اللغة العربية وأعلاهم كعباً وأوفرهم اطلاعاً على لغتنا المبينة ، ومع ذلك فقد فاتته بعض أمور ؛ فقد جاء مثلاً في كتاب فتوح البلدان للامام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري وقد تولى طبعه في ليدن في سنة ١٨٦٦ في ص ٨ ما نصه : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم من الشجر مابين أحد الى عَير وأذن لصاحب الناضح في الغضا وما يصلح به محارثه وعَربه » · هكذا ضبطها بتحريك العين المهملة والراء والباء وفي الآخر هاء مضمومة · وفسرها في المعجم الذي وضعه في آخر الكتاب ماهذا معناه بالعربية (وكلامه باللاتينية) « العرب بالتحريك جمع عَرَبة وهي المركبة ، ثم قال : هذا ما ورد في النسخة الاولى التي اعتمدت عليها وفي النسخة الثانية : (غَرْبة) بغين معجمة مفتوحة يليها راء مهملة ساكنة · والعمدة على النسخة الأولى يتلوها قوله (محارثه) وهو جمع أيضاً اه كلام الشارح أو الناشر · — قلنا : إن الناطقين بالضاد لم يعرفوا في عهد البلاذري (المتوفى في سنة ٢٤٧ للهجرة أو ٨٦١ للميلاد) كلمة العربة بمعنى المركبة ، والرواية الصحيحة في

رواية النسخة الثانية أي غَرْبه والمراد بالغرب الراوية والدلو العظيمة التي يستقى بها من البئر لسقي الأراضي المزروعة ، ويكون لكل صاحب أرض غرب أو أكثر وعدة محارث ·

ونشر دي خويه خزانة كتب البلدان لجماعة من مصنفي العرب ، ومن الجملة تولى نشر كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للبَشّاري كما يسميه العرب ، أو للمقدسي كما يدعوه الأفرنج · وفي هذا السفر أوضاع علمية كثيرة أصاب الناشر في بعضها وأخطأ في كثير منها · من ذلك كلامه على أنواع التمر في ص ١٣٠ فقال : « المليات والهيروم واليعضوض والمنحدر والجيشوان (الخيشوان في نسخة أخرى) والسهريز والغراني » · وصوابها : « المليات (بالباء الموحدة التحتية) والهيرون (بنون في الآخر) والتعضوض (بتاء مثناة من فوق لا من تحت) والجَيْسُوان (١) · (وهي بجيم مفتوحة في الاول وياء مثناة من تحت فسين مهملة مضمومة فواو فالف فنون) وقد صحف جميع الكتاب واللغويين هذه الكلمة فجاءت تختلف بين جيسران (بالراء) وجيشران (بالشين المعجمة والراء) والخَيْشران والخَيْشوان · وكلها خطأ · والصحيح ما أوردناه · والشهريز بالشين المعجمة وقد يقال بالمهملة أيضاً — والغواني وهو المسمى اليوم عندنا بالبرْبن وزان جعفر وأصله من الفارسية « بهارْ بانو » أي الغانية أو الغواني وهذه من التعريب المعنوي ·

وفي ص ١٣١ ذكر بعض أنواع السمك في دجلة وعدّد بينها : « البمن والساح والدباقة والزماين · البرسوح والاسبول والجواف والزجر (ذكر الزجر مرتين: مرة بعد الشيم ومرة بعد العين لا يمكن أن يذكر المؤلف النوع الواحد مرتين وفي كل مرة يجعله ضرباً غير الضرب الاول · والصواب أن الزجر الاولى صحيحة والزجر الثانية هي الذكر بذال معجمة فكاف فراء ·) والسحدان (؟ الشحذان) المارماهي » · — والصواب

(١) في محيط المحيط في مادة (ج ي س ر) الجَيْسَرَان جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية ومضاة الذوائب اه· وفي التاج في مادة (ج ي س) والمصباح في مادة (ج س و) الجيسوان · فليحرر ما هناك من الخلل في اللفظ ·

في ذلك : اليَمَريّ والبَياح ، والمنقاء أو المنقار ، والرُمانيّ ، والترستوج ، ويقال فيه أيضاً الطرستوج ، والاسبور . (واليوم يسميه أهل البصرة الأصبور وزان العصفور وبصاد بدل السين) والجوَفي والذكر ، والسيْجان والمارماهيج ويسمى اليوم المرمريج وهو من الفارسية مارماهي .

وقد أصلحنا كل ذلك لان الكتب المصرية الناقلة ما في هذا السِفر الجليل وأشباهه نقلت هذه الاغلاط اعتماداً على علم المؤلف ووقوفه على مصطلحات السلف . وقد رأيت أن الجواد قد يكبو والسيف قد ينبو .

ونحن لانريد أن نكثر من هذه الشواهد فهي لاتكاد تحصى . وقد وجدنا مثل هذه الاوهام وأعظم منها في جميع مطبوعات المستشرقين . لكن الاتيان على ذكرها يحدو بنا الى وضع كتاب ضخم كثير المجلدات لنوفي البحث حقه . فاجتزأنا بما ذكرنا ليكون ذلك مثالاً يفهمنا أن المستشرقين لم يؤتوا فصل الخطاب في لغتنا ولاهم الحجة الثبت في لساننا . وليس ذلك سبة تلحقهم دون علمائنا فلادبائنا مثل هذه الأوهام أيضاً لتبقى العصمة لله وحده . وهو العليم الحكيم .

بغداد الأب انستاس ماري الكرملي



جميل صدقي الزهاوي



مولده ونسبه

وُلد جميل صدقي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م)؛ هذا ما أخبرني به الزهاوي نفسه وكتبه بقلمه أكثر من مرة. وبعدُ فلا محلَّ للرجم بالغيب — كما ذهب بعض الكتاب — في تقدير عمره بأكثر مما ينطق به هذا التأريخ المضبوط بالسنة والشهر واليوم، والذي حمل أولئك الكتاب على الخرص والتخمين ما كان يظهر على بنية الراحل من التتابع، وعلى صحيفة وجهه من سطور الشيخوخة المتراخية، مما يخيل للرائي أنه مشفٍ على التسعين، ونحن نرى ان هذه ظاهرة اسأرتها فيه الأوصاب التي كانت تنتابه من داء عصبي نشب فيه إبان الشباب ورافقه حتى الموت:

والموت آخر علةٍ يعتلها البدن العليل

وجميل هو ابن العلامة الشهير، الزهاوي الكبير، محمد فيضي، مفتي بغداد، واحد مشايخها الأفذاذ الذي تخرّج به خلق كثير من مشايخ العراق، وكان ينتمي الى أسرة عراقية عريقة بالمجد ترجع بنسبها الى خالد بن الوليد المخزومي.

دراسته

كانت مدرسة ابيه الزهاوي (١) الكبير في بغداد منتجعاً لروّاد المعرفة ، ومَعيناً عذباً لورّاد علوم الشريعة الإسلامية ، والآداب العربية ، زاخرة بالطلاب من مختلف انحاء العراق ؛ نبت جميل في ذلك الجو العلمي ، وتلقى علوم الدين والعربية في تلك المدرسة ، مترسماً آثار النابهين من اهل العلم في ذلك العهد ، وكان ذكيّ الفؤاد ، متوقد القريحة ، جامح العزيمة ، فتوصل بالمدة القصيرة الى ما لا يصل إليه اقرانه إلا في المدة الطويلة .

وكان ذا ميل خاص الى الأدب ، والتوسع في أصوله وفروعه ، حتى أنه حاول صوغ القريض وهو في سنّ المراهقة .

وكان قد حذق الفارسية والتركية زيادة على الكردية ، التي كانت إحدى لغتي ابويه ، ثم حبب إليه التحلي بالعلوم الكونية العصرية ، ولكنه لم يجد الطريق إليها نهجاً ، لأن هذه العلوم بطبيعة مزاجها العصري تتطلب دراسة منظمة زيادة على التضلع بلغة أوربية ، ولم تكن البيئة التي نبت فيها المترجم مساعفة للوصول الى تلك الغاية من هذه السبيل ، فما كان له بدٌّ من الرجوع الى الصحف الموقوتة والكتب العصرية التي كانت تنشر بالعربية أوالتركية ، يستفيءُ بنورها ويلتقط شتيت شذورها ، وكان حسن التصرف بما يحذقه من تلك المباحث ، ولقوة ثقته بنفسه ، واعتداده بمواهبه ، كان يعمد الى العويص منها ويناظر أهله فيه ، ويباحثهم حتى يُكوّن له رأياً خاصاً ينافح عنه ، ويناضل دونه ، خُذ — مثلاً — رأيه في الدافعة ، فإنه مع علمه بما يرتكن اليه موضوع الجاذبية من المقدمات الرياضية والحقائق الطبيعية ذهب فيه مذهباً خالف فيه جميع علماء هذا الشأن ، فهو يرى ان المادة لا تجذب المادة بل تدفعها ، فليس في الكون جذب وإنما هو دفع . ولشدة وثوقه بصحة رأيه هذا وضع فيه مؤلفاً خاصاً واخرجه للناس .

وله آراء كثيرة من هذا القبيل انفرد بها ، وقد اودع خلاصتها كتاباً اسماه :

---

(١) الزهاوي : نسبة الى (زهاو) قرية من اعمال كرمنشاه .

« المجمل مما ارى » نشره قبل وفاته ببضع سنين ، وفي شعره طائفة من آرائه مبثوثة هنا وهناك ، وهي اول ما يواجه الباحث في شعره ٠

الزهاوي الأديب

لا مراء في ان الزهاوي من افذاذ أدباء العصر ، في طليعة المجددين من آحاده ، والبارعين من افراده ، وقد وفرت له بيئته العلمية ومواهبه العقلية النادرة جميع عوامل التفوّق والنبوغ في هذا الشأن ، وفي الرجوع الى آثاره المنثورة ودواوين شعره المنشورة ما يغني عن الإطالة في تقريظه والإطناب في الثناء عليه ٠

وكان قد اطلعني على مجموع من الشعر اختاره من دواوين الشعراء وكتب الأدباء ، واسماه « عيون الشعر » فبهرني بسلامة ذوقه ونفوذ بصره في دقائق الفصاحة وأسرار البلاغة ، وقديماً قيل في ابي تمام إنه في ديوان الحماسة اشعر منه في ديوان شعره ؛ وهذا القول يكاد ينطبق على اديبنا في مختاراته هذه اتم انطباق ٠

الزهاوي الشاعر

يعدُّ الزهاوي في زمرة الطبقة الأولى من شعراء هذا العصر ، ويمتاز بوفرة الإنتاج ، فقد كان ينظم في الفترة القصيرة العدد الكثير من المقطعات والرباعيات ، بل القصائد مما يعسر على غيره — ولا سيا في مثل سنه — أن يباريه في بعضه ، وكان سريع الإنتاج فإذا بدأ بنظم قصيدة لا يكاد يقر له قرار حتى يأتي على آخرها ، كنت ربما أذاكره في موضوع وألمع انه يستحق العناية ، وعندما نجتمع في اليوم التالي او الذي يليه يخرج من جيبه قصيدة او مقطوعة تتضمن ما تذاكرنا فيه وزيادة ، وإذا شعر بقصور في بعض نواحي الموضوع يقول : هذا لا يخضع الوزن والقافية ٠٠ على انه قد يحفي ببعض القصائد ويعني بصقلها فتأتي آية في الإبداع والابتكار ، وإخال ان هذا هو السر في التفاوت البارز الذي يجده الناظر في شعره ، وهو ايضاً السبب في عدم تقيده بوحدة الموضوع في الكثير من قصائده ، ومن ثمّ وجدناه عندما طبع ديوانه الطبعة الأخيرة اعاد النظر في الكثير من قصائده فهذّب وشذّب ، وبدّل وحوّل ٠

وقد أودع نظمه الكثير من آراء الحكماء ونظريات العلماء ، كما أودعه معظم آرائه في الشؤون الكونية ، ففيه منها ثروة طائلة تضمن له الجدة والخلود .

وفي شعره طائفة كبيرة أوقفها على الأحداث البارزة التي حلت ببلاد العرب خاصة ، والشرق عامة ، خلال نصف قرن على التقريب ؛ فهو من هذه الناحية تاريخ مجمل لما تتابع على هذه الأقطار من الأحداث السارة والضارة ، فيضحك لأفراحها ، ويبكي لأتراحها ، ففيه القصائد الباسمة اللامعة ، والحزينة الدامعة .

البارز من أخلاقه

كان رحمه الله عصبي المزاج ، سريع الغضب سريع الرضا ، بعيداً عن الحقد والضغينة ، ولوعاً بلفت الأنظار إليه ، راضية أكانت أو غير راضية ، كثير التطلع الى معرفة آراء الناس فيه ، يظهر ذلك لجليسه في طلائع كلامه .

يدين بالقومية ، ويناضل عن العربية ؛ سمعته يناظر أحد الأدباء في هذا الموضوع ، ويدعم آراءه بالبراهين ، وبالأخير تمثل بقول الحماسي :

وهل انا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وكان شغوفاً بالحرية الى حد بعيد ، ويطالب بإطلاقها الى الحد القصي : حرية التفكير ، حرية الاعتقاد ، حرية القول ، حرية النشر ... كل ذلك يريده ويطالب به ، ولا يزعجه إلا حرية واحدة وهي حرية الذين يخالفونه في بعض مايذهب اليه ، ولا سيما الذين يسميهم بالرجعيين او الجامدين ، فإنه يرغب في كبح كبتهم وإسكات نأمتهم . اذكر انه اجتمع بي — وانا يومئذ مدير للمطبوعات — فشكا إلي ما يلاقيه من بعض أقلام رجال الدين الذين يهاجمونه وينتقدونه ، واشار الي انه ينبغي ألا يفسح لهم المجال الى هذا الحد . قلت له : انت تدين بالحرية في كل شيء فهل رجعت عن رأيك فيها او تريدها لفريق دون آخر . ولشدة ولوعه بالحريات ناضل كثيراً عن حرية المرأة الشرقية ، وطلب لها من الحريات اكثر بكثير مما حصلت عليه المرأة الغربية . ولكثرة ما كان يناضل عن الحرية قال له بعض الأدباء — على سبيل

التكيت — يا أستاذ : أردت ان تملك الحرية فملكتك ، فأنت الآن عبدها ، فأين حريتك ؟.

وكان جريئاً في إبداء آرائه وإن ناقضت آراء الآخرين ، وجلبت عليه نقمة المخالفين ، وقلما انتصر لرأي ورجع عنه او اعلن فكرة وتخلى عنها .

وكان جلداً على العمل يطالع كثيراً ويكتب كثيراً ، حتى ان الإنسان ليأخذه العجب عندما يرى نشاط فكره ، ونتاج قلمه ، مع انتكاث بنيته ، واختلال صحته .

وكان يحفظ لأصحابه حقوق الصحبة حتى بعد الوفاة ، وقلما فارق الحياة حميم له إلا بكاه ورثاه ، وفي شعره الكثير من هذا القبيل .

وكان يحب النكتة ويعشق النادرة ، وله في ذلك غرائب وعجائب خليقة بأن تجمع في رسالة خاصة والكثير منها مشهور بين الخاصة ، يتناقلونها ويتفكهون بها ، ومن امثلتها : انه حضر في مجلس بعض كبراء الأتراك في بغداد ، فدار الكلام حول الخرافة المشهورة ، وهي ان بعض المبتدعة يمسخون خنازير على اثر موتهم ؛ فأجمع الحاضرون على وقوع ذلك ، وتصدى بعضهم لسرد وقائع في هذا الشأن زعم انه رآها عياناً ، فالتفت صاحب المجلس الى المترجم وقال : ما رأيك في هذا يا أستاذ ؟ فأجابه : هذا امر مفروغ منه ، انا رأيت بعيني بشراً احياء — واشار الى الحاضرين — مسخوا حميراً ، فكيف لا يجوز مسخ الميت خنزيراً !!

سيرته الرسمية

اول منصب رسمي عهد الى المترجم العضوية في مجلس المعارف في بغداد وذلك سنة ١٣٠٣ هـ ثم عين مديراً لمطبعة الولاية ، ومحرراً للقسم العربي من جريدة الزوراء ، وهي الجريدة الرسمية في بغداد يومئذ ثم انتخب عضواً في محكمة الاستئناف في بغداد . وفي سنة ١٨٩٦ سافر الى الآستانة فالحق بالبعثة العلمية الاصلاحية التي أرسلت الى اليمن ، وهناك القى دروساً ثمينة في تفسير القرآن الكريم . وبعد سنة عاد الى الآستانة فانعم عليه السلطان بالوسام المجيدي . ورتبة (بلاد خمس الموصلة) . ثم رجع الى بغداد . ويقول الراحل : انه نفي اليها من قبل السلطان عبد الحميد وهذا نفي غريب إذ

لم يسمع من قبل أن الرجل ينفى من غير بلده الى بلده الا في هذه الحادثة .. وفي سنة ١٣٢٤ هـ عاد الى الآستانة وعين استاذا للفلسفة الإسلامية في المكتب الملكي ومدرساً للآداب العربية في شعبة الآداب من دار الفنون . ثم نقل الى تدريس مجلة الأحكام العدلية في مدرسة الحقوق في بغداد . ثم عزل من وظيفته هذه على أثر نشره مقالا في جريدة المؤيد في مصر بحث فيه عن حقوق المرأة،وعده الجمهور في بغداد خروجا عن تعاليم الاسلام وتقاليده .

وبعد هدوء الخواطر أعيد تعيينه لتدريس المجلة في مدرسة الحقوق . ثم انتخب نائبا عن لواء المنتفق في مجلس النواب العثماني ، وبعد وصوله الآستانة بقليل انحل المجلس بسبب انهزام الاتحاديين أمام خصومهم السياسيين ، فرجع الى بغداد ، ثم بعد تغلب الاتحاديين على السلطة على أثر الحرب البلقانية انتخب نائبا عن بغداد .

وبعد احتلال العراق من قبل الانكليز عين عضوا في مجلس المعارف ، ثم رئيساً للجنة ترجمة القوانين العثمانية الى العربية . وفي تموز سنة ١٩٢٥ م عين عضوا في مجلس الاعيان العراقي وبعد أربع سنوات انفصل من العضوية بنتيجة الاقتراع الذي تم لاخراج نصف أعضاء المجلس عملا بحكم القانون الاساسي .

مؤلفاته

للاستاذ مباحث كثيرة في مواضيع شتى . كتب فيها المقالات المسهبة ونشرها في أمهات الصحف العربية في مصر والشام . والذي نشر من مؤلفاته على سبيل الانفراد :

١ — كتاب الكائنات — وهو من أوائل مؤلفاته وسمعته يقول : هذه رسالة ألفتها قبل أن تمتلئ مباحثها علما وتمحيصاً .

٢ — الجاذبية وتعليلها — رسالة ذهب فيها مذهبا خالف فيه حكماء العصر كافة في نظرية الجذب

٣ — الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية — وهي رسالة بمعنى ما سبقها وتوضيح لها .

٤ — المجمل مما أرى — وهي رسالة أجمل فيها خاصة الرسائل السابقة · مع زبدة آرائه في أمور علمية كثيرة ·

٥ — الفجر الصادق في اثبات الخوارق — وهو كتاب رد فيه على منكري المعجزات والكرامات · ونشره في مصر سنة ١٣٢٣ في آخريات أيام السلطان عبد الحميد

دواوين شعره

١ — الكلم المنظوم — وهو أول ديوان أخرجه للناس ويتضمن شعره الى حين اعلان الدستور العثماني ·

٢ — رباعيات الزهاوي — طبعت في بيروت سنة ١٩٢٤ ·

٣ — ديوان الزهاوي — وقد ضمنه جميع منظومه منذ اعلان الدستور العثماني الى سنة ١٩٢٤ م وضم اليه ما يليق للضم من رباعياته وديوانه الاول (الكلم المنظوم) وبوبه تبويبا جديدا لم يسبق اليه ·

٤ — اللباب — جمع فيه المختار من شعره وطبعه في بغداد سنة ١٩٢٨ م

٥ — الاوشال — ويتضمن القسم الاخير من شعره نشره سنة ١٩٣٤ م

٦ — رباعيات عمر الخيام — وتحتوي ١٣٠ رباعية من رباعيات الخيام ترجمها الفقيد الى العربية شعراً ونشرها في بغداد سنة ١٩٢٨ م

وأخبرني قبيل وفاته أن لديه مجموعا من شعره الأخير أراد نشره باسم (الثمالة) ·

ويزعم بعضهم أن لديه قصائد ومقطعات · تتضمن آراء تصطدم بالديانات · وتنافي مشهور الاعتقادات وأنه أسماها (نزغات الشيطان) والله أعلم بحقيقة هذا المزعم · · · والذي أعرفه من خلق الزهاوي الراحل أنه لا يصبر كثيرا على كتمان ما تنتجه قريحته · وأصحابه كلهم يعرفون منه هذا الخلق · كان رحمه الله ينشد أصحابه الكثير مما يخالف معتقد الجمهور على زعم أنها من الأسرار التي لا يجوز نشرها ثم لا يلبثون أن يقرؤها منشورة في الصحف فلا يعجبون لما يعرفون من عدم تمكنه من تغطية أسراره وكتمان بنات أفكاره · · وقصيدتاه (على السراط) و (ثورة في الجحيم) أوضح برهان على صحة ما ذهبنا اليه ·

وقــد حاول الراحل تأليف الروايات ، فوضع رواية وجد جمهور القراء (وهو معهم) أنها لا تتناسب مع شهرته في العلم والأدب ، ولهذا لم يعد الى تجربة ثانية .

وله مجموع يشتمل على زهاء (٢٠٠٠) بيت من الشعر اختارها من دواوين الشعراء ومؤلفات الأدباء ، وقد نشر بعضها في بعض الصحف البغدادية اليومية مع تعليق على طائفة منها .

وفاته

في يوم ٢٣ شباط سنة ١٩٣٦ م رُوِّع الأدب وأنصاره والعلم وأخباره بنعي الأستاذ الكبير ، وأنه أجاب داعي ربه على أثر مرض لم يُمهله إلا سويعات ، وهكذا انطفأت تلك الجذوة المتأججة وغاض مَعين تلك العواطف الفياضة والأفكار الجياشة .

وقد شُيِّع جثمانه الى مرقده الأخير تشييعاً مهيباً ، مشى فيه عظماء المملكة وكبراؤها ، يتقدمهم رئيس الوزراء ورجال حكومته ، ولم يعقب ولداً ، وقد شرعت الحكومة الهاشمية قانوناً خاصاً بإعطاء زوج الراحل الراتب الذي كان يتقاضاه في حياته كاملاً ، بينما كانت القوانين المرعية في البلاد تقصرها على النصف منه فقط ؛ وهذه مأثرة للحكومة سيحفظها لها التاريخ .

طه الراوي

بغداد : عضو المجمع العلمي العربي

تصحيح نهاية الارب

جزوءه العاشر

صفحة ٧ سطر ٧— (دِيزج) ضُبط بكسر الدال ، وصوابه فتحها ؛ كما ضبطها التاج واللسان ، أما هو بالفارسية فبكسر الدال وهاء في آخره (دِيزه) .

صفحة ٢٢ سطر ١— قوله في صفة الفرس الجواد (اذا اشتدَّ نَفَسه) ، لعل صوابه : (اذا امتدَّ نَفَسه) يعني في الصهيل ، وإلا تكرر مع قوله بعدُ (واشتدَّ حقوُه) .

صفحة ٢٣ سطر ١— قوله في صفة الفرس أيضاً : (وقَوَدُ العنق لينها) صوابه طولها: إذ لم نجد في كتب اللغة من فسر القَوَد بلين عنق الفرس ، وإنما فسروه بطول العنق وطول الظهر أيضاً ، والوصف منه : أقود وقوداء وقيدود ، وإذا وُصف الفرس نفسه بكونه أقود كان المراد أنه سَلِس ذلول مُنقاد ؛ لكن الاسم منه إذ ذاك القيادة لا القَوَد .

صفحة ٣٠ سطر ٨— في تعريف الفرس الشَّموس (هو الذي يمنع السرج والمَسّ) في قوله (المسّ) بالميم بعدُ ، ولعل صوابه (الحَسّ) بالحاء من حَسَّ الفرس إذا نفض عنه التراب بالمحسة .

صفحة ٣١ سطر ٣— قوله في صفة الفرس (والعَدُوم) بالدال المهملة صوابه (والعذوم) بالذال المعجمة وهو الفرس العضوض أي الذي يعضّ .

صفحة ٣٢ سطر ١٠ — عدَّد عيوب الفرس فقال : (والوجي ما يصيب الحافر من الخشونة) قوله (من الخشونة) فيه نظر : لأن اللغويين إنما يفسرون (الوَجى) بالحفا

أو هو أشد الخفا وفسروه بأن يرقّ الحافر وينسحج أي يتقشر فلعل صواب (الخشونة) (الحفا) أو (الرقة) لكنه تحريف كبير ، وقد يقال: إنه يلزم من الانسحاج (الذي معناه التقشر) أن يصبح الحافر خشناً ، فالخشونة صحيحة بهذا الاعتبار ٠

صفحة ٦٠ سطر ٦ — قوله يصف الفرس (أو صوب الحيا إذا احتمل) والحيا المطر فلعل صواب (احتمل) انبهل أو همل ٠

صفحة ٦١ سطر ٤ — قوله يصف فرساً أحمر (حمل الزَّبَرجدَ منه جسم عقيق) ضُبط بالشكل بنصب (الزبرجد) ورفع (جسم) والأظهر العكس أي نصب جسم على المفعولية والفاعل هو الزبرجد : إذ المراد بالزبرجد حوافر الفرس فهي التي تحمل الجسم في الظاهر ٠ أما ان المراد بالزبرجد الحوافر فشاهده ما في صفحة ٢٣ سطر ٩ يصف الحوافر الجيدة : (وأن تكون الحوافر صلاباً سوداً أو خضرا) ٠ وما هو أصرح من ذلك قوله في (صفحة ٧٦ سطر ١٤) يصف فرساً (زبرجدي الحافر ٠ لؤلؤي الأديم)

صفحة ٧٨ سطر ١١ — قوله في وصف دواء لأحد أمراض الخيل (يؤخذ خمسون طائراً من الدراريج تُسحق بحجر ولا تمس باليد) صواب (الدراريج) بالدال المهملة والجيم (الذَّراريح) بالذال المعجمة والحاء المهملة : أما الاول فهو جمع (درّاج) طائر كبير ولا يتصور سحق خمسين منه وأما الثاني (أي الذراريح) — فجمع ذراح : دويبة حمراء منقطة لها جناحان تطير بهما ٠ وهي من السموم القاتلة ٠ وهي التي يمكن جمع خمسين منها فتجفف وتسحق ولا تمس لأنها من السموم التي تدخل في الأدوية

صفحة ٨٦ سطر ٩ — قوله في وصف بغلة (شديدة الغلْوة ، بعيدة الخطوة) الغلْوة شوط جري الفرس ٠ وهي (أي الغلوة) لا توصف بالشدة فصواب (شديدة) إذن (مديدة) أي أن تلك البغلة ممتدة الشوط طويلة مدى السير ٠

صفحة ١٠١ سطر ١ — قوله (وأي قدم أحق بولوج الركب من قدميه) (الرَّكْب) ضُبطت بفتح فسكون وهو جمع راكب ولا معنى له هنا ، فصوابه (الرُّكُب) بضم الراء والكاف جمع رِكاب ككتب في جمع كتاب ، والركاب — وتؤنثه العامة فيقولون ركابة — هي ما يضع الراكب فيه قدمه ، وتكون من حديد غالباً ٠

صفحة ١٠٢ سطر ٦ — قوله في صفة الحمار (تعرفه ظهور السوابك ، وتألفه سباطات المبارك) لا معنى للسوابك هنا وصوابه (السوابل) باللام جمع سابلة وهي الطريق المسلوك ويكون صواب (المبارك) بالكاف (المنازل) باللام والمعنى : أن الفرس الجواد تعرفه ميادين الحرب لمعرفته الكرّ والفر ، كما تعرفه السهول والحزون لصبره على السير فيها ؛ أما الحمار فإنما تعرفه الطرقات المطروقة التي يتيممها ، وكناسات المنازل التي يتقممها .

صفحة ١١٣ سطر ٦ — قوله (ماخلق الله شيئاً من ظهر النبي صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري ، واستنقذته منهم) هذا قول الصحابي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي استنقذ لقاح النبي من المغيرين عليها ، والأفصح في قوله (من ظهر النبي) أن يقال (من ظهر للنبي) والمراد من (الظهر) هنا لقاح النبي صلى الله عليه وسلم وهي النياق ذوات اللبن، سميت بالظهر لأنها يُركب ظهرها ، وهكذا كل ما يُمتطى ظهره من الركائب يسمى (ظهراً) تسميةً للكل باسم الجزء كما سمي العبد بالرقبة ؛ والغنم ليست من الظهر كما لا يخفى .

صفحة ١١٦ سطر ٥ — قول أبي تمام في الناقة :

بدتْ كالبدر في ليلٍ بهيم وآبتْ مثل عُرجونٍ قديم

صواب (بَدَت) (سَرَت) ليتسق مع (وآبت) : أي إنها سارت في سفرتها سمينة ثم رجعت بعد طول السفر نحيفةً هزيلةً ، ويشهد له قوله قبله : (وبدّلها السُرى الخ)

صفحة ١٢٠ سطر ٦ — قوله يصف سرعة تحريك الناقة يديها أثناء السير

(حسبتها غَيْرى استفزّ عقلها أَتيَ التي كانت تخاف بعلُها)

ضُبطت كلمة (أَتيَ) بفتح الهمزة وسكون التاء ونصب الياء على أنها مصدر والأقرب أن تكون فعلاً ماضياً مستانفاً في جملته واقعا في جواب سؤال مقدّر : كأن سائلا يسأله : ولماذا حسبتها وهي تحرك يديها امرأة غيْرى طار صوابها فأجاب : (أتى التي كانت تخاف بعلها) أي إن بعلها أتى ولم تكب الخطة أو الخصلة التي كانت تخافها تلك

المسكينة وهي الإضرار والتزوّج عليها فهي من أجل ذلك تضطرب وتحرك يديها شأن المرأة الصاخبة الساخطة .

صفحة ١٣٧ سطر ٤ — يذكر رؤية حيّتين طائرتين في جو مدينة الرملة . وكان الأمير مشاهداً لذلك ومعه القاضي وجماعة من الناس قال (وفيهم عدولي وغيرهم) وضبط (عدَوْلي) بفتح العين والدال ثم واو ساكنة ولام بعدها ألف مقصورة : وهذا خطأ لأن (العدَوْلي اسم لقرية بالبحرين و (العدوليُّ) بياء النسب هو الملاّح المنسوب الى تلك القرية ولا معنى لها في هذا المقام وانما صوابه (عُدُول) جمع عَدْل وهو الرجل يعتمد عليه القاضي في تحمل الشهادات يقال فلان من عدول القاضي . وذكرُ القاضي في عبارة المصنف يشهد لهذا المعنى كما يشهد له أيضاً قوله في آخر القصة (فسطرنا بذلك محضراً على عدة نسخ)

صفحة ١٩٠ سطر ٣ — قوله في وصف البازي (كأنما يُزهى جبّار) صوابه (كأنما يُزهى زَهْوَ جبّار)

صفحة ١٩١ سطر ١٨ — في صفة الباشق (عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه) ضُبط (السلاح) بكسر السين وصوابه ضمها والسُّلاح نجوه أي أن جثة الباشق صغيرة وإذا نجا نجواً عظيماً على خلاف العادة في الطير أو في الحيوان . ولو أراد بالسلاح مخلبه أو منسره لقال (حادّ السلاح) مثلاً . أما قوله عظيم فيُشعر بما ذكرنا . نعم يقال : (سِلاح الثور) يريدون روقيه أي قرنيه . ولم نرهم قالوا ذلك في غيره .

صفحة ٢٠٥ سطر ١٤ — قوله في صفة جوارح الطير (بعيدة المرامي والمطارح) لا تتّسق مع السجعة التي قبلها وهي قوله (طامحة الألحاظ والمناظر) والجمل كلها مسجوعة ما عدا هذه فلعل كلمة (المطارح) محرّفة عن (المطامر) من طَمَر إذا وثب هاوياً إلى أسفل وهو شأن جوارح الطير حينما تهوي على صيودها . على أن (المطارح) تناسب (المرامي) ولكن ماذا نعمل بالسجع الذي كان مثلهم الأعلى في ذلك العهد .

صفحة ٢٤٢ سطر ١٢ — قوله (يقرعه مِصقع خطيب) أي يقرع المنبر ، كذا بالقاف ؛ وصوابه بالفاء يقال فَرَع الجبل إذا صعده ، والخطيب يفرع المنبر ، ولا معنى لكونه يقرعه كما يقرع الباب .

صفحة ٢٤٤ سطر ٢ — رسالة مستملحة أنشأها الوزير أبو القاسم بن الجدّ الأندلسي في رجل يعرف بالزُرَيزير وقد أثبت أن تصغير اسمه ليس للتحقير ، ثم استشهد على ذلك بأشياء جاء تصغيرها للتهويل والتعظيم من ذلك قوله : (لئن سُمي بالزُرَيزير ، لقد صُغر للتكبير ، كما قيل : حُرَيقيص وسَقطه يحرق الحَرَجَ الخ) ، فالضمير في قوله (وسقطه) يرجع الى (حُرَيقص) ويربطه به ربطاً وثيقاً ، والسقط ما سقط من الشرر بين الزندين ؛ فعلى هذا ينبغي أن يكون لكلمة حريقيص معنىً فيه شرر ينفصل منه حتى يمكنه أن يحرق (الحَرَج) ، والحرج جمع حَرَجة مجتمع الأشجار . مع أن (الحرَيقيص) تصغير (حرقوص) ولا معنىً له في اللغة إلا دويّبة من جنس القراد أو البراغيث تندسّ في الأرفاغ فتلسع وتؤلم . وجواري الأعراب في معاتبة هذه الحراقيص ومُلاحاتها لطائف ومُلَح ، فإذا اردنا أن يكون للكلام معنىً يناسب السياق وجب أن يؤتى في مكان (حُريقيص) بكلمة أخرى ذات معنىً له شرر فيقال مثلاً « خُنَيتيص وسقطه يحرق الحَرَج » والخُنيتيص تصغير « خُنتوص » وهو كما في اللسان وغيره ما سقط بين القداحة والمروْة من سقط النار ، وقال ابن بري: الخنتوص الشررة تخرج من القدّاحة اه لكن منشئ الرسالة أيقال « خنيتيص » وهل تراه قالها ثم حرّفها الناسخ الى « حُريقيص » ؟؟ على أن خنيتيص من غريب اللغة بل حوشيّها لعمري ؛ ونرجع الى كتب الأدب التي هي معادن يستخرج المسجعون القدماء منها سجعاتهم ، ومستملح نكاتهم ، في مُملّ ترسلاتهم : فنجد فيها ما يروي الغلة ويكشف الحيرة .

قال الأصمعي : بينا أنا بحمى ضَريّة إذ وقف عليّ غلام من بني أسد في أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين « أي ما ظننته يحسن النطق بكلمتين لظهور البذاذة عليه » ، فقلت له : ما اسمك ؟ فقال: حُرَيقيص ، فقلت : أما كفى اهلك ان يسموك حرقوصاً حتى صغروا اسمك ؟ فقال : إن السقط ليحرق الحرَجة اه . فالوزير الذي ينشئ لنا رسالة في صفة الرجل المسمى « زُرَيزيراً » اقتبس هذه الحكاية من أدب الأصمعي وادخلها في كلامه ملمّحاً فقال : « حريقيص وسقطه يحرق الحرَج » ، لكن جاءت جملته هذه ركيكة لا معنى لها والتلميح بعيد فيها : فإن ضمير « وسقطه » يرجع الى

حربقيص كما قلنا ، وسواء أكان المراد به البرغوث اللساع ، ام الغلام البزاغ — فإنهما كليهما لا شرر لهما يحرق الخرجات ، وهذا الغموض او الركاكة في التركيب جاء من منشئ الرسالة أو من مؤلف نهاية الأرب او من ناسخ كلامها ؟ لا نركن . تبعته لاحقة بين ؟ واذا اردنا ان نصحح الكلام ليحسن التلميح فيه الى حكاية الأصمعي والغلام وجب ان نؤول الجملة تأويلاً نرجع فيه ضمير « وسقطه » إلى الغلام المسمى « حُربقيصاً » لأدنى ملابسة ، ونفرض ان في الكلام حذفاً والتقدير هكذا : كما قيل في اسم ذلك الغلام الأعرابي حُربقيص بالتصغير مع انه ذو خطر كبير وسقطه « اي سقط حربقيص المذكور الوارد على لسانه في حكايته مع الأصمعي » شرر يحرق الخرج الخ .. وهذا كما يرى القارئ تأويل في تصحيح الجملة يتعذر فهمه ، فلم يبق إلا ان نقول : إن صواب (حُربقيص) (خُنيتيص) أو أن الجملة محرفة عن اصل صحيح مجهول لنا ، أو أن منشيها أساء فيها . والسلام .

صفحة ٢٥٠ سطر ١٦ — قوله : (فيجد النوفرة وهي طالحة على وجه الماء) صوابه (طافية) ويؤيده قوله بعده « فإذا طلعت الشمس طفت النوفرة على وجه الماء » .

صفحة ٢٥٣ سطر ١٣ — قوله « نفردتم بمايلة القدود » لعل صوابه « بمماثلة » بدليل سياق الكلام . ولا داعي لتغيير « اتحد » بتوحد لأن اتحدوا تكون بمعنى اتفقوا وهو مناسب هنا .

صفحة ٢٦٢ سطر ٧ — قوله في صفة القَطاة « سَكّاء مخطوبة في ريشها طرق » صوابه « مخضوبة » من الخضاب يؤيده ما في صفحة ٢٦٣ سطر ٢ « مخضوبة المنقار الخ » وصفحة ٢٦٥ سطر ١١ « خواضب بالحناء منها الأصابع » وكلاهما في صفة القطاة ، وقد يقال : إن مخطوبة بالطاء وصف من الخُطبة وهو لون فيه خضرة ، ومنه الأخطب من الحمير ومن الحنظل ، ولا نحققه لأن الوصف من هذا أخطب خطباء . لا مخطوب مخطوبة .

صفحة ٢٦٦ سطر ٢ — قوله « والخَيريُّ » وهي الخزامى . ضبط الخيري بفتح الخاء بالشكل تبعاً للسان ، وصوابه كسر الخاء كما هو صريح (مصباح) الفيومي .

صفحة ٢٦٦ سطر ٣ — قوله :

كأنما عبّ في سود غالية وحلّ من تحته الكافور فانتقعا

« حَلّ » ضبط بفتح الحاء من الحلول ، وهو النزول ، وصوابه ضم الحاء مجهولاً من الحَلّ وهو إذابة الجامد : إذ أن الشاعر يصف منقار الحمام وهو أسود مبطن ببياض فسواده جاء من كون الحمام عبّ « أي غطس منقاره » في طيب الغالية الأسود ومن تحت هذا الطيب الأسود حُلّ وأذيب الكافور الأبيض فانتقع أي استقر الكافور ورسب . فالانتقاع هنا من نقع الشيء في المائعات .

صفحة ٢٦٦ سطر ١٢ — قوله :

تخذ الأراك أريكة لمنامه فله الى الأسحار فيها موضع

لعل الأصوب « موقع » إذ يقال : وقع الطائر على الشجرة بحيث يقع يحسن أن يسمى موقعاً لا موضعاً على أن قوله « منامه » و « الأسحار » يرجح أن يكون صواب القافية « مضجع » كما لا يخفى .

صفحة ٢٧١ سطر ١٧ — يصف أفحوصة الحمام وانه يجعل لها حروفاً غير مرتفعة لتحفظ بيضه من السقوط « ولتلزم كتفي الجؤجؤ » قوله (كتفي) كذا بالتاء والجؤجؤ صدر الحمامة ولا كتفين للصدر وإنما له كنفان بالنون ، فالصواب « كنفي الجؤجؤ » أي جانبيه وناحيتيه .

صفحة ٢٧٢ سطر ٣ — قوله « مع الحضانة والوثارة » صوابه « الحصانة » بالصاد المهملة كما لا يخفى لأن الكلام في صفة أفحوص الحمام وإحكام بنائه حتى لا تقع الفراخ منه .

صفحة ٢٧٢ سطر ٦ — قوله « يقرعها رعد » صوابه « يُفزعها » أي يُفزع الحمامة ويُخيفها صوت الرعد فإنها إذ ذاك ترمي بيضها خارج الأفحوص ولا معنى ليقرع الحمامة رعد بمعنى انه يصكها ويضربها إلا بتكلف .

صفحة ٢٧٩ سطر ١٣ قوله يصف حمامات :

تطير بأمثال الجلام كأنها جنادلُ تدحوها ثلاثاً وأربعا

شبه اجنحتها في شكلها ولطافتها بالجلام جمع جَلَم وهو المقص ثم شبهها بالجنادل جمع جندل وهو الصخر وانهـا في طيرانها تدحو اي تبسط تلك الجنادل المرة بعـد المرة . ولا يخفى ان الجنادل لا تبسط : فهي محرَّفة عن منادل بالميم جمع مِندل كمنبر ، ومثله (منديل) بزيادة اليـاء وهو معروف ، وتشبيه الجناح — والطائر يطير — بالمنديل الذي يطوى ثم ينشر ، ويقبض ثم يبسط دواليك — معقول مقبول كما لا يخفى .

صفحة ٣١١ سطر ١٠ — قول البحتري يصف سمكات في بركة ماء (كالطير تنفض في جوٍّ خوافيها) لعل الاصوب (كالطير تنقضّ) من انقضاض الطائر وهو هُويّه الى السفل . ونسب الانقضاض الى الخوافي لانه يكون بها ؛ أما رواية (تنفض) بالفاء فمستبعدة معنىً : لان الطائر إنما يمكنه ان ينفض جناحيه وهو على الارض واقع لا في الجو طائر — ولفظاً وهو ان « خوافي » مفعول به — والفتحة تظهر على الياء ، فتسكينها ضرورة والاصل عدمها . على ان ما في ديوان البحتري المطبوع « هو تنقض » بالقاف .

صفحة ٣٢٠ سطر ١٤ — قوله يصف ضفدعاً وجلدها المرقش (دعتك في فاضة مُدَنَّرة الخ) الفاضة الدرع ومدنرة عليها تداوير كالدنانير ، وقوله « دعتك » بالدال خطأ صوابه « راعتك » بالراء اي راقتك واعجبتك ومنه قولهم جمال رائع .

صفحة ٣٢٤ سطر ١٠ — قوله يصف البندق الذي يرمى به عن القسيّ (كأنما خرط بالجَهْر . فجاء كبَنات الفهر) قوله (بالجهر) خطأ صوابه (بالجرخ) والجرخ بالفارسية الدولاب والخرطة التي يُخرط بها الخشب وغيره . وقوله كبنات الفهر بتقديم الباء الموحدة جمع بنت والفهر الحجر بقدر ما تكسر به الجوزة . وكلمة (بنات) تضاف الى أشياء كثيرة سردت في المعاجم : بنات الدهر . بنات وردان . بنات بخر الخ ولو كان المراد بنات الفهر الحجارة الصغيرة لقال (كبنات الصخر) لأنها منها تنحت لا من الفهر فلعل صوابه « كنبات المرخ » بتقديم النون على الباء « والمرخ » شجر صلب جداً يقتدح به ومنه قولهم « في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » ويكون الكاتب قد شبه البندق المتخذ من الطينة الشديدة العلكة في استدارته وصلابته بخشب المرخ المخروط

بالجرخ أي الخرطة . « والجرخ » بالفارسية تكتب بثلاثة نقط تحت الجيم ثم عرّبت بالجيم العربية .

صفحة ٣٢٥ سطر ١ — قال في وصف الطين الجيد الذي اتخذ منه البندق « فهو كالكافور المصّاعد في اللمس والمنظر » قوله « المصّاعد » من اصّاعد بمعنى صعد وارتقى . وصوابه المصعّد كمعظّم من التصعيد وهو إذابة الجامد فهو يقول ان هذا الكافور قد صعّد أي أذيب فأصبح نقيًا مصفّى ومنه اتخذت البنادق الجيدة .

صفحة ٣٤٠ سطر ٢ وصفحة ٣٤٨ سطر ٥ — قوله يصف طائر الكركي (لقوادمه في الجوّ هفيف) صوت اجنحة الطائر أثناء طيرانه يقولون فيه « حفيف » بالحاء . اما « الهفيف » بالهاء فيستعمل في صوت الريح وحركة السير . فلعلّ الحاء حرفت الى هاء وهي قريبة منها . والقوادم كبار الريش في جناح الطائر .

صفحة ٣٤٤ سطر ١٢ — قوله يصف انواع الصيد والقنص « واحسن انواعه الذي جمع لمعاينه بين روضة ورياضة الخ » معاينه بتقديم الياء على النون اسم فاعل لفعل « عاين » وهو تحريف وصوابه (لمعانيه) بتقديم النون اسم فاعل من فعل (عانى) الشيء إذا زاوله ومارسه وكابده وتحمّله بشيء من المشقة . وكذا الصيد فإن المولعين به يعانونه معاناةً . ولا معنى لكونهم يعاينونه معاينة كما لايخفى .

صفحة ٣٤٥ سطر ١٩ — قوله (رأيت الطير وهي لدى محاريب) صوابه اسقاط « وهي » لئلا تتكرر مع قوله بعد « وهي سجود » .

صفحة ٣٥٤ سطر ١ — قوله يصف شكل الصنّارة في الماء : « كما طوت هلالها السماء » الاصوب « كما حوت » بالحاء ؟

المغربي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٩ = الالفاظ الاسلامية

جاء الإسلام والأمية فاشية في العرب . والجهل ضارب بجرانه فيما بينهم ، فأمدهم بما لا عهد لهم به من العلم الكثير ، والانقلاب العظيم . فتكاثرت المعاني . وبذلك تكاثرت المصطلحات الجديدة وعب عبابها . فتمطت اللغة عند ذاك ، وفتحت صدرها الرحيب لضم تلك المصطلحات الجديدة بمعانيها الجديدة . ولم تضق ذرعاً بتحمل ما حملته في هذا السبيل بل نهضت بكل ذلك نهوضَ القادر الأمين . بعد أن كان العربي لا يفقه من شؤون دينه ودنياه إلا النزر البسيط جاء القرآن والسنة بالفيض الفائض منهما ؛ ثم جاءت الفتوح واتسع سلطان القوم ، فازدحمت اللغة بالمصطلحات الكثيرة التي اقتضتها الأوضاع السياسية والإدارية ، والتطورات الاقتصادية والاجتماعية ؛ ثم لم تزل الأحداث تتوالى والأحكام تتجدد وتتكاثر بتجدد الأحداث وتكاثرها الى أن استوى لدى القوم من المصطلحات الشيء الكثير ، حتى أنهم أفردوها بالتأليف وكثرت فيها التصانيف .

وليس معنى هذا أن تلك المصطلحات كلها ارتجلت ارتجالاً أو ابتدعت ابتداعاً ، وإنما جلها معان جديدة نقلت إليها ألفاظ من اللغة كانت مستعملة في معان أخرى تتناسب مع المعاني الشرعية ، وربما عربت الشريعة بعض الألفاظ بمعانيها .

ومن أمثلة المصطلحات الإسلامية « الصلاة » ، وأصلها في لغتهم الدعاء والترحم ، ثم نقلها الشرع الى المعنى المعروف للمناسبة الظاهرة . ومن ذلك « الركوع » وأصله الخضوع ، فنقله الشرع الى الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « السجود » فإن أصله التطامن والذلة ، وهو في الشرع عبارة عن الهيئة المخصوصة . ومن ذلك « الزكاة » لم

تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء . ومن ذلك « المحرم » للشهر المعروف ، فإنه لم يكن معروفاً في الجاهلية وإنما كان يقال له ولصفر : الصفران ، وكان أحد الصفرين من الأشهر الحرم ، وكانت العرب تارةً تحرمه وتارةً تقاتل فيه ، فلما جاء الإسلام وأبطل النسيء سماه النبي (ص) شهر الله الحرام . ومن ذلك « الجاهلية » فإنه اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ومن ذلك « الفاسق » أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسد ؛ ثم نقله الإسلام الى الخروج عن الطاعة ، والأمثلة في هذا أكثر من أن يحاط بها ، ومن أراد التوسع في هذا الباب فليرجع الى الكتب الشرعية من التفسير وغريب الحديث وأصول الدين والفقه وأصوله ، فإنه يقف على فيض من تلك المصطلحات المبثة هنا وهناك ، وتجدهم هناك يقولون لهذه اللفظة معنيان معنىً في اللغة ومعنىً في الشريعة ؛ وإنما أفردت الألفاظ الإسلامية عن سائر مصطلحات العلوم كالعربية وغيرها لما للشرع من معنى الشمول ، فإن الألفاظ الشرعية تتمتع من الانتشار والشمول بما لا تتمتع به سائر العلوم الأخرى ، فإن الذين يعرفون الصلاة — مثلاً — بمعناها الشرعي ، أكثر بكثير من الذين يعرفونها بمعناها اللغوي ، أما مصطلحات العلوم المختلفة فإن معرفتها بمعانيها الاصطلاحية مقصورة على أهل تلك العلوم ، فمصطلحات النحو — مثلاً — لا يعرفها سوى النحوي ، ومصطلحات العروض لا يعرفها غير العروضي ، بخلاف المصطلحات الشرعية فإنها مشاعة بين جميع أفراد الأمة عامتهم وخاصتهم .

واستعمال الألفاظ الشرعية من قبيل الحقائق عند أهل الشرع ، واستعمالها بمعانيها اللغوية من قبيل المجازات عندهم ، والأمر عند اللغويين بالعكس ؛ فالصلاة بمعناها الشرعي حقيقة عند الشرعيين مجاز عند اللغويين ، وهي بمعناها اللغوي مجاز عند الشرعيين حقيقة عند اللغويين ، ولهذا يقول علماء البلاغة : إن الحقيقة أقسام منها : اللغوية ومنها الشرعية ، وكذلك المجاز منه الشرعي ومنه اللغوي .

١٠ — الاصطلاح

قلنا إن الألفاظ الشرعية لا تخرج عن كونها مصطلحات ولكنها أوسع شمولاً من مصطلحات سائر العلوم ، لأن أتباع الشرع أكثر عديداً من أتباع كل علم من العلوم الأخرى على حدته ، ولما اتسع نطاق المعارف ، وبسقت دوحتها وتبارت العقول في خدمتها وتنميتها ، وانماز كل علم منها بقواعده ومسائله : من علوم شرعية ، الى لسانية ، الى كونية ؛ وتكاثفت أغصانها وفروعها ، احتاجوا في كل فرع منها الى وضع مصطلحات كثيرة ، للمصطلحات الكثيرة التي زخرت بها تلك العلوم ؛ فمصطلحات العلوم اللسانية تختلف عن مصطلحات العلوم الشرعية ، وهذه تختلف عن مصطلحات علوم الفلسفة : فالعامل عند النحوي — مثلاً — غيره عند الفقيه والفيلسوف ، وكذلك الكلام والتمييز والحال والإعراب والبناء ، الى غير ذلك من الكلم التي اصطلح عليها أهل كل علم في علمهم ، وكان أرباب العلوم اذا جد لهم معنى وضعوا إزاءه لفظاً يناسبه ، فإن أعوزهم فزعوا الى الاشتقاق والنحت أو نحوهما ، وقد يتصرفون في اللفظ تصرفاً يغضب اللغويين أو الصرفيين ، ولكنهم لا يبالون بذلك اذا أرضوا المعنى الذي يريدونه ، فقالوا : اللا أردية ، أو العندية ، والمتى ، والأين .. الخ واذا ضنت عليهم العربية أو بالأصح اذا لم يتوفقوا للوصول الى بغيتهم منها ، فزعوا الى التعريب ، فقالوا : (سفسطائية) و (اسطقس) و (إيساغوجي) و (اقرباذين) ... الخ .

وقد تمايزت مصطلحات كل علم عن غيرها ، واذا ضممت مصطلحات العلوم المختلفة الى بعضها يتوفر لديك معجم ضخم له شأنه ، وقد فعل ذلك بعض المتأخرين فتم لديهم الشيء الكثير ، ومجموع ذلك يؤلف لغة قائمة بنفسها هي لغة العلم ، وعليها المعوّل في كل لسان .

وأنا أرى أن معجم المصطلحات يجب أن يسبق المعجم اللغوي لأنه ألزم والانتفاع به أكثر .

١١ – الالفاظ المولدة

قلنا : إن المنابع الكبرى التي استقيت منها اللغة المعربة إنما هي القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكلام العرب الموثوق بعربيتهم ؛ ومن المعلوم أن القرآن تم قبل انتقال الرسول الى الملأ الأعلى بزمن يسير ، وإن الحديث النبوي ختم بانتقاله عليه السلام ، بقي كلام العرب الموثوق بعربيتهم واستمرت الثقة به الى أن اختلت سلائق القوم واضطربت ألسنتهم على أثر اختلاطهم بحمراء الأمم وصفرائها ، فما كاد ينطوي بساط القرن الأول الهجري حتى انقضى عمر الاعتماد على كلام المتحضرة من العرب ، أما العرب المتبدية فامتد أجل الثقة بكلامهم الى ما بعد القرن الأول ، ولكنه لم يطل الى ما بعد القرن الثالث ، إلا في قبائل قليلة كانت معتصمة في شعاف بعض الجبال المنقطعة عن العمران ، أو الضاربة في بعض البوادي النائية التي لا تتصل بالمدر إلا في القليل ، وهم شراذم لا يعتد بهم ، فالأخذ عن حاضرة العرب وما يتصل بها أو يكثر الترداد اليها من أهل البادية ينتهي بجرير والفرزدق ومن في طبقتهما ، ومن هناك تبدأ طبقة المولدين من مخضرمي الدولتين ، وعلى رأسها : بشار ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، ومن في طبقتهم ؛ فما حدث في عهد هذه الطبقة وما بعدها من الألفاظ يسمى مولداً ، وبعبارة أخرى ما أحدثه المولدون من الألفاظ يسمى المولد ، ويقابله العربي ، فيقال : هذه لفظة مولدة ، وهذه عربية ؛ كما يقابل المعرب والدخيل بالعربي الصميم ، فيقال : هذا لفظ معرب ، وهذا من الصميم .

وأمثلة الألفاظ المولدة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، من ذلك (التحرير) كان الأصمعي يقول : إنه ليس من كلام العرب وإنما هو مولد . و (أخ) كلمة تقال عند التألم والتأوه ، والعربي (أح) بالحاء المهملة . ومن المولد (الكابوس) وهو ما يشعر به النائم من الثقل . ومنه (الفطرة) والعربي : صدقة الفطر أو زكاة الفطر ، وهي من الألفاظ الاسلامية . ومنه (التفرج) قال النووي : ولعله مأخوذ من انفراج الغم . ومنه (الجبرية) و (القدرية) من مذاهب المتكلمين ، الأول يطلق على من يقول : الإنسان مضطر في أفعاله غير مختار ، والثاني يطلق على من يقول : بأن الإنسان فاعل

باختياره وخالق لأفعاله ، ويقال للأولين أهل الجبر ، وللآخرين أهل القدر . ومنه (الطفيلي) وهو من يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، وطفيل رجل كوفي كان يغشى الولائم من غير دعوة ويبالغ في ذلك فنسب اليه كل من يفعل مثل فعله ، وعربية الضيفن ، لمن يجيء مع الضيف من غير دعوة ، والوارش لمن يدخل على القوم في طعامهم فيأكل من غير دعوة ، والواغل : لمن يدخل على القوم في شرابهم فيشرب معهم من غير أن يدعى الى الشرب . ومن المولد (المخرقة) وهي الافتعال والاحتيال . ومنه (البحران) وهي أعلى مايصل اليه المرض من الشدة وليس بعده إلا الموت أو البدء بكسر سورة المرض شيئاً فشيئاً ، وهو اصطلاح طبي . ومنه (تبغدد) اذا تشبه بالبغداديين وليس منهم . ومنه (بس) بمعنى حسب ، وقيل هو عربي مأخوذ من البس وهو القطع ، وأنشدوا :

يحدثنا عبيد ما لقينا فبسك يا عبيد من الكلام

وانت ترى ان البس بمعنى القطع ثلاثي . ولفظ بس المستعمل بمعنى حسب ثنائي . وشتان بينهما . نعم لو قال قائل لآخر بَسًّا اي بُسَّ كلامك بسًّا بمعنى اقطعه قطعا لكان صوابا . ومنه (التخمين) وهو القول بالحدس . ومنه « الفشار » للهذيان والاقذاع في القول .

تنبيه :

يعد من المولد كل لفظ كان عربي الاصل ثم غيرته العامة تغييراً ما ، بان كان ساكناً فحركته ، او متحركاً فسكنته . او مهموزاً فتركت همزه ، او بالعكس ، او قدمت بعض حروفه على بعض ، او حذفت وما الى ذلك . مثال ذلك ان العرب تقول : في رجل « سَمْح » وفي اسنانه « حَفْر » وفي بطنه « مَغْس » و « مغص » وحدث في الناس « شَغْب » . وجمل « وَعْر » . وبلد « وَحْش » . وجلس في « حَلْقة » القوم ، كل ذلك بسكون العين والعامة تحركها .

وتقول العرب: اصيب فلان « بالتُّخَمَة » .وهو من « النُّخْبَة » اي الخيار . وهذه « لُقَطَة » وهي « تُحَفَة » وتناول « الصَّبِر » للدواء المر المعروف . وطلعت « الزُّهَرَة »

للكوكب المعروف «وسَعَف» النخل «والسحنة» للهيئة — كل ذلك بالتحريك والعامة تسكنه · والعرب تقول : «هَنَأني» الطعام و «مَرَأني» · و «طرأت» على القوم و «ترأست» عليهم — كل ذلك بالهمز والعامة تتركه ·

والعرب تقول: رجل «عزب» وهذه «كرة» · و «تعسه» الله و«كبه» لوجهه · والعامة تزيد فيه الهمزة فتقول : رجل اعزب · وهذه اكرة · وأتعسه الله واكبه · وامثلة ذلك كثيرة تجدها مبثوثة في ثنايا معاجم اللغة ودواوين الآداب وقد افرده بالتأليف جماعة · منهم الموفق البغدادي في ذيل الفصيح · والحريري في درة الغواص في اوهام الخواص (١) · وقد عقد له ابن قتيبة في باب الكاتب اكثر من باب · وعقد له الجلال السيوطي بابا خاصا في الجزء الاول من كتابه (المزهر) في علوم اللغة وانواعها ·

«يتبع» طه الراوي



(١) المجمع : والجواليقي في كتاب (التكملة في إصلاح ما تغلط فيه العامة) وهو الذي نشره المجمع في الجزء الماضي وطبعه على حدة مع الفهارس العديدة المفيدة ·

وضع علم النحو

إن الذي يعتقده علماء العرب هو أن الإمام أبو الأسود الدؤلي هو واضع العلم ؛ وللناس المحدثين من مشارقة ومستشرقين آراء كثيرة في هذا، فلا نريد أن نقول شيئاً قبل أن نستقصي النصوص القديمة والحديثة في هذه المشكلة فلعلها تهدينا سواء الصراط .

فأما ابن قتيبة الدينوري ٢١٣ — ٢٧٦ هـ فإنه لم يذكر أبا الأسود ولا تلامذته حين عدّ في كتابه « المعارف » رجال النحو وطبقاته وإنما بدأ بعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء .

وأما ابن النديم — ٣٧٥ فيقول في الفهرست إنه شاهد بأم عينه في مكتبة لرجل معاصر قمطراً فيه نحو ٣٠٠ رطل من فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود وأدم وورق خراساني وفيها خطوط بعض الصحابة وفيها أربع أوراق قال أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رضي الله عنه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته بخط هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات الرجل فقدنا القمطر (١) .

ويقول الزبيدي الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي — ٣٧٩ هـ (٢) : « وأول من أصل علم النحو أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم وميمون الأقرن ، وكان لأبي الأسود فضل السبق والتقدم » .

وقال أبو سعيد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الأنساب الكبير (ويقال : هو اول من تكلم بالنحو وروى عنه الناس) .

(١) الفهرست ص ٤٠ (٢) في كتابه « طبقات النحاة واللغويين » وهو مخطوط بالمكتبة المصرية ومكتبة الجامعة المصرية ، وسنصفه حين كلامنا على تراجم النحاة .

ويقول ابن الانباري — ٥٧٧ في نزهة الألباء : (روي عن ابي الأسود انه دخل على علي فوجد عنده اوراقاً كان فيها بعض مسائل النحو فقال : انحُ نحو هذا) .

ويقول ياقوت ٥٤٧ — ٦٢٦ في معجم الادباء « والاكثر على انه اول من وضع العربية ونقط المصاحف ... روى عاصم قال جاء ابو الاسود الدؤلي الى زياد ابن ابيه وكان يعلم اولاده وقال « اني ارى العرب قد خالطت الاعاجم وفسدت السنتها افتأذن لي ان اضع للعرب ما يعرفون به كلامهم » فقال زياد « لا تفعل » قال فجاء رجل الى زياد فقال « اصلح الله الامير مات ابانا وترك بنون » مات ابانا وترك بنون !! ادعوا ابا الاسود فلما جاء قال له « ضع للناس ما كنت نهيتك عنه » ففعل وروي في وضع العربية غير ذلك .

وقال الحافظ الذهبي الدمشقي ٦٧٣ — ٧٤٨ في طبقات القراء « انه (يعني ابا الاسود) اول من وضع مسائل في النحو باشارة علي عليه السلام فلما عرضها على علي قال ما احسن هذا النحو الذي نحوت » فمن ثمّ سمي النحو نحواً .

وقال ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ — ٨٥٢ في الاصابة : وقال ابو علي القالي حدثنا ابو اسحق الزجاج حدثنا ابو العباس المبرد قال اول من وضع العربية ونقط المصاحف ابو الاسود وقد سئل ابو الاسود عمن نهج له الطريق فقال تلقيته من علي بن ابي طالب . وقيل كان الذي حداه على ذلك ان ابنته قالت له « يا ابت ما اشدُّ الحر » وكانت في شدة الحر « فقال مانحن فيه » فقالت « انما اردت انه شديد » فقال « قولي ما اشدَّ الحر » فعمل باب التعجب . وروى عمر بن شبة بإسناد له عن عاصم بن بهدلة قال : اول من وضع النحو ابو الأسود استأذن زياداً وقال له : إن العرب خالطت العجم ففسدت ألسنتها فلم يأذن له حتى جاء رجل فقال : أصلح الله الأمير مات ابانا وترك بنون ، فقال الأمير : مات ابانا وترك بنون !! ادع ابا الأسود فأذن له حينئذ . وروى ابن سعد ان سبب ذلك انه مرَّ به فارسي فلحن فوضع باب الفاعل والمفعول فلما جاء عيسى ابن عمر الثقفي تتبع الأبواب فهو اول من بلغ الغاية فيه . وقال ابن حجر ايضاً في تهذيب التهذيب . « وقال العجلي هو (اي ابو الاسود) كوفي تابعي وهو اول من تكلم في النحو » .

ويقول الاستاذ زيدان « أما واضع العربية او مدونه فهو بالاجماع ابو الاسود

الدؤلي .... واختلفت الروايات في ما بعث ابا الاسود على وضع النحو لكنهم يجمعون على انه واضعه كما قدمنا وهو يقول انه تلقى ذلك عن علي بن ابي طالب ... ويؤكد ذلك ما ذكره ابن النديم في الفهرست» ثم يسوق القصة القمطرية (١)

ويقول الأستاذ الرافعي (أول ما كتب في الأدب صحيفة أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ (وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز من سنة ٩٩ الى سنة ١٠١ عن ٨٥ سنة) . وهي المعروفة عند النحاة بتعليقة أبي الاسود وفيها اختلاف بينهم نذكره في محله (٢) . أقول : وقد علق الأستاذ هذا بقوله في أسفل الصحيفة نفسها (لم يكتب أبو الأسود إلا هذه الصحيفة وكان أصحابه يكتبون عنه) ثم يذكر قصة القمطر عن ابن النديم ويقول (أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو الكتاب الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي النحوي من أصحاب ابي الأسود وتوفي سنة ٩٩ ذكره ياقوت) ويقول الأستاذ الرافعي أيضاً (أول إسناد عرف بالأدب كان علمياً بحتاً ذلك إسناد نصر بن عاصم إلى أبي الأسود الدؤلي في كتابه الذي وضعه في العربية (٣)

ويقول الاستاذ الزيات (أجمع المؤرخون أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٩٩ هو واضع النحو ، وأن السبب الذي حداه إلى وضعه هو نشوء اللحن وهجوم العجمة) ثم ذكر قصة ابي الأسود مع زياد .. ثم قال : « فوضع ابو الأسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول ، وأخذ كلما سمع لحنة وضع القاعدة التي تصلحها .. والغالب في ظننا أن ابا الأسود لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وإنشائه ، وإنما نظن أنه ألم بالسريانية وقد وضع نحوها قبل العربية او اتصل بقساوستها (٤)

ويقول الأستاذ « فلوجل » صاحب فهرست القرآن « ان الواضع للنحو هو ابو الأسود » ولا يزيد الاستاذ على أن يذكر بعض أقوال المتقدمين دون أن يذكر رأيه .

أما دائرة المعارف الإسلامية ، فيقول فيها الاستاذ لشتنشتر Lichtenstadter

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٢٥ (٢) تاريخ الادب العربي ج ١ ٢٨٧،٢٨٧ (٣) الرافعي ج ١ ص ٢٨٢ (٤) تاريخ الادب العربي ص ٢٠٠ من الطبعة السادسة .

في مادة (نحو) ما ترجمته « إن المادة الأولية لعلم النحو العربي ، جاءت من المنطق الارسطوطاليسي الذي انتهى إلى العرب عن طريق السريان . وإن مسألة وضع العربية ووضع كلمة (نحو) نفسها مسألة محوطة بكثير من الغموض . ثم يذكر قصة ابي الأسود وعلي وقصته وزياد ، ويرجح الأستاذ أن قصة ابي الأسود وزياد أقرب الى الصحة من قصته مع علي عليه السلام ، ولكنه لا يذكر سبب الترجيح ثم يقول : « فلما تم عزم ابي الاسود على وضع العربية أحضر خطاطاً وقال له : إن رأيتني أفتح فمي بسعة فضع نقطة على الحرف ... وهكذا نسب إلى أبي الأسود وضع النقط ونحن نؤمن بأن أبا الاسود له ضلع في المسألة لكثرة الروايات وتضافرها ، ولكنه لم يصلنا من آثاره شيء . وأبو الاسود يعد رأس المدرسة البصرية) .

بعد أن ذكرنا طائفة كثيرة من أقوال العلماء من محدثين وقدماء ، نعقب على ذلك بقول استاذنا الجليل ابرهيم مصطفى استاذ العربية وتاريخها في الجامعة المصرية ونعتقد أن رأيه حفظه الله رأي ناضج لم يقله إلا بعد بحث وتمحيص دقيق ، وإليك ما يقول :

يقول الأستاذ : ان الذي نفهم من هذا الاضطراب في أقوال العلماء من أمر علي لابي الأسود (بعلم النحو) وبعضهم يقول : « وضع العربية ونقط المصاحف . ثم أننا نرى أن ابن قتيبة لا يذكر أبا الاسود ولا تلاميذه حين سرد من لهم ضلع في وضع النحو وإنما بدأ بعبد الله بن أبي إسحق ، وهذه مسألة جد مهمة لابد أن يكون وراءها شيء

فالذي نراه أن أبا الاسود لم يضع قاعدة من قواعد النحو ولا اصّل أصلا من قواعده ، وإنما وضع النقط الذي يضبط به أواخر الكلمات بحسب ما تقتضيه السليقة العربية . ودليلنا على هذا أن أقدم كتاب نحوي بين يدينا هو (كتاب سيبويه) وهو حريص كل الحرص على أن يسند كل رأي فيه إلى صاحبه ، فهو كثير النقل جداً عن الخليل ، بل إن أكثر الكتاب منقول عنه ، وهو ينقل عن أبي عمرو بن العلاء وعن يونس بن حبيب وعن عبد الله بن أبي إسحق ولكنه لا يتجاوز عبد الله صاعداً فماذا يمكن استنتاجه من هذا سوى أن أبا الاسود لم يضع قاعدة ولا أصلا ، وإنما أول

من وضع القواعد والأصول هو ابن أبي إسحق ، وان ابا الاسود نقط المصحف نقط الشكل بأن وضع على الكلمة نقطة فوقها دلالة على الفتح، ونقطة تحتها دلالة على الكسر ونقطة بين يديها دلالة على الضم . وبهذا صرحت بعض الروايات التي نقلناها . وفي المكتبة المصرية بعض المصاحف التي نقطت على طريقة ابي الأسود كما أن لدينا في مكتبة آل طلس قطعة من مصحف صغير كتب بالكوفي ونقط بنقط ابي الاسود ، ويظهر أنه كتب في المئة الثانية أو الثالثة .

إن النصوص النحوية التي بين يدينا تعرّفنا أنه لم يكن قبل عبد الله بن أبي إسحق شيء من البحث النحوي ، وإن الذين كانوا قبل ابن إسحق كانوا قرّاء يروون القرآن وقراءاته ليس غير . إذن فمسألة الصحيفة التي يزعم ابن النديم رحمه الله ويوافقه عليها الأستاذ الرافعي مسألة ليست صحيحة لما بيّنا ، ولأنه من البعيد جداً أن يضع أبو الأسود في ذلك العهد البعيد ألفاظ (فاعل ومفعول وتعجب الخ ..)

ونحن إذا تتبعنا كتب التراجم نجدهم يذكرون عن ابن أبي إسحق جملة هي « إنه أول من علل النحو ومدّ القياس » وهذا ليس معناه إلا أنه أخذ يعلل ما يجد في كلام العرب من ضمّ ونصب وكسر وإنه أخذ يردّ ذلك الى أقيسة وعلل ، ثم إنه مدّد ذلك حتى كان هذا العلم . ثم لما جاء بعده تلميذه عيسى بن عمر صنف كتابين جليلين في النحو ، قيل فيهما :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك « إكمال » وهذا « جامع » وهما للناس شمس وقمر

إذن فالذي وضعه أبو الأسود ليس إلا نقط الشكل والضبط ولا حاجة إذن لما يقوله الأستاذ الزيات من أنه اقتبس ذلك عن السريان أو الكلدان كما يقول الأستاذ زيدان أيضاً لأن هذا الذي وضعه أبو الأسود أمر تدعو اليه الطبيعة العربية ويحسن بنا أن نشير هنا الى غلطة ذكرها الأستاذ زيدان حين يقول : « والحقيقة انه وضع نقطاً لتمييز الاسم من الفعل ومن الحرف وليس لتمييز الباء من التاء » . فقد علمنا

أن عمل أبي الأسود ليس إلا لتمييز المرفوع من المنصوب لا لتمييز الباء من التاء، كما يقول ·

بعد أن عرفنا شيئاً في مسألة وضع النحو سندرس في الأعداد المقبلة ان يسر الله (مصادر النحو) و (مذهب البصرة) و (مذهب البغداديين) و (مذهب العلماء المتأخرين) ؛ ثم ندرس (كتب النحو) ، فنسأل الله التوفيق والإعانة ·

محمد أسعد طلس

دمشق مُجاز في الأدب العربي



الالفاظ الدخيلة في اللغة

وحاجتنا اليها

١ — تحديد الدخيل وحاجة العربية اليه

الدخيل في اللغة ، كل من دخل في قوم وانتسب اليهم ، وليس منهم ، يقال : « هو دخيل في بني فلان » .— والدخيل أيضاً — وهو المقصود هنا — ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها ، مثل الدرهم والدينار ، الخ ...

أما أن العربية في حاجة الى الدخيل ، فأمر لا ينكره العارفون : لان العربية أصبحت في حاجة كبيرة الى اسماء لم يسبق للعرب عهد بتسمياتها . ولا يسعنا أن نصوغ من جذور العربية أو بواسطة اللواصق (affixes) فقط ، أسماء لآلاف تلك المسميات الجديدة ، إلا بمجهودات تنوء بها الائمة ، ويقتضي ايجادها زمناً طويلا . والعربية أصبحت في حالة لا تأذن لها بالسير على لغة من ينتظر . حتى أن أرباب المجامع العلمية العربية ، لا يسهل عليهم أن يوجدوا من جذور العربية اسماء لآلاف المسميات العربية فقد زحمنا الغرب بمخترعاته وفنونه ، وهجمت على لغتنا آلاف اسماء لتلك المسميات وتأصلت وشاعت على السنة معظم المتعلمين والمتكلمين بالعربية فأصبح استبدال ذلك صعباً ، بل مستحيلا !

٢ — في ان العرب قد لجأوا الى الدخيل

ان العرب ، حتى في أرقى عصور اللغة ، كعصر المأمون وعصر الامويين في الاندلس ، قد استعانوا بالدخيل فاقتبسوا من اللغات الاجنبية عدداً كبيرا من الالفاظ

الإدارية والفنيّة والمصطلحات العلميّة ؟ بل ان العرب في جاهليّتهم نفسها ، لم يستنكفوا من قبول الفاظ الروم والفرس وغيرهم . واليك شيئاً من الشواهد على اقتباس الجاهليين للالفاظ الاعجمية :

قال ذو الرمّة :

كأنّما اعتمّت ذرى الاجبال بالقزّ والابريسم المهلهل

فالقز والابريسم غير عربيتين .

وقال عدي بن زيد العبادي :

ودعا بالصبوح يوماً ، فجاءت قينةٌ ، في يمينها ابريقُ

فابريق غير عربية

وقال امرؤ القيس امير شعراء الجاهلية :

اذا راعه من جانبيه كليهما مشى الهربذى في دفّه ثمّ فرفرا

فالهربذى مشية الهربذ وهو خادم النار عند الفرس .

واذا راجعت معاجم اللغة والشعر القديم ، وقفت على مئات من هذه الشواهد .

ويحسن هنا اثبات جدول صغير ، نذكر فيه شيئاً من الالفاظ الاعجمية التي دخلت في العربية من عدّة لغات :

من اليونانية : ابريز ، أبنوس ، أثير ، ارغن ، درابزون ، فندق ، كنارة ، نوتي ، انجيل ، الخ

من العبرانية : سوسن ، صبؤت ، فرّيسي ، كروب ، لاوي ، اسرائيل ، يوسف ، مريم ، يسوع ، الخ

من اللاتينية : اسطبل ، دينار ، قنصل ، فسقية ، قيسارية ، الخ

من السريانية : برشان ، تلميذ ، دير ، اشبين ، شحيم ، شماس ، ملفان ، بوييل ، نيسان ، أيار ، الخ .

من التركية : آغا ، باشا ، بك ، يشلك ، بوغاز ، تنك الخ .

وقد دخل من الالفاظ **الفارسية** الى العربية شيءٌ كثير ، منها : الخز ، الديباج ،

الياقوت ، البلور ، الفلفل ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، العنبر ، الكافور ، القرنفل ، المسك ، الخ ...

ومن المعلوم أن الالفاظ الاعجمية دخلت في القرآن ، ووردت في أخبار رسول المسلمين والصحابة والتابعين ، من مثل السجيل ، والمكان ، واليم ، والطور ، واباريق ، واستبرق الخ ...

٣ - في ان ارقى اللغات لا تستغني عن الدخيل

ان اللغة العربية لم تنفرد في قبول الدخيل ، بل ان جميع اللغات ، حتى الراقية منها ، تقترض من غيرها الفاظا تدل بها على ما لا عهد لها به من فنون المعاني .

وهذه اللغة الفرنساوية ، فقد اقتبست من غيرها مئات الفاظ ؛ وهي ، على غناها ، لا تزال تقتبس ؛ واليك امثلة على ذلك : Théatre مأخوذة من اليونانية ، Piano من الايطالية ، Curaço من البرتغالية ، Bolchevique من الروسية ، Mosquée (مسجد) من العربية ، Wagon من الالمانية (١) الخ .

فاذا كانت اللغة الفرنسية ، وهي الآن من ارقى اللغات ، لا تنفر من الدخيل ، فما يكون شأن العربية ، وقد اصبحت في حاجة الى الوف اسماء جديدة ؛ ان أعظم التجار والصيارف هم ، في الغالب ، اكثر الناس اقتراضا للمال ؛ اما الفقير ، فلا يستدين ، بل لا يكاد يجد من يدينه .

فمهما تبجح البعض وتعنتوا رافضين الدخيل ، فلا يسعهم إنكار وجوده في العربية ، وحاجتنا اليه ، ولا سيما في عصرنا هذا . وهيهات ان يستطيعوا تبديل شيء منه ، لشيوعه في الكتب والجرائد والاندية ، على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات والآداب والعلوم الجديدة : مثل مكروب ، دفتارية ، مالارية ، كوليرا ، تلغراف ، تلفون وغيرها .

---

(١) في ذيل معجم Littré الشهير نحو من الف كلمة فرنسية مأخوذة عن العربية والفارسية والعبرانية والمالطية ، على ان اكثرها من العربية .

ثلاث ملاحظات

وهنا لا بد من ذكر ثلاث ملاحظات

الاولى : يريد بعضهم نفورا من الدخيل ، ان يوجد الفاظا عربية من جذور اللغة ، فيقولوا مثلا : « تصوير شمسي » بدلا من **Photographie** ، ولكن فاتهم اننا في مثل هذا الايجاد ، لانزال ايضا في حاجة الى الحال والصفة من تلك الكلمة . فاية كلمة عربية يوجدون للكلمة ، **Photographiquement ; Photograqhique** ، فهل يقولون في الاولى « مختص بالتصوير الشمسي » وفي الثانية « تصويرا شمسيا » ويؤثرون كلمتين أو ثلاث كلمات على كلمة واحدة ؟ .

ثم قابل ، ايها القارئ الكريم ، بين قولهم « مقياس ثقل الهواء » وبين الكلمة « بارومتر » (**Barométre**) وبين قولهم « عرفنا بمقياس ثقل الهواء اننا على ارتفاع كذا » وبين قولنا « عرفنا بارو متريا » ، وانظر فيما بين الامرين من الخفة والايجاز . فضلا عن اننا بقبول امثال هذه الكلمات الدخيلة ، نستطيع صوغ الفعل منها أيضا ، فنقول مثلا : « تلفن » (**Téléphoner**) و« رَدْيف » (**Radigraqher**) اي صور بالاشعة المجهولة . وتلغف » (**Télégraphier**) .

وان العرب لم يستنكفوا من التصرف بالالفاظ الاعجمية وصوغ الافعال منها وتصريفها ، وان كانت غير مصرفة في الاصل ؛ فقالوا من « فلسفة » تفلسف ، ومن « زنديق » تزندق ، ومن « طراز » طرّز ، ومن « دهقان » تدهقن . وما جاز لهم ، جاز لنا فنحن ورثة اللغة ، ويحق للوارث التصرف في ميراثه ، ولا سيما بما يعود عليه وعلى ذلك الميراث بالنفع والخير .

الثانية : من اللازم أن يكون الدخيل مصوغاً صيغة عربية ، بقدر ما يمتد الامكان اليه ، على شريطة الا تشوه الصياغة تلك الكلمة الدخيلة ، فبدلا من « بارومتر » نقول « برْمتر » وزان « زنجفر » وتلفن وزان دحرج الخ . وان نغير الكلمات الاعجمية فنبدل الحروف التي ليست من حروفنا ، الى اقربها مخرجاً ، كما فعل العرب عن قبل .

الثالثة: بهذه الواسطة نغني اللغة العربية ونخدم طلبة الطب وسائر العلوم والفنون لان تلك الالفاظ الصناعية والعلمية والنفسية شائعة في جميع اللغات الاوروبية التي يقرأ ابناؤنا كتبها، ومصلحتنا تقضي علينا بان نسير في الطريق الاقرب. والا بقينا منحطين عنهم. وحين كان اهل أوربا دون العرب في الفلك والكيمياء، اقتبسوا كثيراً من كلام العرب.

أما اذا أوجدنا أسماء عربية لجميع المسمّيات الحديثة، فيضطر الطلاّب الى استظهار آلاف الفاظ جديدة ينوءون بها؛ وخصوصاً في هذا العصر الذي تكاثرت فيه انواع الصناعات والعلوم والفنون.

الخلاصة

ان الدخيل يحسن الاكثار منه في اللغة العربية، تمكيناً لها من مجاراة اللغات الحيّة. وطريقته لا تقتضي طويل زمان ولا وافر مال. وليس من الصواب حسبان الدخيل مُفسداً للعربية.

ذلك رأينا في هذا الشأن، نبسطه لائمة اللغة وادبائها. وما نحن، في كل حال، ممّن يرغبون عن الانقياد لذوي الآراء السديدة. فما غايتنا من هذه المباحث سوى خدمة هذه اللغة ومعاونة الآخذين بنصرتها. فإن اخطأنا فنحن أوّل المخطئين؛ وإن أصبنا، فمع الخواطئ سهمٌ صائب؟

الخوري مارون غصن

* * *

(المجمع) اصحاب المقالات هم الذين يتحملون تبعة ماينشرونه في مجلة المجمع ولا يكون ذلك معبراً عن رأي المجمع العلمي بوجه من الوجوه، وانما غاية المجمع في نشر هذه الابحاث ان تكون مجالا للمناقشة العلمية الحرة توصلا الى الافصح والاصلح من الالفاظ والتراكيب العربية.

ولذلك كان المجمع العلمي لا يجيز التساهل في قبول الدخيل الى هذا الحد الذي ذكره الاستاذ غصن ، كما أنه لا يجيز جميع ما كتبه في المجلد الثالث عشر ، والجزء السادس ص ٣٠٠ بشأن النحت والحاق كلمة اعجمية مثل (خانه) في آخر الكلمات العربية فيقال (صورخانه) ، بل ان مجمعنا العلمي ويعضده مجمع اللغة العربية يرفضان كل كلمة اعجمية او دخيلة اذا أمكن الاستغناء عنها بكلمات اللغة الفصحى ، على انه ما عاد يسوغ لاحد منا ان يكون قوله فصل الخطاب في وضع الكلمات الجديدة ما دام هناك مجمعان لغويان يرجع اليهما في شكل هذه الاوضاع ، ولأحد اعضاء المجمع كلمة في هذا الموضوع نثبتها في عدد آخر .



الفوتنج والفوذنج والفودنج

نشرنا في مجلة مجمعنا العلمي كتاب إصلاح ما تغلط به العامة للامام الجواليقي ثم نشرناه بالطبع مستقلا ، ومر فيه (١) ذكر الفوذنج والفوتنج فعلقنا عليه تعليقاً مجملا واعدين بتفصيل هذا الإجمال في أحد أعداد هذه المجلة فنقول :

أعربية أم معربة ؟ — يذكر صاحب التاج في الفوتنج أنه معرب بوتنك ، وفي الفوذنج أنه معرب بوديتة ؛ وكذلك اختلف من المتأخرين صاحب محيط المحيط فقال : الفوتنج دواء فارسيته فوتنك ، وذكر في مادة الفوذنج انه معرب عن بودنة ؛ كما أشار الى ذلك صاحب (٢) كتاب (الالفاظ الفارسية المعربة) ، وأما المعاجم الفارسية فقد ذكر البرهان القاطع لفظة بودنه (٣) وانها النبت المسمى ياربوز ، فالاقوى اذن أن تكون فارسية وان العرب عربوها بالفوتنج والفوذنج أو الفودنج باهمال الدال وضم الاول والرابع (٤) .

ماهية الفوتنج . — والفوتنج أو الفوذنج قد اطلق في كتب العرب على نبت هو الحبق ثم على دواء مركب منه ، قال داود الانطاكي في تذكرته المشهورة في مادة (فوتنج) ويقال فوذنج : هو الحبق وهو أنواع كثيرة ، وترجع الى بري وبستاني وكل منها اما جبلي أو نهري ، أما النهري منه فهو الفوتنج المطلق وقد يسمى حبق

---

(١) ص ٢٠٣ و ٢٠٤ من العدد السادس من مجلد هذه السنة ، وفي الكتاب المستقل ص ٣٨ و ٣٩ . (٢) للاستاذ ادي شير (٣) في مادة حبق (٤) انظر تاج العروس مادة فوذنج

التمساح ، وهو يقارب الصعتر البستاني ... والبستاني منه هو النعنع ، وكل له بزر يقارب بزر الريحان ويذهب الكزاز والحيات ولو صرخا ، والثآليل والنسا والنقرس والحكة والجرب طلاء وشربا ونطولا ... وقال بعد ذلك في النعنع البستاني : وماؤه اذا طبخ بالسكر كان شرابا قاطعا لانواع الصداع ، وأحدّ البصر ونقى الصدر من جميع الامراض ... ويفرح خصوصا مع العود والمصطكي . فهذا الكلام يدل على أن الدواء مركب من الحبق أو الفودنج بالدال المهملة (١) .

وقد اذكرتني لفظة فوذنج المعربة عن بودنه بحلوى بودنغ Pudding الانكليزية فبحثت عنها في المعاجم الانكليزية فوجدتها تطلق على هذه الحلوى المشهورة التي اقتبست أمم الغرب صنعها واسمها عن الإنكليز ، وقد سررت حين وجدت (وبستر) اللغوي الانكليزي الثقة يذكر في معجمه نبت البودنغ Pudding grass ويذكر في تعريفه انه الحبق الصادق واسمه اللاتيني (Mantha pulegium) وانه يستعمل لتطييب اللحم المشوي ، وذكر أيضاً اطلاقه على الحلوى الانكليزية المشهورة ، وعلى نوع من الصخور المكتلة . وبذلك اطمأن القلب بما بين الفودنج العربية والبودنغ الانكليزية من صلة النسب الوثيقة، وتبادر الى الذهن أن الانكليزية اقتبست هذه اللفظة من كتب العلم العربية المنقولة اليها .

أما المعاجم الفرنسية فيذكر لاروس في معجمه الكبير أن لفظة بودنغ انكليزية الاصل ولكنه لم يذكر لها ولا المعلمة الفرنسية الكبرى معنى غير الحلوى والصخر المكتل ، ولنبت الفوذنج او الحبق اسم فرنسي Pouliot فكأن الفرنسية قد استغنت بكلمتها القومية عن اللفظة الدخيلة ، وأطلقت Boudin على المعى (٢) المحشي لحماً مبهّراً ، وأبقت الفوذنج أو البودنغ للحلوى المركبة من الدقيق والسكر والبيض والزبيب وغيره ، ولذلك الصخر المؤلف من حصاه المنتشر في طينه المتحجر تأليفاً يشبه

(١) في آخر الجزء الثالث ص ١٧٠ من كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية طبع مصر . (٢) ما يسمى بالعامية سجق ونقانق .

حلوى الفوذنج ، ولعله لم تذكر الانكليزية ولاالفرنسية دواء الفوذنج لان أساس الطب قد انقلب رأساً على عقب بالنظر الى الطب الحديث فاستعيض عن دواء الفوذنج القديم بدواء آخر أشد منه نفعاً .

وقد ذكرنا الآن أن اللغات الغربية قد اقتبست عن الانكليزية صنعها واسمها معاً فإن لفظة بودنغ الانكليزية المراد بها الحلوى قد انتقلت بصيغة **Podding** الالمانية و **Puddig** الجرمانية السفلى و **Puding** الاسبانية و **Pudim** البرتغالية و **Budino** الايطالية و **Poten** الولشية و **Podding** الدنيمركية إلى غير ذلك .

تعريب البودنغات . — فإذا أردنا أن ننقل هذه البودنغات الافرنجية من لغاتها الى العربية وجب علينا تعريبها بالفوذنجات كما صنع أجدادنا من قبل ، وكذلك نعرب من كتب طبقات الأرض الفرنسية مثلا لفظة **Pudingue** الموضوعة لبعض الصخور المكتلة أو الفودنج أو الفوتنج ونطلق هذه الاسماء أيضاً على الحلوى والنقانق ، ولا نطلق عليها فطيرة الزبيب كما فعل الاستاذ محمد البخاري في قاموسه .

وأما صاحب (١) القاموس العصري ، فقد ذكر في ترجمة بودنغ ما نصه (بودينة عجين مخبوز ، مقانق ، سجأ ، سجق)

وأغفل المعجم الفرنسي العربي للاستاذ **Belot** اليسوعي لفظة بودنغ كما أغفلها قاموس الدكتور محمد شرف مع أنها لفظة علمية مستعملة في كتب الجيولوجية .

ان هذا البحث عن الفوذنج ليدلنا على وجوب الاتئاد والاستقصاء في البحث عن الكلمات العربية أو المعربة المنبثة في كتب السلف العلمية ، فإذا لم نجدها حذونا حذوهم في التعريب والوضع وهو ما يجذب اليه العقل والطبع أبداً .

التنوخي

---

(١) الاستاذ الياس انطون الياس .

لغة المتنبي

للأستاذ عبد القادر المبارك

قال فيها البليغ ما قال ذو الـ ي وكلٌ بوصفها منطيق
وكذاك العدو لم يعدُ أن قا ل جميلاً كما يقول الصديق (١)

أبو الطيب المتنبي الذي يمت بنسبه إلى قحطان من العرب العاربة ولد وترعرع في الكوفة مدينة الشعر والعروبة في الإسلام بعد أن مضى على تمصيرها في عهد ثاني الخلفاء الراشدين ثلاثة قرون ظلت فيها مقراً لأقطاب اللسان العربي ورجالات اللغة الفصحى من عرب وأعراب · فلا غرو أن يكون أبو الطيب المتنبي الذي ولد ونشأ فيها معرقاً في عروبته اللسانية إعراقه في عروبته القحطانية · على أن الكوفة التي صارت بعد الإسلام من أعظم الحواضر العربية كانت بقعتها قبل إنشاء المباني فيها بادية مأهولة بعرب الجاهلية وأعرابها من سكان الوبر الذين كانت وفودهم لا تبرح غادية رائحة بين منازل ملوك العرب من اللخميين والمناذرة إذ ليس بين الحيرة عاصمة ملوك العرب في الجاهلية وبين الكوفة سوى ثلاثة أميال ·

وفي جوار الكوفة الخورنق الذي ذكرته العرب في أشعارها وضربت به الأمثال في أخبارها كما قال ياقوت ونقل أيضاً عن الهيثم بن عدي (٢) أنه لم يقدم الكوفة أحد من ولاتها إلا وأحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئاً من الأبنية · وقال ياقوت أما ظاهر الكوفة فإنها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغريّان وما هنالك من المتنزهات والديرة الكثيرة اه فحق لأبي الطيب أن يكون

---

(١) هذان البيتان لابي البيداء اسعد بن عصمة الرياحي (٢) وهو كوفي ايضاً

من أعرق الشعراء في عروبته ومعرفته بلغة أولئك الذين يقول الأسود بن يعفر فيهم :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

وما من بقعة في الكوفة وما جاورها إلا وهي معهد من معاهد العروبة التي يحن أبو الطيب اليها حنين الأسد إلى عرينه ولبوته ومن أحق من عباقرة الشعراء بحب وطنه ولغته فالله أعلم بما اهتاج في نفس أبي الطيب من طرب حين تغنى بقوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

ولئن كان أبو الطيب قد حيل بينه وبين وطنه فقضى معظم سني حياته بعيداً عنه فإنه ما حيل بينه وبين لغته العربية التي لم ينزع إلى لغة سواها ولم يهو شيئاً هواها تلقنها طفلاً وشعر بها مراهقاً وتضلع منها يافعاً واستحوذ عليها فتىً وبذ فحول شعرائها مكتهلاً . ولو أراد أبو الطيب أن يكون كاتباً لأنسانا الصولي والجاحظ ولو أراد تدوين اللغة العربية على مثال معاجم أئمتها لما سبقه الأزهري في تهذيبه والفارابي في ديوانه والصاحب في محيطه وابن فارس في مجمله وابن دريد في جمهرته وأبو علي الفارسي في تذكرته وغلام ثعلب في يواقيته وابن جني في مقتضبه وخصا أصمعي على أن شاعريته التي أخمل بها فحول الشعراء أفادتنا عشرات الكتب التي ألفها علماء اللغة العربية من كبار أدبائها ومراة نوابغها بسبب ديوان شعره شرحاً وبحثاً ونقداً وسيظل شعره مدعاة لرجال الأدب العربي إلى خدمة هذه اللغة ما دام أهلها غيارى عليها

ولقد كان لأبي الطيب من الشهرة بالنبوغ والعبقرية في حياته ما كان للجاحظ كما يظهر مما ذكره ياقوت في معجم الأدباء من أن الخطيب أبا الوليد بن عسال حج فلما انصرف تطلع إلى لقاء المتنبي واستشرف ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها وحلة فخر يحتسبها فصار اليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال ألا تنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه فأنشده :

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا الخ فلما أكمل إنشاده استعادها منه ثم صفق ثم قال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبواً

وليس غرضي من هذا الشاهد أن أبحث عن كنه ما أظهره المتنبي من استحسان لهذا

الشعر وإنما غرضي أن الاندلسي شق عليه أن يعود إلى الأندلس دون أن يلقى عظيم أدباء الشرق .

ومن غرام أبي الطيب باللغة العربية حسن تخريجه لولده محسد الذي أجاز هذا البيت

زارنا في الظلام يطلب ستراً فافتضحنا بنوره في الظلام

بقوله :

فالتجأنا إلى حنادس شعر سترتنا عن أعين اللوام

وليس بعجيب على من نشأ تلك النشأة بين عرب الكوفة حضراً وعرب كلب بادية مع ما فطر عليه من لوذعية وشاعرية أن يصبح أستاذاً في اللغة للجاحظ الثاني أبي الفضل ابن العميد الذي قرأ عليه كتاباً في اللغة من تصنيفه وكان يدهش لما يرى من مسابقته لإيراد الشواهد وإفاضته في بيان أسرار القضايا اللغوية .

واستظهاره كتاباً عرض عليه في سوق الوراقين بتصفح يسير وجوابه للفارسي عما جاء على فعلى ولابن خالويه عن أشجى في قوله :

وقاؤكما كالربع أشجاه طاسمه

ولسيف الدولة لما انتقد عليه قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

كل ذلك من دلائل تبريزه في قوة الحافظة وامتلاك زمام اللغة التي ملكته كما ملكها وعنايته بالغوص على المعاني لا يبلغ في التعريف بفضله معشار ما يبلغه فيه شعره الشاعر . فكأن اللغة العربية في شعره غيرها في شعر غيره . والبيان كالجمال في كونه يملك القلوب ولا يحيط بكنه أسراره إلا علام الغيوب . فلا جرم إنه لجدير أن يسمى طوراً شعراً وتارة سحراً ، وتبارك الله أحسن الخالقين الذي خلق الإنسان علمه البيان .

وأبو الطيب إنما كان نسيج وحده ببهاء بيانه وعبقري خياله إذ هو فيهما كالشاعر الذي يقول :

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوٌ عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

وإنك لترحم الشاعر أو الخطيب إذا أطال خوفاً عليه من أن ينبهر أو يصير الى الإسفاف ، أما أبو الطيب فكلما أطال ازداد تحليقاً حتى يجعل مكان الرحمة من سامعه حسداً ، كما يحكى عن زياد بن أبيه وهو في شاعريته الغنية بثروته اللغوية أجدر من أبي العتاهية الذي نشأ في الكوفة بأن يقال فيه : لو أراد أن يجعل كلامه كله شعراً لفعل .

فلسانه كلسان عبد الملك المتكدري الذي قال فيه ابن المعدل : كلما تذكرت أن التراب أكل لسان عبد الملك حقرت الدنيا في عيني ، وكلاهما أقام ردحاً طويلاً في البادية بين بني كلب ؛ وكان عبد الملك اذا حاور الإمام الشافعي ظلَّ من يسمعها مبهوراً من فصاحتهما لأن الإمام تأدب في البادية بهذيل كما أن ذاك تأدب بخؤولته من بني كلب .

وكان أبو الطيب طباً بوضع الكلم في مواضعه أكثر مما كان عنترة الفلحاء طباً بأخذ الفارس المستلئم ، فهو كما قال امرؤ القيس :

يذود القوافي عنه ذيادا ذياد غلامٍ غويٌ جرادا

ومن مزاياه العربية غيرته على شعره أن ينتجع به من لا يفقه أسرار اللغة ، وكانت هذه المزية من أشد البواعث على رغبته في إيثار سيف الدولة الذي كان يود أن لا يفارقه حتى يفارق دنياه .

ولولا ذلك لانتجع من نبغ في زمن خلافتهم من ملوك بني العباس وهم : المقتدر ، القاهر ، الراضي ، المتقي ، المستكفي ، المطيع ؛ لكنه رأى السلطة في بلاطهم ، بله مملكتهم لطاطم الموالي وأقزام المماليك ، فكانت بغداد عنده كشعب بوانٍ في طمطمانية المتحكمين فيها :

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

وكل ما قاله في مدح غير سيف الدولة ليس إلا إغراء له بطلبه ومعاتبة له ، وهل يستطيع من وُلد وترعرع في مدينة المنبر العلوي منجبة الألوف من فحول البلغاء ، وهو

بارٌ بلغته إلا أن يكون كأبي الطيب اعتزازاً بعربيته وإعزازاً لهـا ، وإشفاقاً عليها من آفات اللحن ، إشفاق ذلك الأعرابي الذي سمع أحـد الخلفاء من العباسيين يلحن فصرّ أذنيه وقال : أشهد أنك ما وليت الخلافة إلا بقضاء وقدر .

وإليك مثالاً من فقه اللغة في الكوفة من محاورة بين كوفيّ واثنين من الأعراب في القرن السادس للهجرة ، بينا كان الكوفي عمر بن ابراهيم العلوي يغرس فسيلاً في حائطٍ له إذ مرّ به أعرابيان فقال أحدهما للآخر : أيطمع هـذا الشيخ القحل أن يأكل من جني هذا الفسيل ، فسمعه الشيخ وقال : يا بني كم من كبش في المرعى وكم من خروف في التنور ، فسمع أحدهما دون الآخر الذي سأل رفيقه عما يقول العلوي ، فقال له إنه يقول : كم من ناب تسقى في جلد حوار ، فعلم الأعرابي ما قال وأعجبه ذلك .

هذا بعد عصر المعري الذي استنبط فيه العرب ، فمـا بالك بالعصور الأول في عكاظ الإسلام مربد البصرة وظاهر خدّ العذراء التي كانت من أكبر مدن العرب العرباء وفي مدرسة أبناء أشرافها أو كتابيهم تلقى المتنبي دروسه الأولى باللسان العربي المبين الذي جرى على لسانه الطليق الذليق شعراً مبشراً بعبقريته وهو ابن عشر سنين .
وبعد فإني أقول في لغـة أبي الطيب ما قاله يونس بن حبيب في ابن العلاء البصري : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء لكان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو ابن العلاء كله في العربية ، ولكن ما من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك إلا أفصح من نطق بالضاد نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام .

وحبّ المتنبي اللغة العربية حدا به الى الإمعان في تعرف أسرارها والحرص على تصفح خيرة معاجمها الكثيرة التي أولهـا العين للفراهيدي ، وآخرها المحيط للصاحب ، والصحاح للجوهري ، وكتاب العالم واللغة المفتتح بالفلك والمختتم بالذرة لأحمد بن أبان الأندلسي المتوفى سنة (٣٨٢) وهو مائة مجلد ، ولقد بلغت كتب اللغة في القرن الرابع للهجرة من الوفارة والكثرة ما يكفي في الدلالة عليه قول الصاحب ابن عباد كما في المزهر : أحتاج الى ستين جملاً أنقل عليها كتب اللغة التي عندي . فهل يصح بعد هذا أن يقال : كل ما في كلام المتنبي من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو

في كتاب الجمهرة وهو قوله : تطوى الجلحة العقد كما يدعي صاحب كتاب إيضاح مشكل شعر المتنبي ، على ما نقل صاحب الخزانة الكبرى ، وأنى يمكن الوقوف على سند صحيح يثبت أن أبا الطيب لم يطلع على كلمة الجلحة أو العقد إلا في كتاب الجمهرة لابن دريد المتوفى سنة (٣٢١) ، وأبو الطيب طالما أحيا الليالي درساً حين لم يكن له سوى الكتاب سميراً رجاء أن يقف من طريق الصناعة على محاسن لغة أنقنها من طريق الطبيعة في مدرستها العالمية حضارةً وبداوة .

ومثله يترفع أن يقول : إنني أطالع كتاب فلان وأدرس ديوان كذا ، وكلمة جلحة جاءت في شعر بشر بن أبي حازم وفي شعر لبيد وفي شعر امرئ القيس وفي شعر بنت وثيمة في رثائها لأبيها كما في بيان الجاحظ في الباب الذي أوله (وكانوا يمدحون شدة العارضة) . وكلمة انعقد التي هي جمع الأعقد لها شواهد أوفر وأكثر من شواهد الجلحة ، والأليق بالصواب والأقرب الى المعقول في مثل الجلحة أن يقال استفادها من لغة الأعراب الذين كان يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم من أهل البوادي - والتجليح لفظاً ومعنىً بابن الوبر أليق وأعلق منه بابن المدر وقلما تراه في كلام أهل الحضر ، ومعناه الذي هو أن يركب المرء رأسه ويحمل حملة الحيوان الضاري قلما يستغني عنه سكان الصحاري .

وكأن صاحب كتاب إيضاح المشكل أراد الغض من أبي الطيب الذي قُدِّر عليه ان يكون محسداً كما قدر عليه أن يكون أبا محسد بكونه قليل الاطلاع على كتب اللغة وأنه لم يطلع إلا على غريب أبي عبيد وعلى أقل من القليل من جمهرة ابن دريد والمتنبي يقول له بلسان الحال : حرف في قلبك خير من ألف في كتبك ، ورحم الله أبا ذؤيب إذ يقول :

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

والجلحة في كلام المتنبي جاءت في القصيدة التي مطلعها :

« أقل فعالي بلهَ أكثره مجدُ »

في هذا البيت :

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي   وأطوي كما تطوي المجلحة العُقَد

وجاءت في التي مطلعها :

« أيدرى ما أرابك من يريب »

إذ يقول :

مجلحة لها أرض الأعادي   وللسمر المناحرُ والجُنوب

وكان الأولى بالأصبهاني اذا ادعى معرفة مصادر غريب اللغة في شعر المتنبي أن يقول : إنما أخذ المجلحة من بائية امرئ القيس التي أولها :

أرانا موضعين لأمر غيب   ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبان ودود   وأجرأ من مجلحة الذئاب

لأن أبا الطيب لحل شعراء العراق من سلائل عرب اليمن حقيق أن يحفظ شعر امرئ القيس لحل شعراء نجد من أبناء ملوك كندة من اليمن لا سيا الشعر الذي قيل بسبب معركة حمي الوطيس فيها قرب الكوفة وكان يومها عصيباً من أشد أيام العرب هولاً ، وهو يوم الكلاب الذي عم امرئ القيس شرحبيل من قتلاه . ومثل أبي محسد من يعنى بدراسة أخبار العرب لا سيا أيامها ، على ان ذلك كله تحكم ليس له مبرر ، ومن يستطيع ان يحكم عليه انه لم يسمعها ويحفظها في منزل أسرته في كندة بين احياء الكوفة في مدرسة الحياة الأولى التي يكون التعلم فيها بالفطرة ، ولكن يا ابا الطيب :

بحسبك اني لا ارى لك عائباً   سوى حاسد والحاسدون كثير

كما قيل في شأن معاصرك المفضال علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، وليس هذا التحكم عليك في دعوى انك لم تعرف كلمة المجلحة إلا من الجمهرة بأغرب من تحكم من ادعى انك سرقت قولك :

ومن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى

من قصة قصار كان يعمل على شاطئ نهر ، وكان كل يوم يرى كركياً يجيء فيلتقط من الحمأة دوداً يقتصر في القوت عليه ، حتى راى ذات يوم صقراً حلق ثم انقض على حمامة فاصطادها واكلها . فقال الكركي ما لي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هـذا

الصقر وانا اكبر منه جسماً ، فارتفع في الجوّ وانقض على حمامة فأخطأها وسقط في الحمأة فتلطخ رأسه وريشه ولم يمكنه ان يطير ، فأخذه الصياد ورجع الى منزله ، فقيل له ما هذا : فقال « كركي بتصقر » ، فسمع المتنبي هذه الحكاية ، فأخذ منها معنى هذا البيت :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

قال ابن نباتة شارح رسالة ابن زيدون بعد هذه الحكاية : وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود .

عبد القادر المبارك



أبو الطيب والنحاة

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

المجمع : لقد ألقى صاحب الفضيلة ممثل الجامع الأزهر في المهرجان الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد بحثه الممتع في أبي الطيب المتنبي ، ننشر منه خلاصة درسه عن : « أبي الطيب والنحاة » ، وقدأبقينا كامل بحثه لسفر الذكرى .

ليس يسوغ لي في مستهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد أخذ من العربية بأوفى حظ فهو حافظ لغريبها حفظ الباحث المستقصي حتى ليسأله أبو علي الفارسي « كم لنا من الجموع على وزن فعلى » فيبادره بقوله « حجلى وظربى » ويبحث أبو علي ليلته في كتب اللغة لعله يعثر لها على ثالث فلا يجد ، ويقول أبو علي في شأنه « ما رأيتُ رجلاً في معناه مثله » وهذه الشهادة من أبي علي الذي كان يناصبه العداوة ويتحامل عليه ، كافية للدلالة على قدره ، وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغريبها عالماً بمواطن استعمالها متمكناً من قواعدها خبيراً بلغات القبائل ، وله شعر جزل لا نظير له في شعر أحد من شعراء العربية ، وقد خلا كثير من شعره من كل مأخذ وتجانب كل انتقاء ، ولكن له مع ذلك شعراً قد جانب الطرق المشهورة في العربية الى طرق لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجاري على الألسنة ورسموه

قواعد أرادوا أن تكون هي لسان الناس عامة ، وإن أحد قد نال من ابي الطيب في حياته وبعد موته منالاً له وجه صحيح ، وقد بقي اثره والدليل عليه فأولئك هم النحاة ، ولسنا نعني بالنحاة علماء الأعراب فحسب ، وانما نريد بهم كل من كان يتكلم في فرع من فروع العربية ، فهؤلاء هم الذين كان ابو الطيب يضيق بهم ذرعاً ، ويتألم نفسه اذا وجه واحد منهم خطابه اليه ، وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التي يكتسب بها رضاء الناس ، وهم يعمدون الى هذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون ان يقللوا من قيمتها ، ولم يكن النحاة فيما نعتقد قد اكثروا في تعقبه والحملة عليه لوجه العلم ولا انتصاراً للحق ، وانما كان ذلك منهم سلاحاً من اسلحة السياسة التي وجهت الى الرجل ، وليس يعنينا بحث ذلك الآن ، ولكنا نذكر انه — مع عدم توفر حسن النية — قد امكن للنحاة ان يجدوا في شعر ابي الطيب ما يستمسكون به عليه ويتخذونه ذريعة للتشفي منه ولإرضاء سادتهم ، وكانوا يجبهونه بذلك احياناً ، وكانت تأخذه العزة فيسب ويقذع في سبابه أحياناً، شأن المغيظ المحنق الذي يداخله الشك في أمرهم ، وكان ربما ضن عليهم بالإجابة فأحالهم على بعض أصدقائه من النحاة : حدثوا أن ابن خالويه وجه الى أبي الطيب نقداً في حضرة سيف الدولة ، فقال له أبو الطيب « اسكت ويحك فإنك أعجمي فما بالك وللعربية ، وكان مع ابن خالويه مفتاح ، فضربه به فشج رأسه ، وحدثوا أن سائلاً سأله عن قوله في مطلع قصيدة مدح بها أبا الفضل بن العميد:

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا ... وبكاك إن لم يجرِ دمعك أو جرى

فقال له « كيف قلت لم تصبرا ، فقال : لو كان أبوالفتح حاضراً لأجاب ، يريد أبا الفتح عثمان بن جني وكان صديقاً حمياً له ، وبعض المآخذ التي أخذها عليه النحاة تافه أو لا وجه له ، كالذي حدثوا أن ابن خالوية سمعه ينشد سيف الدولة :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فقال له « يا أبا الطيب إنما يقال شجاه يتوهمه فعلاً ماضياً ، فقال له أبو الطيب : اسكت فما وصل الأمر اليك ، يعني أنه أفعل تفضيل .

وبعض المآخذ التي أخذوها عليه صحيح لا شبهة في أنه أخطأ فيه الجادة كالتعقيد اللفظي والمعنوي واستعمال الغريب الوحشي والعدول عن سنن القياس وقبح بعض

المطالع وقبح بعض المقاطع وامتثال اللغات المهجورة ، وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول .

وفي كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبي يعدون بعضها في عيون الشعر ومحاسنه ويعدون بعضها الآخر في رذيل الشعر ومستكرهه .

أما علماء الأعراب فقد جروا على قاعدتهم في عدم الاحتجاج بشعر المولدين مع أبي الطيب ، ولكن كثيراً منهم من يذكر أبياتاً من شعره في موطن من ثلاثة مواطن : موطن التمثيل لا الاستشهاد وموطن مخالفة القياس وموطن التطبيق ، وذلك في المعقد من شعره ، وقد ذكر العلامة رضي الدين في شرح الكافية بعض أبيات للمتنبي على أنها مخالفة للقياس ، وللعلامة المحقق جمال الدين بن هشام صاحب مغنى اللبيب ، ولأبي السعادات ابن الشجري في أماليه شرح وتخريجات لأبيات كثيرة من معقد أبيات أبي الطيب ، وقد كان لأبي الفتح عثمان بن جني صديق المتنبي اليد الطولى في توجيه أنظارهما الى هذه الناحية بما بذله من جهد في تخريج شعر المتنبي ، حتى كان أبو الطيب نفسه يقول له « إني لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة وإنما أقوله لك » .

أيها السادة هذه كلمتي التي كتبتها على عجل وإني لسعيد بأن أتشرف بإلقائها بين يديكم وأشكر لجنة المهرجان التي أتاحت لي هذه الفرصة النادرة للتعرف اليكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .



مهرجان المتنبي الألفي

ما فتئ المجمع العلمي العربي يهتم بما يعلي شأن اللغة العربية والأدب ويغلي قيمة العرب، ومن أبين مظاهر هذا الاهتمام مجلته العلمية وما نشر فيها من الأبحاث عن علوم العرب وعلمائهم، وما خلفوه من تركة مؤلفاتهم الممتعة ودواوين شعرائهم، وما بيّن للناس فيها من مناهج الكتابة المستقيمة، وطرائق التعبير الصحيحة، وعثرات الأقلام، ونبوات أسنة الكلام؛ ومن مظاهره الجميلة أيضاً مكتبته الظاهرية العامة التي كان الفضل في جمع متفرق قماطرها، وتأليف شوارد مخطوطاتها ودفاترها من آثار السلف النادرة، وتراث حضارتهم العلمية المستبحرة، لأحد أعضاء المجمع العلمي، وهو باعث نبضة دمشق العلمية وروحها القومية الشيخ طاهر الجزائري، جادت الرحمة ثراه!

ومما يعين على جمع شمل العرب وتأليف قلوبهم اهتمام المجمع العلمي بالحفلات الترحيبية التي يقوم الحين بعد الحين بها في ردهة محاضراته لمن ينزل حمى دمشق من أعلام علماء العرب، ولمن يجتلي مشاهدها ويزور معاهدها من أئمة الأدب، وقد تكون هذه المحافل تأبينية يتبارى بها أعضاء المجمع العلمي في تأبين العالم أو الشاعر العربي الراحل وفي الاشادة بآثره العلمية والأدبية وفضله على العربية.

ومن قبيل التأبين اهتمام المجمع العلمي بإحياء ذكرى الخالدين من علماء العرب وكتابهم وشعرائهم، كما أحياه منذ سنين من ذكرى إمام المصلحين ابن تيمية بمحاضرة ممتعة ألقاها أحد أعضائه (١)، وها هو ذا يحيي في هذه السنة ذكرى شاعرنا العربي

(١) الاستاذ محمد بهجة البيطار في سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٣٣ م

الكبير أبي الطيب المتنبي بالمهرجان الألفي الذي أقامه له إبان معرض دمشق وسوقها الصناعية في مدرج الجامعة السورية الفخم الرحيب ، وسيحيي كذلك في معارض دمشق المقبلة ذكريات عظماء العرب في العلم والادب فتلتقي كما حدث في هذا العام أسواق عكاظ الأدبية بأسواق دمشق الصناعية والزراعية .

فوائد المهرجانات . — إن لإقامة المهرجانات القومية منافع لا تحصى فإنها فضلاً عن مباراة أمم الغرب الناهض في التباهي بالخالدين من علمائهم وادبائهم — تحبب الخلف بعظماء رجال السلف وذلك بتعريفهم بما كان لهم من فضائل خلقية ومحامد قومية وآثار علمية وأدبية خالدة ، فإن التآلف مابرح وليد التعارف ، والجهل بالآباء يورث وحشة الأبناء ، ويقطع أواصر الرحم القومية ، ويمهد السبل إلى الاعجاب بعظماء الأجنبيين ؛ ومن جملة هذه الفوائد والعوائد على العلم والأدب اشباع الأبحاث عن أئمتهما ، وانضاج ما لم يتم نضجه أو يتكامل استواؤه من درس آثار نحيي بالمهرجانات ذكراها ونشيد بما كان لهم من مآثر ومفاخر .

اقتراح مهرجان المتنبي . — لقد كثر الداعون من أدباء العرب في المشرق والمغرب الى هذا الاقتراح الأدبي المبارك ، والذي نعلمه أن المجمع العلمي العربي اقترح ذلك قبل اقامة المهرجان بنحو سنة على وزارة المعارف السورية ، مشافهة ومراسلة رسمية وكان وزير المعارف يومئذ السيد حسني البرازي فصادف هذا الاقتراح هوى من قلبه فاستحسنه ووعد المجمع بمؤازرته مادياً وأدبياً ، وبعد نحو شهر من ذلك اجتمع كثير من أدباء دمشق للمذاكرة في إقامة هذا المهرجان فذكر لهم أحد المجتمعين أن المجمع العلمي مهتم بهذا المشروع الأدبي الجليل ، وأنه يمهد له مع وزارة المعارف السبيل ، فأجمع الرأي على التخلي عن هذا الأمر إلى المجمع العلمي إذ هو من أعماله وخصائصه .

وبعد أن توفرت للمجمع الأسباب الأولى لاقامة المهرجان ، وأهمها وعد معالي الوزير بمعونة المعارف المادية ، أرسل المجمع العلمي إلى نخبة من علماء دمشق وأدبائها رسائل الدعوة إلى الاجتماع في داره بالمدرسة العادلية الكبرى وذلك مساء يوم

الاحد الواقع في ١٥ أيلول سنة ١٩٣٥ ، وفي اليوم المذكور لبى المدعوون نداء المجمع وترأس معالي وزير المعارف هذه الجلسة الميمونة الأولى ، بمـا لوزراء المعارف من حق في رئاسة المؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية ، واقترح أن ينتخب الحاضرون لاقامة المهرجان لجنة عاملة عامة ورئيساً وكاتبين للسر ، فانتخبوا في ذلك اليوم لجنة تتألف من أعضاء المجمع العلمي المؤازرين وهم الأساتذة : محمد كرد علي وعبد القادر المغربي وفارس الخوري والأمير مصطفى الشهابي وخليل بك المردمي وعبد القادر المبارك ومحمد بهجة البيطار وسليم الجندي ورشيد بقدونس وشفيق جبري وأسعد الحكيم ومرشد خاطر ومعروف الأرنؤوط وعز الدين التنوخي وانتخبوا من غير أعضاء المجمع العلمي الأساتذة : محمد البزم ومحسن البرازي وجميل صليبا ومنير العجلاني وأنور حاتم وأسعد طلس ؛ وتألفت لجنة تنظيمية قوامها الأساتذة : منيف العائدي والأمير جعفر الحسني والاساتذة المردمي والتنوخي وأسعد طلس ويوسف العش .

ثم انتخبت اللجنة من أعضائها الذين حضروا هذه الجلسة المذكورة الأستاذ عبد القادر المغربي رئيساً لها ولكتابة سرها الأستاذين عز الدين التنوخي ومنير العجلاني ، وبعد أن تم انتخاب لجنة المهرجان العامة ورئيسها والقائمين بكتابة سرها وعدهم وزير المعارف بمعاونة وزارته المادية والمعنوية ، ثم أيد وعده الشفهي بكتاب رسمي شدّ من أزر اللجنة وحملها على المضيّ في مشروعها الأدبي الجليل .

وقد والت اللجنة اجتماعاتها واستنجزت وزارة المعارف وعدها فقررت بأخرة إعانة لجنة المهرجان بمبلغ ثلثمائة ليرة سورية ، وتذرعت اللجنة بمستشار معارف المفوضية المسيو بونور ومستشار المعارف السورية المسيو كوله عضو لجنة المهرجان الفخري لمعاونتها من مال المصالح المشتركة ، فقررت المفوضية أن تعين اللجنة اقتداء بالمعارف بمبلغ ثلثمائة سورية أخرى ، كما أن مديرية معرض دمشق الصناعي بفضل مديرها السيد عارف النكدي عضو المجمع العلمي قد قررت إعانة لجنة المهرجان بمبلغ مائتي ليرة سورية ، وأن تكون التسهيلات السفرية للمشتركين بالمعرض من حقوق المشتركين بالمهرجان ، وقد ظلّ تبادل المرافق الأدبية والمادية مستمراً بين المعرض والمهرجان من مبتدئهما الى منتهاهما ، وكما كان معرض دمشق سوقاً صناعية

مادية لبلدان الشام ، كان مهرجان أبي الطيب سوقاً عكاظيةً أدبية لبلاد العرب .

وبعد أن وثقت اللجنة من توفر المال لديها شرعت في إرسال دعوتها المتأخرة للاشتراك بالمهرجان الى علماء الأمة العربية وأدبائها في بلاد الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن وتونس والجزائر ومراكش والى المستعربين من علماء تركية والهند والأقطار الأوربية والأمريكية ، كما أرسلت دعوتها الى جامعات الأقطار العربية والشرقية كالجامعة السورية بدمشق والجامعتين الاميركية واليسوعية ببيروت والجامعة المصرية والجامع الأزهر والجامعة العراقية وجامعة عليكرة الهندية والجامعتين التركية والإيرانية .

ثم أخذت رسائل التلبية تتوارد إلى مكتب سر اللجنة العامة ، وبعد انتهاء الأجل المضروب لقبولها في ١٧ تموز ١٩٣٦ ، أخذت اللجنة في وضع البرنامج لمهرجان اسبوع المتنبي فكان إنفاذها على الصورة التالية :

يوم الافتتاح

الخميس ٢٣ تموز ١٩٣٦ ؛ منذ الساعة ١٧

عشر قرآن : للشيخ أحمد زرزوق ، كلمة الافتتاح : لصاحب الفخامة المفوض السامي مع تعريبها ، كلمة وزارة المعارف العامة يتلوها بالنيابة صاحب الفخامة السيد محمد عطا بك الأيوبي مع نقلها الى الفرنسية ، كلمة أمانة السر : لكاتب سر المهرجان ، كلمة الاستاذ زترستن المستشرق الاسوجي ينوب بها عن المستشرقين ، قصيدة الشاعر الفارسي خسرو دارائي نقلها إلى العربية الاستاذ أبو عبد الله الزنجاني وأنشدها السيد مصطفى الطباطبائي أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة الامريكية ببيروت ، خطبة الاستاذ أحمد أمين مندوب الجامعة المصرية ، اقتراح الاستاذ عبد المنعم رياض لجائزة المتنبي على نمط جائزة نوبل .

يوم المتنبي الثاني

الجمعة ٢٤ تموز ؛ من الساعة ١٧ — ١٩

في العاشرة صباحاً : الاحتفال بفتح شارع المتنبي : كلمة الاستاذ توفيق بك الحياني محافظ مدينة دمشق الممتازة، وكلمة الشكر لكاتب سر المهرجان .

وفي المساء : خطبة الأستاذ أنيس الخوري المقدسي مندوب الجامعة الامريكية (المتنبي والفتوة العربية) ، خطبة الدكتور عبد الرحمن شهبندر (المتنبي شاعر نهضتنا القومية الحديثة) تلاها ابن أخته الاستاذ صلاح الدين المحائري ، قصيدة الأستاذ خليل مردم بك ، (أبو الطيب المتنبي) أنشدها نجله الشاعر السيد عدنان ، خطبة الاستاذ عبد الوهاب عزّام (البداوة في شعر المتنبي) ، خطبة الاستاذ نجيب الارمنازي (عصر المتنبي السياسي) .

يوم المتنبي الثالث

السبت في ٢٥ تموز ؛ من الساعة ١٧ — ١٩

خطبة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد مندوب الجامع الازهر : (أبو الطيب والنحاة) ، كلمة الاستاذ معروف الرصافي مندوب العراق : (المتنبي وحساده) ، قصيدة الاستاذ رضا الشبيبي (ذكرى شاعر) أنشدها شقيقه الشاعر السيد حسين ، قصيدة الاستاذ علي الشرقي (صوت الكوفة) ، خطبة الاستاذ طه الراوي ، قصيدة الاستاذ عز الدين التنوخي كاتب سر المهرجان (صوت دمشق) .

يوم المتنبي الرابع

الاحد ٢٦ تموز ؛ من الساعة ١٧ — ١٩

خطبة الدكتور نقولا فياض : مندوب لبنان (هل كان المتنبي مجدداً ؟) ، خطبة الاستاذ أمين الريحاني (المتنبي رسول العروبة) ، خطبة الاستاذ فؤاد البستاني : مندوب الجامعة اليسوعية ، قصيدة الاستاذ حليم دموس (ذكرى المتنبي) ، خطبة الاستاذ سامي الكيالي (المتنبي في بلاط سيف الدولة)

يوم المتنبي الخامس

الاثنين ٢٧ تموز ، من الساعة ١٧ — ١٩

خطبة الاستاذ أحمد رضا : (روح الطموح في المتنبي) ، قصيدة الاستاذ سليمان ظاهر : (المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي) ، خطبة الأستاذ حبيب شماس مندوب المدرسة البطريركية ، خطبة الأستاذ أديب التقي (المتنبي وسيف الدولة) ، قصيدة الأستاذ باقر الشبيبي : (تحية المتنبي) أنشدها شقيقه السيد حسين الشبيبي ·

يوم المتنبي السادس

الثلاثاء ٢٨ تموز ، من الساعة ١٧ — ١٩

خطبة الأستاذ خليل الخالدي : (شعر المتنبي في محاكم النقد) ، ترجمة خطبة الأستاذ زترستن لكاتب سر المهرجان ، خطبة الأستاذ عبد القادر المبارك (لغة المتنبي) ، قصيدة الاستاذ محمد البزم ·

يوم المتنبي السابع

الأربعاء ٢٩ تموز ، من الساعة ١٧ — ١٩

خطبة الاستاذ فائز الخوري مندوب الجامعة السورية (المرأة في شعر المتنبي) ، خطبة الاستاذ سليم الجندي ، قصيدة الاستاذ عمر أبي ريشة : (الشاعر) ، خطبة الاستاذ جميل صليبا (فلسفة المتنبي) ، كلمة الاستاذ محمد إسعاف النشاشيبي في المتنبي ، كلمة الختام لكاتب سر المهرجان ·

* * *

ولا حاجة بنا الى تقريظ ما تكلم به الخطباء أو أنشده الشعراء ، فإن نشر ذلك في سفر الذكرى الذي نحن شارعون في تصنيفه هو كافٍ في تقريظه وبيان ما اشتمل عليه ، ثم إن اللجنة العامة لاجل جهر الصوت وإسماع جميع من في مدرج الجامعة السورية وساحات المعرض معاً قد أعدت مذياعاً جهورياً لذلك مما زاد في جمال

المهرجان وكمال الانتفاع بخطبه وقصائده .

وقد اقترح الاستاذ فائز الخوري في خطبته على المجمع العلمي العربي أن « يهرج » الناس في كل عام بإحياء ذكرى أحد الاعلام ، وكان الاستاذان : أحمد أمين وعبد الوهاب عزام قد اقترحا في حفلة وداعهما على كاتب سر المهرجان أن تمد القاهرة ودمشق العدد منذ اليوم لمهرجة الناس في السنة المقبلة بمهرجان « الجاحظ » وقد وافق على هذا الاقتراح أحد ممثلي العراق الاستاذ طه الراوي وممثل الجامع الازهر الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، فأعلن كاتب السر ذلك على الملأ في كلمة الختام ؛ وانقضت حفلات المهرجان بنجاح وسلام ٩

كاتب سر المهرجان العام

عز الدين التنوخي

خاتمة المهرجان

وعلى أثر انقضاء أسبوع أبي الطيب ورد الى المجمع العلمي طائفة من رسائل التهاني نكتفي منها لضيق نطاق المجلة برسالة المفوض السامي الى رئاسة المجمع العلمي العربي ، وإليك تعريبها :

سيدي الرئيس

إني مع شكري لكم على رسالتكم المؤرخة في ١ آب ، أعزز مرة ثانية هذا الشكر لكم ولزملائكم من أعضاء المجمع العلمي ولجميع أعضاء لجنة المهرجان ولا سيما كاتب سرها المخلص ، معرباً لكم عن تهانئي الحارة على ذلك الرونق الذي عرفتم كيف تفرغونه على موسم ذكرى الشاعر الكبير المتنبي .

إن مثل هذه الحفلات ، التي برهنت على ما أوتيه شعراء الشام وكتابهم وعلماؤهم من نشاط باهر ، قد أيدت العمل (الدور) التاريخي الذي قامت به دمشق ، ذلك المركز العقلي الذي انتشر شعاعه فعم الشرق بأسره ، فللعاصمة الشامية إذن أن تفاخر بحق في هذا اليوم بمهرجانها الجميل .

وتفضلوا ، يا سيدي الرئيس ، بقبول . . . .

التوقيع

مربو

أبو الطيب المتنبي

للأستاذ خليل مردم بك

يفنى الزمان وذكره يتجددُ — آمنت أن (ابن الحسين) مخلدُ
لم تألف الايام صحبة غيره — أمس البعيد ويومنا ذا والغد
الشعر والنفس الابية والحجى — جمعت له فعلامَ لا يتفرد ؟
أما الطموح فخل عنك حدوده — من دونه يدنو السهى والفرقد
وسع الورى ببيانه أفلم يجد — كل امرئ في شعره ما ينشد
فكأنه فلك تلوح نجومه — للمبصرين وكل بيت مرصد
أنظر تجد في كل بيت قبة — كالنور في مشكاته يتوقد

* * *

سقياً لبادية الشآم فقد نضت — سيفاً وشبت شعلةً لا تخمد
مدّت له أملاً كرحب فضائها — وورت زمامَ عزيمةٍ لا تصلد
طبعته مرآةً يريكَ صفاؤها — صور النفوس عواريا تتبعد
وحي البداوة صادق ما شابه — زور الكلام ولا عراه تزيد
بالشيح والقيصوم يعبق شعره — والعنجهية فيها تتمرد
محض (ابن حمدان) هواه لانه — سيف بوجه المعتدين مجرد

* * *

يا مالئ الدنيا وشاغل ناسها — الدهر راوية لشعرك منشد

ضمن الزمان بقاءه فكأنه اقامه في صدره تتردد
آياته لا تنقضي وعظاته كالبحر زاخر موجه لا ينفد
لله رأيك في السياسة انه سهم الى كبد الصواب مسدد
العرب ما صلحت على يد اعجم حكم الاعاجم للعروبة مفسد
اخذوا عليك قساوة ولو انهم خبروا النفوس كما خبرت لا يدوا
شكواك ما زلنا نعاني مثلها كف مضرجة ووجه اسود

* * *

ساموه خطة عاجز فأبت له نفس مشيعة وعزم أبيد
عرضوا حمايتهم عليه بجزية امران ذا نكد وذلك انكد
اترى الفتى العربي يعطي جزية ام كيف يرضى بالحماية سيد
يأبى له أنف أشم وصفحة تزور من صعر وعنق اصيد
شرف حماه بنفسه ووحيده لما هوى وتلا خطاه (محمد)
لو دافع المستضعفون دفاعه ما كان ثم ثعالب تستأسد
ما ضمه قبر وكيف يضمه أرأيت حيا في الضرائح يلحد

* * *

لو نال ما يبغي لكانت دولة اهدى الى سبل الصواب وارشد
ولسن فيها للانام سياسة ما للخديعة والرياء بها يد
الحق فيها لا يغالب انه بظبى السيوف إذا استبيح مؤيد
تأبى التسلط والخنوع فما بها مستعبد عات ولا مستعبد
فالماكرون اذل من ان يمكروا والمعتدون اقل من ان يعتدوا

* * *

يا جامعاً شمل العروبة بعد ما امسى بايدي الحادثات يبدد
فاخو العراق بسحره متدمشق واخو الشآم بآيه متبغدد
الشعر في كف الزمان دراهم يرمى بهرجه ويبقى الجيد
ذهب (ابن اوس) و(الوليد) بسحره لكن بمعجزه تفرد (احمد)



صوت دمشق

للأستاذ عز الدين التنوخي كاتب سر المهرجان

عاش فوق الثرى وتحت الترب ... خالداً في قلوبنا المتنبي
ظلّ ألفاً من السنين يسمى ... شاعر اللفظ والعلى والحرب
ربّ بيت من شعره يتلظى ... كافلاً أن يشبّ نار الشعب
يصف الحربَ للجبان فيغدو ... وهو بالطعن هائمٌ والضرب
يا لعين من شعره العذب فيه ... غمزاتُ الهوى وسحر القلب
ذاب من رقة الخلود ومن قـ ... وة قلب من عاذل غير صبّ
غزلٌ حسن صوغه حمل الظـ ... نّ على أنه صريع الحب
يذر الغافل الخلي شجياً ... ويردُّ الأبيَّ طوعاً يلبي
ساحر الشعر فاتناً كهديل الـ ... ورق في الروض غبّ جود السحب
رائد من مسالك الروح ما بـ ... ن شغافِ من القلوب وخلب

***

يحتذي في البديع حذوَ أبي تـ ... مام والبحتري بنسج العصب
إن يعيبوه بالغريب وضعف الـ ... طبع حيناً وبانقياد الصعب
فهو شبه الجبار يأخذ ما يلـ ... قاه بالقهر حوله والغصب
شعره فيض طبعه لا كشعر ... قدّه الغيّ من صخور صلب

لم يؤول ديوان شعر كديوا ... ن أبي الطيب المرير العذب
هو مرٌّ على الأعادي وعذبٌ ... للمحبين في الجفا والقرب
لست أنسي رؤياه وهو مليكٌ ... فوق عرش من القنا والكتب
وحواليه دولة الشعر قامت ... تسلب اللب بالبيان وتسبي
من رعاياه سيف حمدان من كا ... ن إذا ما ذكرته قلتَ : حسبي
والسريّ الرفاء أنداهم لفـ ... ظاً وأدناهم لمعنى القلب
وابن جنى رأيته يشرح الديـ ... وان شرحاً له يروق ويصبي
لو حسبناهم من الطير كان الـ ... متنبي أمير ذاك السرب
ينشد الشعر بينهم فتراهم ... كالرَّحى إذ تدور حول القطب
كسكارى وما همُ بسكارى ... بل نشاوى خمر الهوى والعجب
سمعوا لحنه فهاموا جميعاً ... لا ترى غير هائم أو صبّ
يرخيم يُنسيك مزمار داو ... د وألحانَ معبدٍ في الحب
فهو فيهم ذاك الطبيب المرجّى ... من مريض لروحه مستطب
حفظ الناس شعره فهو درس الـ ... دهر فيهم والدهر خير مربي

***

كم وردنا ماءً فلم يرو منا ... ظمأ غير مستقاه العذب
وتلونا من آية سور الحـ ... مد وشمنا برق المنى ليس يُخبي
حكمةٌ يبهر المعري مناها ... فهي صوب النهى وذوب اللب
حالفته منذ الشبيبة حتى ... أن تواري فؤاده في الترب
لم يذرها يوم الصريخ ولا يو ... م نشيد الألحان بين الصحب
ينظم البيت غادياً وهو في الشر ... ق فيمسي لسحره في الغرب
حلب قد غدت بأحمد شهبا ... ء لشعر له خلود الشهب
مادح السيف كان يدعى فأمسى الـ ... سيف يدعى أمدوحة المتنبي
إن مجداً أوتيه أخلده الدهـ ... ر خلودَ الآداب مجدُ الشعب
ضامه أن يرى بني العرب في ضيـ ... م علوج بغير عهد ولب

وبنو العرب ليس تفلح إلاّ ... بملوك منهم أباةٍ عرب
لا يبالي الشرق المضيم إذا ما ... اتحد العرب ساعةً بالغرب
يثب الليث إن أثير وليث الـ ... ـعرب في الناس رابضٌ للوثب
أسبيءُ يوم أرى الطلائع منا ... غائرات على الجيـاد القب
يهجر الطرس واليراع فتانا ... ليراع من القنـا والقضب
لا يرى المجد غير فتكته البكـ ... ـر ونيل استقلاله بالغصب
ذاك يومٌ محجّلٌ فيـه تحطيـ ... ـم قيود وفيه تهنيك حجب
ذاك يوم يقر عين أبي الطيـ ... ـب بالعرب وهو تحت الترب
إنما شعره الشعور المروّى ... بسلافٍ من البلاغة عذب
حسنه يستر الشوائب حتى ... لا ترى غير سالم من عيب
وقصيد الفحول يهرم إلاّ ... شعره فهو في شبابٍ رطب
فالمباني مختارهـا ملءُ عيني ... والمعـاني أبكارهـا ملءُ قلبي
ينتمي كلُّ شاعرٍ لحماه ... وهو للعرب ينتمي والشهب
شعراء الأجيال يمشون فوق الـ ... أرض طراً ومشيه في السحب
ملأ الكون شعره شغل النا ... س بأحوال جدهم واللعب
سار في الكون جائباً كشعاع الـ ... شمس يذكو في كل قطر وشعب
فهو مسعار ثورةٍ وهدى قلـ ... ـب ولحن الهوى وحدو الركب
شعره صورة الحياة لهذا ... يتمشى مع الحيـاة لجنبٍ

مطبوعات حديثة

التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح

للأستاذ الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي

طبع بمطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٣٥٤

من دواعي الفخر والشكر أن نقوم في أرجاء الهند تلك النهضة الدينية المباركة ، ونرى من آثارها كتب الدين والعلم تطبعها الجمعيات الاسلامية بلغة القرآن ، وهذا المجلس العلمي الاسلامي الشهير بمجلس إشاعة العلوم الكائن بحيدر آباد دكن يقوم بطبع كتاب في مدينتنا دمشق الشام من أجل كتب السنة ، وعليه تعليق من أنفس التعاليق ، ألا وهو (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح) .

اشتهر كتاب (مصابيح السنة) للامام حسين بن محمد الفراء البغوي الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ هـ ، واعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق ، وذكر له في كشف الظنون شروحاً كثيرة (ص ٤٤٢ — ٤٤٥ ج ٢) .

ثم إن الشيخ ولي الدين أبا عبدالله الخطيب التبريزي أكمل المصابيح وذيل أبوابه ، فذكر الصحابي الذي روى عنه ، وذكر الكتاب الذي أخرجه منه ، وزاد على كل باب من صحاحه وحسانه ، وسماه (مشكاة المصابيح) فصار كتاباً كاملاً ، فرغ من جمعه آخر يوم الجمعة من رمضان سنة ٧٣٢ ، وله أسماء رجال المشكاة ، وشرحه العلامة حسن ابن محمد الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ ، وسماه الكاشف عن حقائق السنة »

بعد هذا التمهيد أقول : إن كتاب (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح) لمؤلفه الأستاذ الفقيه المحدث الباحث النظار مولانا الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي يقع

في نحو ستة مجلدات بالقطع الكبير ، وقد تم طبع ثمن اربعة منها بالشكل الكامل ، على ورق أبيض ناصع ، مع شرحه الذي يبلغ نحو ضعفي الأصل ، ومجموع الصفحات يزيد على (١٦٥٠) صفحة .

أما طريقة المؤلف في شرحه ، فقد أوضحها بقوله : وأكبر عنايتي ، وغاية اهتمامي في هذا التعليق بشرح الأحاديث وإبراز نكاتها ، ولطائفها ، وبيان أسرارها ، ومعارفها وكشف حقائقها ، ودقائقها على ما يقتضيه علم المعاني والبيان بعد تتبع كتب العلماء الراسخين المعروفين بهذا الشأن ، اه

وهذا الوصف منطبق على هذا الشرح الجليل تمام الانطباق ، فقد عني الأستاذ المؤلف بالكشف عن مخدرات معاني الاحاديث النبوية ، واستخراج النكات البلاغية منها ، واستنباط دقائق الأحكام ، وبدائع الفوائد ، ولطائف الأسرار ، وهذا هو الذي جعله يؤثر الاقتباس من شرح التوربشتي والطيبي للمصابيح والمشكاة ، ومن كتاب اللمعات ، وهو شرح للمشكاة مخطوط ، ومن كتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي ، وهؤلاء ممن عرفوا باستقلال الفكر ، وإبراز لطائف المعقول من المنقول .

وفي الشرح نقول جليلة عن حكماء الإسلام وحفاظه الأعلام كالغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حجر العسقلاني وغيرهم ، ومن مباحثه النفيسة ما يهم أبناء هذا العصر كعقيدة الايمان بالقدر ، فقد كتب فيها صفحات ، ونقل شذرة عن المحقق ابن القيم رد بها ضلالة الاعتذار بالقدر ، وإليك مثالا مما قاله — وهو يحكي أقوال من نزهوا أنفسهم ، ونسبوا الظلم إلى الله سبحانه وتعالى - قال رحمه الله : وقال الآخر ، ابن آدم كرة تحت صولجانات الأقدار يضربها واحد ويردها الآخر وهل تستطيع الكرة الانتصاف من الصولجان ؟ ومن له أدنى فهم وبصيرة يعلم أن هذا كله تظلم وشكاية وعتب!

فيا له ظالما في صورة مظلوم ، وشاكيا والجناية منه ، وقد جدّ في الاعراض وهو ينادي طردوني وأبعدوني ! ولىّ ظهره الباب بل أغلقه على نفسه وأضاع مفاتيحه وكسرها : ويقول :

دعاني ، وسدّ الباب دوني ، فهل إلى دخولي سبيل ؟ بينوا لي قضيتي !

يأخذ الشفيق بحجزته عن النار وهو يجاذبه ثوبه ويغلبه ويقتحمها ويستغيث ما حيلتي

وقد قدموني الى الحفيرة وقذفوني فيها : والله كم صاح به الناصح الحذر الحذر ، إياك إياك وكم أمسك بثوبه ، وكم أراه مصارع المقتحمين وهو يأبى الا الاقتحام :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصحُ

الى آخر ماذكره الامام ابن القيم ، بهذا الأسلوب الشائق المؤثر ، وفيه مقنع لمن وعى وتدبر ، فقد سدّ فيه على الجبري منافذ القول ، ورد عليه ضلالة الاعتذار بالأقدار .

وبعد فقد عاد صديقنا المؤلف إلى الهند ، ليسعى في اتمام طبع الكتاب بدمشق ، فنسأل الله تعالى أن ييسر له انجاز طبعه ، ويشكر لجمعية إشاعة العلوم حسن صنيعها ، ويثيب الاستاذ المؤلف وجمعيته المباركة افضل الثواب .

محمد بهجة البيطار

مقام ابرهيم

خطبة للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي من أعضاء المجمع العلمي ، ألقاها في حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت في دمشق لابطل المجاهد : ابرهيم هنانو .

عُرف الاستاذ النشاشيبي في علمه بسعة الاطلاع ، كما عرف بأسلوبه البياني ، فقد لا تتضح شخصية كاتب فيما يكتب وضوحها في أسلوبه الذي يكثر فيه الاستشهاد بالكتاب المبين وشعر العرب الاولين ، وأقوال العلماء منهم والباقاء الابيناء ، ولا أدل على ذلك من مطالعة كتابه « مقام إبرهيم » المشتمل على حواش أدبية ولغوية وتاريخية نفيسة ، وعلى دعوة زعماء العرب الى التساهل الحزبي ، وعلى شكواه من ملوك المسلمين وأمرائهم ، وتمجيده للبطولة والابطال .

وكتابه هذا مؤلف من شذرات بيانية ينتهي معظمها بآيات قرآنية ، ويفصل بين شذراتها هذا القول الكريم :

سلام على إبرهيم كذلك نجزي المحسنين

الحيرة

المدينة والمملكة العربية

تأليف الاستاذ يوسف رزق الله غنيمة بقطع متوسط عدد صفحاته ٣٥٢ ورسومه ٦٣ . طبع بمطبعة دنكور الحديثة ببغداد ١٩٣٦

اضاف الأستاذ الى مؤلفاته هذا الاثر المفيد ، افتتحه بوصف لوضع العراق وجيرانه في عهد ملوك الحيرة ، ثم ذكر اخبار نزوح العرب الى العراق منذ العصور القديمة وأضاف الى ذلك ثمرات أبحاثه فاجاد باستنباطه واجتهاده كما احسن باصطفاء مصادره ، واختتم كتابه بفهارس وجداول زادت الانتفاع بهذا الكتاب .

ذكر المؤلف أن بدء خراب الحيرة كان منذ أنشأ المسلمون الكوفة عام ٦٣٨ م ؛ والحقيقة أنه بدأ خرابها وانحطاطها يوم تغلب المنذر الثالث على قابوس سنة ٥٨٠ م ، فغزا الحيرة وأحرقها ، كما أن ازدهار الحيرة كان عقب سقوط مملكة تدمر العظيمة التي كان يخطب ودها الفرس والرومان ليتخذها كل منهما عوناً على الآخر في حراسة حدود البادية ولما أفل نجم تدمر وفقدت مكانتها الحربية أهمل أمرها فعني الفرس بالحيرة وملوكها فاتخذوهم أنصاراً لهم بحروبهم وغزواتهم . ونقل الأستاذ نبذة عن الخط العربي ونشأته في الحيرة مما لاتقره عليه بعد الاكتشافات الحديثة والوقوف على سير تطور الخط العربي في جميع مراحله . ونقل ما ذهب اليه بعضهم بأن قصر الأخيضر هو بقايا حصن الأكيدر مع أنه من الثابت إسلاميّ عباسي ومصلاه ومحرابه يشهدان بذلك . ووقع بعض الخطأ في نقل كتابة امرىء القيس فقال « وأخضع قبيلتي أسد ونزار » وصوابه وأخضع قبيلتي أسد وقبيلة نزار وقال « وهزم مذحج » وصوابه وهزم محج وقال « وقاد الظفر الى أسوار نجران » وصوابه في حصار نجران وقال « بكسول » وصوابه كسلول ، وعثرنا في هذا الكتاب على طائفة من الأغلاط المطبعية لا تخفى على القارىء ؟

جعفر الحسني

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٦ م
جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
تدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها　في الداخل ٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة　«　«　٢٠٠
« الاولى الى السادسة　«　في الخارج ٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة　«　«　٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

نظرة في النحو

للأستاذ طه الراوي

قالوا : ان العربية مفتقرة الى معجم لغوي يتحلى بخصائص المعاجم العصرية في اللغات الحية وحق ماقالوا ، ولكنهم نسوا ان إلى جانب هذا الافتقار افتقاراً آخر لا يقل عنه مسيسا ، ان لم يرب عليه . ذلك هو وضع كتاب في النحو يتحلى بأكمل ما يتطلبه العصر من جودة في التهذيب ، واتقان في التبويب والترتيب ، ليكون معتمداً لجمهرة المؤدبين ، وموردا لمن لم يتأهل لخوض غمار الاسفار المبسوطة من المتعلمين .

ولا يتأتى ذلك الا على يد فئة من اعلام العصر احاطت علما بما تقلب عليه هذا العلم في اطواره المختلفة من رفع وخفض وابرام ونقض ، زيادة على الاحاطة بمذاهب اهله ، واساليبهم في تثبيت آرائهم . تنظر هذه الفئة فيه نظرا بعيدا عن التعصب لمذهب والتحيز الى رأي ، فتمخض قواعده ومسائله مخضا علمياً ، وتخرج زبدته خالصة فتودعها كتابها .

والا فان ابقاء هذا العلم على ما هو عليه من التدافع في المذاهب ، والتضارب في الآراء ، والتشعث في القواعد والمسائل — يدعو الى اطلاق يد الفوضى فيه ، وانخذال النشء عن تعاطيه ، او بالاقل يشزرونه ويستثقلون ظله ، هذا في الوقت الذي نجد فيه الامم الراقية دائبة كل الدأب في تسهيل لغاتها على ابنائها وغيرهم وتحبيبها اليهم بتهذيب مسائلها وصقل قواعدها ، وتقريب فوائدها ، مما يدعو لنمائها ولانتشارها .

ولعمري لو جمد أولونا على ما وضعه لهم أسلافهم من حدود واستخرجوه لهم من قوانين — جمودنا اليوم لما وصل هذا العلم الى ماوصل اليه من الثروة في القواعد والبسطة في المسائل ، ولكنهم جدوا ، وبذلوا الوسع ، وجددوا في هذا الشأن بقدر ما تسمح به طبائع ازمانهم ، والوان بيئاتهم (وكان سعيهم مشكوراً) .

وبقي علينا اليوم أن نأخذ بحظنا من الخدمة في هذا الباب بمقدار ما يتطلبه مزاج العصر من اصلاح وما تسخو به الطاقة من جهد .

واريد ان ألم في هذا المقال بتشخيص بعض العاهات التي عرضت للنحو (اريد به ما يشمل الصرف) والآفات التي منيت بها كتبه ، ولا بد لايضاح ذلك من تقديم كلمة في نشأته وافتراق مذاهبه .

تمهيد تاريخي :

عند ما اتسعت لاجدادنا رقعة الفتوح ، واتسعت لهم الدولة ، ضربوا في الارض وانبسطوا في الآفاق ، وخالطوا صفراء الامم وحمراءها ، واحتكت لغتهم بلغاتهم ، ولم تكد تستقر بهم الحواضر حتى آنسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ، ويدب على السنة احداثهم ، فراعهم ذلك ، وعز عليهم ان تطغي العجمة على لغتهم ، ولغة دولتهم بل لغة ملتهم ، التي هي سر نهضتهم ومصدر عزتهم ، فحفزت الحمية القومية والغيرة الدينية رجالا منهم لنصرتها ، والذب عنها .

وكان مجلى الحلبة في هذا المضمار ابو الاسود الدؤلي الكناني ، احد اعلام التابعين بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من ارباب البصائر الحية ، فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ، واستنباط بعض القواعد اسماها (النحو) ، ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة بالتعليقة ، وهي اول كتاب دون في علم اللسان العربي .

وبهذا نعلم ان النحو اسبق علوم اللغة وضعاً وتدويناً ، والسبب في هذا ان بوادر اللحن واعراض الفساد هجمت على الاعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها على مفردات الكلام وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا الى وضع قوانين تعصم اللسان والقلم عن الخطأ في

نظام التركيب ، واصول الاعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط مفردات الكلم وتحديد موضوعاتها .

البصريون والكوفيون

وابو الاسود وان كان كوفي المولد ، الا انه بصري النشأة ، وفي البصرة وضع حجر الزاوية في أساس نحوه ، وكان تلامذته من اهلها ، ولذلك بقي النحو ربيبا للبصريين يتنقل في حجور ائمتهم ، الى ان كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي ؛ فجمع متفرقه ، وفصل قواعده ، وهذب مسائله ، واكمل ابوابه ، وتقدم الى سيبويه — وكان من انبه تلاميذه ، وأسماهم همة — أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وابدع ما شاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانتقل بعض البصريين من النحاة الى الكوفة ، واتخذها دار اقامة له ، واخذ ينشر النحو بين ظهرانيها ، وكان في الطليعة من هؤلاء ، عبد الرحمن التميمي (المتوفى سنة ١٦٤) ، ثم ابو جعفر الرؤاسي ، وعمه معاذ بن مسلم الهراء ، مبدع علم التصريف .

وأشهر من تخرج بهؤلاء وأنبههم علي بن حمزة الكسائي ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، يأخذ عن الصميم من اهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه امامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ورسم للكوفيين الحدود التي احتذوا امثلتها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند البصريين وعلى يده انماز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدال وتطاير شرر المناقشة بين الفريقين .

البغداديون والأندلسيون

ولما أنشئت بغداد ، وصارت حاضرة الخلافة ، وراجت فيها سوق الآداب ، وكان الكوفيون أسبق الناس اليها لمكانة الكوفة منها من الوجهتين السياسية والجغرافية فكان علماؤها أشد الناس اتصالاً بقصور الخلفاء والأمراء ، والصدور من حلق التدريس ومحافل الآداب فيها ، فكان للكسائي عند الرشيد ولتلميذه يحيى بن زياد الفرّاء ، منزلة مغبوطة ، وقد كان المأمون رسم أن يفرد للفراء مكان خاص في

دار الحكمة ، ووكل به من يكفيه كل حاجته ، وعين له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، وأمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، فكان يملي والوراقون يكتبون حتى أتم تصنيف كتابه المعروف بكتاب (**الحدود**) .

وتخرج بهؤلاء الكوفية جماعة من البغدادية ، ولعوا بالتوسع في الروايات ، والتباهي في الترخيصات ، والتفاخر بالنوادر والطرائف ، حتى ابتعدوا عن أصول أشياخهم ، واستوى لديهم مذهب امتاز عن مذهب أسلافهم ، عرف بمذهب البغداديين

وازدحمت أقدام الأعلام حول مناهل هذا العلم واكثرت التصانيف فيه ، ما بين مطولة ومختصرة ، وبين عامة مشتملة على جميع أبوابه ، وخاصة في باب او بضعة أبواب ، وكثر الأخذ والرد بين البصرية والكوفية والبغدادية ، واختلط اللجاج بالحجاج ، وبينا الناس في هذا التسابق في المشرق كان النشاط آخذاً مأخذه في بناء الدولة الأندلسية في المغرب على أرصن الأسس وأقواها ، وكان لملوك تلك الدولة ولوع عظيم في رفع معالم العلم وإقامة أسواق الأدب ، اقتفاء لآثار أوليهم في شامهم ، وإحياء لمآثرهم في زهو أيامهم ، ومباراة لأبناء عمهم في بغدادهم ، فكان همهم الحدب على أبناء الأدب ، والحرص على تكريمهم وتبجيلهم وادرار أخلاف النعم لهم حافلة ، فأقبل الناس على الآداب يردون حياضها ويرتادون رياضها ، فكان من آثار ذلك أن أنجبت تلك المملكة نخبة من الأعلام ، رجعوا الى ما أصّله العراقيون وما فرعوه على اختلاف المذاهب ، فأطالوا النظر فيه ، ووقفوا على ما بين تلك المذاهب من خلاف ووفاق ، وما يستند اليه كل فريق من رواية ودراية فشقوا لهم طريقاً سويا ، كان عمودهم فيه مذهب البصرية ، لم ينحرفوا عنه الا عند مايجدونه منحرفاً عن حكم الرواية ومنهج الدراية . كما قال أبوحيان : نحن لم نتعبد بمذهب البصريين ، وإنما نتبع الدليل . ولما طغى سيلُ الإفرنجة على تلك الديار ، وفُجعت سماؤها بشموسها والأقمار ، اتجهت أنظار الكثير من أعلامها إلى الهجرة نحو المشرق ، فوجدوا أن مذهبهم قد سبقهم اليه ، فكان لهم الصدور من حلق التدريس ومحافل الآداب ، وكان لمذهبهم مكانته من الاعتبار وحظه من الانتشار ، هذه هي أمهات المذاهب في هذا العلم ، وهناك مذاهب متفرعة عن هذه يعسر حصرها ، إذ يكاد يكون لكل إمام مذهب يخالف فيه غيره ؛ ولو من بعض

الوجوه . فلسيبويه مثلاً : آراء يخالف فيها أشياخه ، وللأخفش آراء يخالف فيها سيبويه وسائر البصرية ، وقد ألف المبرد — وهو بصري النزعة — كتاباً في الرد على سيبويه ، وللفراء مذهب ينحرف فيه عن مذهب الكسائي في غير ما موطن ، وهكذا نجد لكل علم من أعلام العربية آراء ينفرد بها ، تكثر أو تقل بمقدار ما أوتيه من بسطة في العلم وبراعة في الإبداع ، ولكن مرجع ذلك كله الى الامات الأربع ، وأصول تلك الأمات اثنان: البصرية والكوفية ، أما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفة ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرية .

وأجلى ما يناز به مذهب البصرية ، ابتناء قواعده على الأغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه ، وإذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور ، فزع الى التأويل والتوجيه ، أو رمى المسموع بالشذوذ أو الندور ، بل بالتخطئة أحياناً .

أما مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع ، لا يخفر له ذمة ، ولا ينقض له عهداً ، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله ، ونسف قاعدة من قواعده ، ولا يهون عليه إطراح المسموع على الأكثر .

والبصريون يتصلبون في أمر الرواية تصلباً لا يتقيد به رجال الكوفة ، ولذلك نرى أولئك يستخفون برواية هؤلاء ويشزرون رواتهم بعيون ضيقة ، ولا يعلم أن بصرياً روى عن كوفي شيئاً من الشعر يعتمد عليه في الشاهد ، إلا ما كان من أبي زيد الأنصاري ، فانه روى شيئاً منه عن المفضل الضبي قال : لثقته وأمانته .

ويزعم البصريون أنهم انما أخذوا عربيتهم عن الأعاريب العاربين في كبد الجزيرة ذوي السلائق المتوقحة ولا ثقة لهم بمن يجاور الأمصار ويتصل بالأرياف منهم، بخلاف الكوفيين فانهم يأخذون عن أولئك وهؤلاء على حد سواء .

ومن ينظر في نحو البصرة يجد أن القوم يبالغون فيما يزعمون ، أنظر كتاب سيبويه تجد فيه طائفة من شعر الأخطل والفرزدق بل من شعر بشار وهو من مولدي شعراء البصرة ، بله شعراء الأرياف ومجاوري الأمصار .

وبالجملة فإن مذهب البصرية أضبط قياساً ، وأتقن دراية ، ومذهب الكوفية

أكثر تشعباً وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشددهم ، وتحكيم قوانينهم ، ضيقوا على العربية واسعاً في كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذي قدروه بمقاييسهم عن أن يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ، ونعومة اهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم وكبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيبويه في كتابه ، ولحن فلان وفلان وهم من أئمة هذا الشأن ، بله الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين وسنشير إلى أمثلة من هذا في غضون هذا المقال .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك وابن هشام الأنصاري ومن تبعهما ، انتبهوا لهذا الأمر وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك القيود التي لا تجتمع والرواية في مكان . فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ، وبقي على غيرهم أن يتموا مابدأوا به ولكنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً الى معالجة ، فهل يوفق أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة والفوز بهذه الخدمة ؟ نترك الجواب على هذا السؤال لاعلام الادب وأمراء البيان .

ينابيع الشاهد

عندما انصرف العرب الى استخراج مسائل النحو ، وضبط قوانينه . وجدوا امامهم ثلاثة ينابيع واسعة : التنزيل والحديث ، وكلام العرب الموثوق بعربيتهم ، وكان على النحوي الا يقطع في تقرير قاعدة او ضبط قياس . الا بعد ان يتقرى هذه الينابيع بقدر طاقته ، وعلى مبلغ حظه من رواية ودراية ، ولا جرم أنه يتعذر على الفرد الواحد الاستقصاء في الاستقراء ، مهما أوتي من بسطة في العلم ومثابرة على الكد والجد ، فلا بد بعدئذ من الاعتماد على الاستقراء الناقص ؛ بالنسبة للفرد ، وأما المجموع فيراد منهم اكثر من ذلك ؛ بمعنى أن الواحد لا يمكنه الإحاطة بكل ما في العربية من منثور ومنظوم ولكن مجموع ذلك ، أو عظمه مفرق على جميع علماء العربية .

فالاستقراء الفردي لا يؤدي إلى الطمأنينة فلا بد من المصير إلى استقراء الجماعات ثم إن الاطلاع وحده لا يغني شيئاً ما لم يعضده الانتباه إلى محل الشاهد ، وموطن الاستنباط فاذا فرضنا أن الجماعة — بله الواحد — أمعنت في الاستقراء والاستقصاء

لكان غم عليها موضع الشاهد . فكأنها لم تستقر ولم تستقص . ولا جدال في ان ما يبنى على الاستقراء والانتباه الناقصين لا يكاد يسلم من النقص .

اذا عرفنا هذا انكشف لنا السر في سعة شقة الخلاف بين علماء العربية وتشعث الكثير من الضوابط ، بكثرة ما يعقبها من كثرة في الاستدراك ، واختلاف في وجوه النظر .

ولإضاءة طرف من هذه الناحية رأينا ان نفرد لكل ينبوع من تلك الينابيع فصلا برأسه ، نجمل فيه مبلغ حظ النحو منه ، او حظه من عناية النحويين به ، او تفريطهم في جنبه .

القرآن الكريم :

لا جدال في ان القرآن هو الينبوع الاعظم ، والبرهان الاقوم ، في تقرير قواعد النحو ، وتحرير مسائله . وقد اجمع النحاة على صحة الاحتجاج بقراءاته المختلفة ، متواترها وآحادها وشاذها . وحق ما اجمعوا عليه ، لان القراءات على اختلاف انواعها انما تستند على المشافهة بالرواية ، وعلى رسوم امات المصاحف العثمانية . فهي وان انفردت او شذت ، اقوى بكثير من سائر المرويات من الكلم التي ليست بقرآن .

وقد عهدناهم يستشهدون بالروايات المختلفة في البيت الواحد فكيف لا يحتجون بالقراءات المختلفة في الآية الواحدة .

وعلينا هنا ان ننبه الى « ان ائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة ، والاقيس في العربية . بل على الاثبت في الاثر . والاصح في النقل .. والرواية اذا ثبتت عنهم لا يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة . لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها » . و « الاسناد » الصحيح هو الاصل الاعظم والركن الاقوم » عندهم ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعا . وكل قراءة لم تستند على الرواية فهي مردودة وان وافقت مقاييس النحاة .

وكان على النحاة ان يستفيدوا من هذا التشدد في التقيد ، ويصرفوا جل عناياتهم الى الاستعانة بتلك القراءات التي تتمثل فيها افصح لغات العرب واسماها .

ولكن هل فعلوا ذلك ، واعطوا تلك القراءات حظها من الرعاية ؟
نحيل الجواب على هذا السؤال الى الأمثلة التالية :

قال البصريون : لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه الا في ضرورة الشعر فعورضوا بالقراءة المتواترة (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادَهم شركائِهم) بنصب (اولادهم) وجر (شركائهم) وفيها الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول به وهو (اولادهم) فلم يكن من متعددي البصريين المتعصبين لهم الا اقامة النكير على هذه القراءة والاجتراء على تلحين علم من اعلام القراء السبعة ، تلقى قراءته عن كبار التابعين وبعض كبار الصحابة منهم الخليفة الثالث وابو الدرداء ، وهو — بعدُ — من صميم العرب الذين يحتج بكلامهم ، وقد تلقى قراءته هذه عن الاثبات ، وتلقاها عنه الثبات بعد الثبات ، ذلك هو (عبد الله بن عامر) قاضي دمشق وشيخ مشايخ قرائها ، وامام جامعها الاعظم ، على عهد عمر بن عبد العزيز .

وكان اشد علماء العربية انكاراً عليه في هذه القراءة (جار الله الزمخشري) ، وكان عليه ان يستنكر المنع ، لان القرآن الكريم يجب ان يكون متبوعاً ، لا تابعا ، ولكن ما الحيلة وقد ارادوا العكس ، وجاء في قراءة بعضهم (فلا تحسبن الله مخلفَ وعدَه رُسُلِه) بنصب (وعده) وجر (رسله) وفيه الفصل بين المتضايفين بالمفعول به ايضا ، ولكن البصريين لم يعرجوا على هذه القراءة ، ولا على تلك ، ومضوا في رأيهم سادرين .

وقالوا : لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ، الا في ضرورة قبيحة ، ولم يأبهوا للقراءة المتواترة « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ » بكسر الميم عطفاً على الضمير المجرور بالباء ، وهي قراءة حبر الامة (ابن عباس) و (الحسن البصري) و (حمزة) احد الاعلام السبعة .

وقالوا : تبدل الهمزة من حرف المد الزائد الواقع بعد الف مفاعل ، نحو (عجائز) و (صحائف) و (سفائن) والاصل (عجاوز) و (صحايف) و (سفاين) ، قالوا : واذا كان حرف المد اصليًا امتنع قلبه همزة ، مثل (معايب) و (معاون) فلا يقال فيهما (معائب) و (معائن) ، فلما عورضوا بقول العرب (مصائب) و (منائر)

قالوا بشذوذه مما ، ولما وردت عليهم قراءة نافع احد القراء السبعة (لكم فيها «معائش») قالوا هي خطأ ، كأن نافعا جاء بها من عند نفسه ، ولم يروها عن الثقات من الثقات ٠

ومن امثلة ذلك قول ابن مالك في شرح كافيته : ان (بل) لا تقع في التنزيل الا للانتقال من غرض الى آخر ، وفاته انها جاءت فيه لابطال ما قبلها واثبات ما بعدها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) (ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق) ٠

وقال ابو حاتم السجستاني في قوله تعالى (وقيله يارب) لا يجوز ان يقرأ (قيله) الا بالنصب « واما من جر ، او رفع فقوله بظن وتخليط » مع ان القراءة بالجر ثابتة بالتواتر قرأ بها (حمزة) و (عاصم) من السبعة ٠

وقالوا ان الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط وجب ربطها بالفاء وقد تنوب عنها اذا الفجائية ، ولما اورد عليهم قوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون ٠ واذا ما غضبوا هم يغفرون) ، فزعوا الى التأويل ٠ وعندما قالوا ان (اذا) في الآيتين ليست بشرطية وانما هي ظرف لخبر المبتدأ بعدها ، واذا سألتهم الدليل قالوا لو كانت شرطية هنا لوجب اقتران جوابها بالفاء ، وهل هذا الا مصادرة ذميمة ٠

ولما اورد عليهم قوله (ان ترك خيراً الوصية للوالدين) لم يتمكنوا من القول بان (إن) غير شرطية ، ولكنهم زعموا ان جواب الشرط محذوف والتقدير : كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الوصية للوالدين ان ترك خيراً فليوص ٠ ولا يخفى ما فيه من تكلف ظاهر ٠

وقال فريق لا يجوز تسكين لام الطلب بعد (ثم) الا في ضرورة الشعر ، ولم ينتبهوا للقراءة المتواترة (ثم ليقطع) ثم (ليقضوا) فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام ٠

وقال طائفة فيهم المازني والاخفش والمبرد ، وابن السراج ، والفارسي : لا يجوز صوغ اسم التفضيل من (أفعَل) الرباعي الا شذوذا ولم يلتفتوا الى قوله تعالى (ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة) فانهما مصوغان من (اقسط) واقام ولا يجوز ان يقال انه من (قسط) الثلاثي لان معناه جار ولم يعدل ، وهو عكس المراد في الآية الكريمة ٠

والامثلة في ذلك اكثر من ان يتسع لها مقالنا هذا ، ومن هنا يظهر ان القوم قرروا بعض قواعدهم ، وحرروا بعض ضوابطهم ، قبل ان يستقروا القرءان الكريم ، ويستقصوا وجوه قراءاته كاملة ، وعندما يجدون قاعدة من قواعدهم هذه تقصر عن شمول بعض القراءات المعتبرة ، يعمدون الى التأويل يقلبون وجوهه والوانه ، كالذي فعلوه في قوله تعالى ، (ان هذان لساحران) وقوله (والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة) وقوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) .

وقد بلغت الجرأة ببعض الذين في قلوبهم مرض ان زعموا ان هذه القراءات خطأ تولد من خطأ كتاب المصاحف العثمانية في الرسم ، وهذا بهتان عظيم ، ساعدهم عليه جهلهم او تجاهلهم اصول الاقراء اذ يظنون أنه يكفي فيه الاعتماد على الرسم وحده ، وهذا خطأ فاحش ألمعنا اليه في صدر هذا الفصل ، وقلنا ان العمدة في ذلك : الاخذ بالمشافهة ، والتلقين بالمدارسة . ولا يعتمد على الرسم وان وافق مقاييس العربية .

فاذا فرضنا — جدلا — ان كتاب المصاحف اخطأوا في الرسم ، فهل يعقل ان يسري الخطأ الى حفاظ الصحابة الذين شهدوا الوحي ، واخذوا القرءان حرفا حرفا عن الرسول الكريم ، وهم — بعدُ — امراء القول ، وفرسان الفصاحة ، وكلامهم حجة قاطعة في العربية ، فضلا عن رواياتهم في قراءاتهم .

زد على ذلك ان العربية بل البشرية لم تعرف كتابا احيط بالعناية ، واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه ، وكلماته ، وحروفه ، وحركاته ، وكيفية ترتيله بلهجاته مع اتقان متناه في التلقي والتلقين ، ودقة بالغة في الاخذ والاداء — مثل الكتاب العزيز فكيف يراد منه بعد هذا ان يدين لضوابط وضعية تمخضت بها استقراءات ناقصة ، وتحكمات باطلة ، ومن المؤسف ان صنيعهم هذا ادى الى نتيجة مضحكة ، تلك هي اندفاع بعض الجهلة او المتجاهلين من اعداء القرآن : الى القول بان فيه لحنا ، ظنا منهم ان كل ما يخرج عن مقاييس النحاة الوضعية فهو لحن ، وان كان في الذؤابة من الفصاحة ، وسمو المكانة من البلاغة ، وفاتهم ان تلك القوانين يجب ان تستمد من الكتاب العزيز ، وتدين له بالاذعان ، لانه افصح كلام عرفه اللسان العربي المبين ، وما يخرج عليه منها يجب ان يرمى

به عرض الفضاء .

يحكى ان احد المتفلسفة جاء الى ابن الاعرابي يسأله عن قوله (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) قال : (اتقول العرب : ذقت اللباس ؟ فاجابه بالايجاب ثم قال له : هبك نتهم محمداً لم يكن نبياً ، أتتهمه بان لم يكن عربياً ؟؟؟) ونحن نقول لبعض الغلاة من متشددي النحاة ، هبكم تتهمون بعض رجال الاقراء بالتساهل في الرواية اتتهمونهم بالخروج عن صميم العرب الذين يحتج بقولهم ، وهل الراعي والاخطل مثلا اعرق في الفصاحة من ابن عامر وابن العلاء ؟؟! !

الكلام النبوي

لانعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً يسامي الكلام النبوي او يدانيه ؛ فصاحة مبنى ، وبلاغة معنى ، وبراعة تركيب ، وجمال اسلوب ، وروعة تأثير ، لا يختلف في ذلك مخالف ، ولا يمتري ممار ، ومع ذلك تجد النحاة ، متقدميهم ومتأخريهم ، لم يعتمدوا عليه في الاحتجاج لتأييد قواعدهم واثبات ضوابطهم ، واول من اقدم منهم على ذلك ابو الحسن الاندلسي المعروف بابن خروف (المتوفى سنة ٦٠٩) ثم (جمال الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢) وقد توسع في هذا الشأن توسعاً نَفَّس فيه على العربية بعض الشيء ، ولكن القوم اقاموا عليه النكير ، ورموه بالخروج عن سنن النحويين ؛ المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكان اشدهم انكاراً عليه ابو حيان (المتوفى سنة ٧٤٥) ، وقد اطال في تعليل انحراف النحاة عن الاحتجاج بالحديث ، ويتلخص تعليله في امرين : (اولهما) ان المحدثين اجازوا نقل الاحاديث بالمعنى ، ولم يتقيدوا باللفظ ، (الثاني) وقوع اللحن في بعض الاحاديث ، لان في الرواة من ليس عربياً بالطبع ، ولا علم له بصناعة النحو .

اما التعليل الثاني فانه اوهى من ان يقوى على محك النقد ، لانه ضرب من ضروب المصادرة في الاستدلال ، اذ لو احتجوا بالاحاديث لما وسعهم اتهامها باللحن ، ولكان ما اعتبروه لحنا مثالا يحتذى في العربية ، وبرهانا على صحة امثاله من ضروب القول ؛ كسائر الكلام الذي يحتج به .

والقول بان في رواة الحديث اعاجم ليس بشيء ، لان ذلك يقال في رواة الشعر والنثر

اللذين يحتج بهما فان فيهم الكثير من الاعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً ممن يعتد به يمكن ان يوضع في صف (حماد) الراوية الذي (كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج برواياته ، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث ، ثم لو وصل الامر برواة الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة ، لما صح الاحتجاج برواياتهم في الشريعة ، لان تفريطهم — حينئذ — بالالفاظ يسري الى التفريط بالمعاني ، اذ المفروض انهم يجهلون العربية من طرفيها ، ولم يقل بذلك قائل .

واما التعليل الاول فقد كفانا الدماميني مؤونة تفنيده بقوله : « ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب ، وانما المطلوب غلبة الظن ، الذي هو مناط الاحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ ، وقوانين الاعراب ، فالظن في ذلك كله كاف ، ولا يخفى انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لان الاصل عدم التبديل ، لا سيما والتشديد في الضبط ، والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ، ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها ، ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب ، واما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم ... وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين — على تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به وغايته — يومئذ — تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال .. » اه

على ان في الاحاديث طائفة كبيرة تتوفر الدواعي على الاحتفاظ بنصوصها من غير ما تغيير ، مثل الادعية والاذكار ، وسائر ما تتعبد بنصه من الآثار ، والاحاديث القصار ، التي سارت مسير الامثال ، والكتب التي بعث بها الرسول الكريم الى الاطراف ، والعهود المدونة ... الخ .

ثم لا ادري لمَ ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون ؟ من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالعذب الزلال ، فاصبح ربع اللغة بـه خصيباً ، بقدر ما صار ربع النحو منه جديباً .

وكان حالهما في الحكم واحدة   لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

كلام العرب الموثوق بعربيتهم :

يراد بهؤلاء عرب الجاهلية وصدر الاسلام الى ما يقارب النصف الاول من القرن الثاني للهجرة عندما اختلت العلائق ، واختبلت الالسنة ، وعب عباب اللحن في الحواضر ، وطفق يدب الى الارياف والبوادي ، وقد احتج النحاة بالمنظوم والمنثور من كلام الجاهليين ، والمخضرمين ، والاسلاميين ، وطرحوا كلام المولدين والمحدثين .

وذكروا في ساقة الاسلاميين (ابراهيم بن علي) المعروف بابن هرمة وكان قد توفي في اواسط القرن الثاني للهجرة ، وذكروا على رأس المولدين (بشار بن برد) المتوفي سنة ١٦٧ .

وقد كان بعض قدماء النحاة لا يرون الاستشهاد بشعر (جرير) و(الفرزدق) و (الاخطل) ومن في طبقتهم ، فاذا جاء شيءٌ من كلامهم لا يطبق على المقاييس التي قدروها صاحوا بوجه القائل : لحنت ، واسأت ، واخبار عبد الله ابن ابي اسحاق الحضرمي(وهو من الموالي)في تلحين الفرزدق وما وقع بينهما من ملاحاة — مشهورة .

وقد ارتقى الامر ببعضهم الى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى بن عمر ، فانه كان يقول أساء النابغة بقوله : « في انيابها السم ناقع » وكان عليه ان يقول : (ناقعا) ويقول ابن فارس : ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ ، فما صح في شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية واصولها فمردود كقوله : الم يأتيك والانباء تنمى .

وقوله : لما جفا اخوانه مصعبا ، وقوله : قفا عند مما تعرفان ربوع .

فكله غلط وخطأ ... اهـ

نعم ليس في الدنيا من يزعم ان الشعراء معصومون من الخطأ ، ولكن ذلك انما يقع في المعاني ، لا في الالفاظ والتراكيب التي هي نتاج سلائقهم ، وهدتهم اليها طبائعهم .

ولا ندري بعد تلحينهم ابناء اللسان ، علامَ يستند النحوي وبمَ يحتج ؟ وهل قواعد هذا النحو واصوله الا منتزعة من استقراء كلام هؤلاء وامثالهم ، وكيف يسوغ لنا ان نطلب الى امراء القول وقادة القريض ، ان يدينوا في قولهم ، لقواعد وضوابط انتزعناها من استقراء بعض كلامهم وكلام امثالهم ، واذا نحن وصمناهم باللحن في موطن فمن يضمن لنا سلامتهم من اللحن في مواطن اخرى كنا اتخذنا منها سنداً في تقرير اصل ، وتأييد رأي .

نعم لو قالوا فيما لا ترضاه مقاييسهم الوضعية : هي لغة ولكن المتكلمين بها ليسوا بالاكثر حصى ولا بالأنبه قبيلا ، ولا بالافصح قيلا — لهان الامر ، لان القبائل تتفاوت بلُغاها تفاوتا كبيرا ؛ فلغة ازد عمان — مثلا — لاتسامي لغة هذيل ، وهذه لا ترتفع الى موازاة لغة قريش ، بسطة في الرفعة وثروة في الفصاحة ، ولكنهم ابوا الا ان يجعلوا لضوابطهم سلطاناً يستبد حتى بأفواه اهل اللسان ، مع انهم القدوة واليهم المصير في مادة هذه الضوابط ، واستخراج تلك القوانين .

على ان الجمهور لم يلتفتوا الى هذا التحكم ، واحتجوا بالمنثور والمنظوم من كلام اهل الطبقات الثلاث ، بل تجاوزوهم الى بعض اهل الطبقة الرابعة وقد احتج سيبويه ببعض شعر بشار ، مع انه مولد بالاجماع .

ويرى الزمخشري الاحتجاج بكلام ائمة اللغة وكبار رواتها من المحدثين ، جاعلا ما يقولونه بمنزلة ما يروونه ، ثم ان النحاة ولا سيما البصريين منهم لم يعتدوا بكل القبائل العربية على حد سواء ، بل كان جل اعتمادهم على القبائل الضاربة في كبد الجزيرة ، مثل قيس ، واسد ، وتميم ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وطيء .

ولم يصل الى ايدي النحاة من كلام القبائل الموثوق بها الا بعضه ، قال ابو عمرو ابن العلاء (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) اه .

وبهذا وذاك يظهر ما رزئ به الاستقراء من النقص في هذا الشأن : استخفاف بعض أهل اللسان وتلحينهم في لسانهم ، عدم الاعتماد على الكثير من القبائل ، افلات الكثير من كلام القبائل المعتد بكلامها . كل ذلك مما يفت في عضد الاستقراء ويضع من شأنه ، زد على ذلك أن معظم مادة الشاهد كانت من منظوم القول ، وكانوا اذا وجدوا فيه ما لا ينطبق على مقاييسهم ، وأعيتهم الحيل في توجيهه ، حملوه على الضرورة ، والضرورة عندهم مركب وطيء ، فكل ما جاء في النظم مما تأباه ضوابطهم يمكن حمله على الضرورة سواء أكان للشاعر منه مندوحة أو لم تكن . قال بعضهم : الشعر نفسه ضرورة وان كان الشاعر يتمكن من الخلاص بعبارة أخرى . وحاول ابن مالك أن يحدها بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، فلم يسمعوا لقوله وأصروا على تفسيرها بما يقع في النظم دون النثر كأنهم أحاطوا علماً بالنثر كله من جميع أطرافه فاذا جاءهم شعر يخالفه قالوا هذا ضرورة . وقد علمنا نزارة ما وصل الى ايديهم من الشعر بله النثر . ألا تراهم أخفروا ذمام بعض القراآت المتواترة في اسمى نثر عرفه اللسان العربي المبين وما ذلك الا لقصور بعض مقاييسهم عن الانطباق عليها ، فكيف يتأخرون عن الاعتصام بالضرورة ذات المعقل الحصين . وهكذا سقط الاحتجاج بمجموع غير يسير من شعر القبائل المعتد بها والمعتمد عليها في الشاهد ، من جراء الاتكاء على الضرورة في المنع ، ورأينا مبلغ انتفاعهم بالقرآن الكريم وكيف افتأتوا ببعض ضوابطهم على بعض قراءاته المتواترة ، وعلمنا تفريطهم في جنب الكلام النبوي ذلك التفريط الملوم

وأشرنا الى مدى استقرائهم للمنظوم والمنثور من كلام أهل الطبقات الثلاث وكيف تحكموا في المنظوم اكثر مما حكموه .

كل هذا يشير الى أن هناك مجالا للاصلاح جديراً بأن تحتشد له الهمم ، وتتوفر عليه العنايات حتى يتم أمره ويتسق بدره .

وقد أشرنا في موطن آخر من هذا المقال الى أن التشديد في التحديد افضى الى التحريج على الاقلام والالسنة ، وانتهى الامر بتلحين علماء اللسان بعضهم بعضاً ، أما تلحين أهل العلوم الشرعية والكونية في مصطلحاتهم فحدث عن البحر ولا حرج .

ولقد أفردت المصنفات في إحصاء الخطايا اللسانية على حملة الاقلام ولاسيما خواصهم

كما فعل ابن قتيبة في بعض أبواب أدب الكاتب ، وأبو العباس ثعلب في فصيحه ، وعبد اللطيف البغدادي في الذيل والحريري في درة الغواص.

وإذا أنت تصفحت تلك الكتب تقف على مبلغ ما وصل اليه التحكم في الالسنة والأقلام ولاسيما عند المتطرفين من النحويين ، حتى انتهت بهم الحال الى أن ضاق النحو نفسه عن أن يسع نفسه، فضلا عن سائر العلوم ، ولا سيما التي لا عهد للسان المبين بها من قبل .

وهاك نموذجاً مما وصمت به أقلام الاعلام من الانحراف عن سنن تلك الضوابط التي لولا التحريج فيها لسلمت تلك الاقلام من سمة الوصم.

قالوا : لا يجوز إدخال (ال) على (كل) و (بعض) ولكنهم تهافتوا على استعمالها بأل غير آبهين لقيدهم حتى نسب لبعضهم الجهل به . قال ابو حاتم : وقد استعملها الناس (يعني بأل) حتى سيبويه والاخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو اهـ . وفي بعض كتب النحو بدل (البعض) من (الكل) و (بدل الكل من البعض)

وقالوا : لا تستعمل (كافة) إلا منصوبة ومجردة من أل والاضافة . قالوا ومثلها (قاطبة) و (طرا) و (معا) و (عامة) ولكنهم لم يتحرجوا في استعمالها في كتبهم ، على خلاف ما قرروه . من ذلك قول أبي الفتح ابن جني في الخصائص : « افتجمع كافة اللغات على ضعف ونقص؟ نعم ونحن نعلم أن القياس مقتض لصحة لغة الكافة » وجاء في خطبة المفصل لجار الله الزمخشري (ولقد ندبني ما بالمسلمين من الارب الى معرفة كلام العرب لانشاء كتاب في الاعراب محيط بكافة الابواب) وقال الحريري في المقامة المراغية (واستغنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب)

وعقد سيبويه في كتابة باباً لما يحذف المستثنى فيه استخفافاً ذكر فيه أنه يقال : « ليس غير وليس إلا كأنه قال ليس الا ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني » اهـ

وقال ابو سعيد السيرافي في شرح هذا الباب : « الحذف الذي استعملوه بعد الا وغير انما يستعمل اذا كانت الا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من الفاظ الجحد لم يجز الحذف ، لانقول بدل (ليس الا) (لم يكن الا) ولا (لم يكن غير) اهـ.

وجاء آخرون فمنعوا ان يقال : لاغير ، وكان المانعون اكثر تهافتاً على استعمال ما منعوه من غيرهم ، فقد كرر ابن هشام الانصاري المنع في كتبه، وكرر استعمال ما منعه فيها وجاء في الخصائص « شذذته ايضا اشذه ، بالضم لا غير » .

وحاول بعضهم انقاذ العلماء من التورط في اللحن فحكم بجواز استعماله ، واستند الى سماع وقياس ، وقال سيبويه « اما (نعم) فعدة وتصديق واما (بلى) فيوجب بها بعد النفي . اه يريد انه اذا سأل سائل : اليس فلان حاضرا ، فقيل نعم ، كان معناه النفي اي فلان ليس بحاضر ، واذا قيل بلى كان معناه الايجاب ، اي فلان حاضر ، فنعم مصدقة للجملة التي قبلها موجبة كانت او سالبة ، وقد استعمل سيبويه (في عرض مناظرة جرت بينه وبين احد النحويين ذكرها في باب النعت ج ١ صفحة ٢٢٧) نعم موضع بلى فاوجب بها بعد النفي ، فقال ناس هذا لحن ، واطال آخرون في الجواب عنه بما تراه مبسوطا في كتبهم ، ومنعوا ان تتلقى بينا باذ واذا ، وكان اشدهم انكاراً لهذا الاستعمال الحريري في درته ، قال : « والمسموع عن العرب بينا زيد قائم جاء عمرو بلا اذ . » مع ان كتب العربية مشحونة بهذا الاستعمال ، هذا الحريري نفسه يقول في مقاماته « فبينا انا اطوف ، وتحتي فرس قطوف ، اذ رأيت . » وقال: فبينا انا عند حاكم الاسكندرية ، اذ دخل شيخ . « وقال » بينا انا اسعى واقعد ، واهب واركد ، اذ قابلني شيخ يتأوه . » .

ومنع في درته ايضا ان يقال : (سقط في يده) بالبناء للمعلوم ، واوجب البناء للمجهول ، وقد جاء في المقامة السابعة والثلاثين من مقاماته : « فسقط الفتى في يده » ومنعوا ان يقال من العلة (معلول) واوجبوا ان يقال (معل) وقد وقع ما منعوه في الكثير من كتب العربية ، وهو في جملة مصطلحات العروضيين ، بله المحدثين والاصوليين ، والمتكلمين .

ونخشى ان نحن استرسلنا في سرد الامثلة ان نمل القارئ ، ونضجره .

فعلينا ان نأخذ بعنان القلم ونعطفه الى ناحية اخرى من نواحي البحث لها اثرها في تكييف هذا العلم وتلوين مباحثه بالوان قد لا تروق انظار رجال التعليم في هذا العصر .

الامعان في مباحث الاعراب :

من الواضح ان النحو يعنى بمهمتين: الاولى صحة تأليف الكلم للابانة عما في النفس من المقاصد ، والثانية معرفة احوال الاواخر من اعراب وبناء ، فيطلب اليه ان يقوم بعصمة اللسان والقلم عن الخطأ واحوال اواخرها .

ولكن النحاة ولا سيما متأخريهم صرفوا جل عناياتهم الى معالجة الشق الثاني ، فاطالوا الكلام ، وامعنوا في الجدال حوله ؛ فاسهبوا في تعداد العوامل وسرد انواعها ، وما يعرض لامزجتها من العلل وما يتصل بها من الخلل ، وبسطوا القول في المعربات والمبنيات واسباب اعرابها وبنائها ، وانواع الاعراب ، وعلامات كل نوع ، واكثروا من النظريات المتباينة حولها الخ ...

اما الشق الاول فكان حظه من الرعاية أقل من حظ قرينه ، مع انه العماد في التفهم والتفهيم ، وعليه المعول في الابانة عما في النفس من الاغراض .

فمعرفة الفرق بين قولنا مثلا : اهاشم في المدرسة ؟ وقولنا في المدرسة هاشم ؟ وبين قولنا : أهاشم أم فالح في المدرسة ؟ وقولنا : أفي المدرسة هاشم أم فالح ؟ وقولنا : هل في المدرسة هاشم أم فالح ؟ اهم بكثير من معرفة الحركات الاعرابية في أواخر هذه الكلم . اذ لا جدال في ان صحة التركيب أوثق من الاعراب ارتباطا بجوهر الكلام ، ولذلك نجد من يعرف صحة تأليف القول بممارسة كلام الفصحاء اقدر على تفهيم ما يريد ، وتفهم ما يراد ، ممن يعرف خصائص الاعراب ، ويجهل اصول تأليف الكلم .

ويظهر ان السبب في انصباب النحاة الى مباحث الاعراب اكثر من انصبابهم الى مباحث التركيب ان طلائع اللحن ظهرت في اعراب اللغة قبل ظهورها في مجاري التأليف ، كما يشهد بذلك الاسباب التي استفزتهم لوضع النحو ، ثم ان الاعراب اسمى حلية تتحلى بها لغة مضر ، فليس عجبا ان يستبي الانظار ويستبد بالهمم ، ولهذا استهوتهم مباحثه ، ولم تزل ترمي بهم المرامي وهم يتغلغلون في احشائها حتى خرجت بهم في بعض الاحياء الى آراء متنازعة ، ومذاهب ملتوية قد لا يرجى منها الوصول الى ثمرة شهية ، او فائدة عملية وهاك امثلة من ذلك :

قالوا : الاسماء الستة تكون في حالة الرفع بالواو ، وفي حالة النصب بالالف ، وفي حالة الجر بالياء ، ثم اختلفوا في علامات اعرابها على مذاهب شتى منها :

١ — هذه الاحرف نفسها ، ٢ — حركات مقدرة في الحروف ، وقد اتبع ما قبل الآخر للآخر ، ٣ — الحركات التي قبل الحروف ، والحروف اشباع ، ٤ — الحركات التي قبل الحروف ، وهي منقولة منها ، ٥ — الحركات التي قبل الحروف ، وليست منقولة ، بل هي الحركات التي كانت عليها قبل ان تضاف فثبتت الواو في الرفع لاجل الضمة ، وانقلبت ياء لاجل الكسرة ، والفاً لاجل الفتحة ، ٦ — الحركات والحروف معاً ، فهي معربة من مكانين ، ٧ — التغير والانقلاب في حالتي النصب والجر وعدم ذلك في حالة الرفع ، ٨ — (فوك) و (ذو) معربان بحركة مقدرة في الحروف ، والاربعة الباقية معربة بالحروف ، ٩ — بالعكس ، اي ان الاسمين الاولين معربان بالحروف ، والاربعة الباقية معربة بحركات مقدرة ، ١٠ — حركات مقدرة في الحروف التي قبل حروف العلة منع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها ، ١١ — الحروف دلائل اعراب والاعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر ، ١٢ — النقل في حالة الرفع ، والبدل في حاله النصب ، والنقل والبدل معاً في حالة الجر . ولكل منهب من هذه المذاهب انصار يؤيدونه ، ومخالفون يفندونه ، ولكن هذه الضجة كلها لم تزحزح الاسماء الستة عن كونها بالواو في حالة الرفع ، والالف في حالة النصب ، والياء في حالة الجر ، ومثالا آخر ، قالوا يكون المثنى بالالف في حالة الرفع : وبالياء في حالتي الجر والنصب ، ويكون جمع المذكر السالم بالواو في حالة الرفع وبالياء في حالة الجر والنصب ، واختلفت مذاهبهم في اعرابها ، وهاك المشهور منها : —

١ — انهما معربان بالاحرف المذكورة نفسها ، ٢ — بحركات مقدرة فيما قبل هذه الاحرف ، ٣ — بحركات مقدرة في الاحرف نفسها ، ٤ — الحروف دلائل اعراب ، بمعنى انك اذا رأيتها فكأنك رأيت الاعراب ، ٥ — بقاء الالف والواو رفعا وانقلابهما جرا ونصبا ، وعليه يكون الاعراب معنويا لا لفظيا ولا مقدرا ، ٦ — ان المثنى مبني .

ثم جاءوا الى نونهما فقالوا انما زيدت فيهما : ١ — لرفع توهم الاضافة في بعض المواطن ، ولرفع توهم الافراد في بعض ، ٢ — انها عوض من حركة المفرد ، ٣ — عوض

من تنوين المفرد ، ٤ــ عوض من الحركة والتنوين معاً ، ٥ــ عوض من الحركة والتنوين فيما وجدا في مفرده ، ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفرده ، ومن التنوين فقط فيما لا حركة في مفرده ، وغير عوض فيما خلا مفرده عن الحركة والتنوين ، ٦ ــ هي فارقة بين رفع المثنى ونصب المفرد ، ثم حمل سائر التثنية والجمع على ذلك ، ٨ ــ انها التنوين نفسه ولكنه حرك لاجل الساكنين .

ثم انتقلوا الى حركة هذه النون فقالوا وأطالوا

كل هذا التنازع لم يبدل شيئاً من الحالة التي استقر عليها العمل في المثنى والجمع ونونهما ، وبقيت المنازعات الصناعية في ما وراء ذلك .

واذا أنت استعرضت آراءهم في الإعراب أهو لفظي أم معنوي وأين محله ، ثم أزائد هو على الماهية أم جزء منها ، وهو أصل في الاسماء أو الافعال او فيهما ، ثم الاسماء قبل التركيب مبنية او معربة اولا معربة ولا مبنية الى أمثال ذلك ــ يأخذك العجب من تزاحم الآراء المتنازعة ، وتكاثر المذاهب المتدافعة في نظريات صناعية لا تقوّم لساناً ولا تغذي بياناً .

هذا ونحن نعوذ بالحق ان يشم مما بسطناه أنا نقصد انتقاص جهد من جهود اولينا او نزدري عملا من أعمالهم ، معاذ الله أن يدور في خلدنا شيء من ذلك كيف ونحن في ضعاف الساقة وقفاة الاتباع ، نباهي بالانضواء إلى أعلامهم ، والانتماء الى خدامهم ، وهل استقينا الا من بحورهم ، واقتبسنا إلا من نورهم ، واقتدينا إلا بهداهم ، واهتدينا إلا بصواهم وهم الذين بجسوا ينابيع هذا العلم ، وشرّعوا شرائعه ، وأنهجوا سبله ، وما برحوا يعالجونه حتى تفتحت لهم أبوابه وذلت لهم عقابه واذعنت لهم مشكلاته ودانت معضلاته .

وكل ما نرمي اليه في هذا البحث إثارة بعض النواحي التي تتطلب خدمة صادقة من أبناء العصر ، وبعبارة أخرى البرهنة على أن ميدان الإصلاح في هذا الشأن وسيع ومجال الخدمة فسيح .

ولعمري ان هذا العلم لم يعدم في عصر من العصور انصاراً يعكفون على خدمته ويضطلعون بتوسيعه وصقله وتهذيبه ، الا في الفترة التي استولى فيها الجمود على الافكار والاقلام في العصور المظلمة الاخيرة ، وإلا فنحن نعرف أن هذا العلم في زمن يونس

والخليل وسيبويه والكسائي والفراء أرفع منه شأناً في زمن ميمون الاقرن وعبد الله ابن إسحق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء ، وهو في زمن أبي الفتح ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي وابن خالويه ، انضروجها منه في زمن من سبقهم . ثم هو في زمن ابن مالك وأبي حيان وابن هاشم الانصاري اكثر تهذيبا ، وأتقن تفصيلا وتبويباً منه في العصر الخالي ، وكلٌّ أصلح بمقدار ما تسخو به الطاقة ، وعلى قدر ما يتطلبه العصر من خدمة .

وبقي علينا ان ننبه الهمم ونستنهض العزائم لرأب ما أسأرته الايام في هذا العلم من الثأي ، ونصطفي من تلك الآراء أصوبها ، ونسلك من تلك الطرق أنهجها ، ونلم الشعث من تلك المسائل التي عصفت بها أعاصير الجدال ففرقت شملها ، ونعطي الناحية العملية حقها من الرعاية ، ولا نعني بشيء من النظريات الا بما له مساس مباشر أو غير مباشر بالعمليات .

ثم نهذب ذلك كله تهذيباً علمياً ونرتبه ترتيباً فنياً ، ونخرجه للناس كتاباً سويا .

هذه نظرتنا في النحو ولنا كلمة في كتبه المتداولة سنقولها فيما بعد .

طه الراوي



سيفيات المتنبي

نثر الشعر ، قول في أبي الطيب

قال ابن أبي الحديد صاحب الشرح الكبير (للنهج) في كتابه : (الفلك الدائر على المثل السائر [1]) : « كنت شرعت في حل (سيفيات المتنبي) لشهرتها وغلبتها على ألسنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أتقرب به الى الخزانة الشريفة [2] — عمرها الله تعالى — فخرج بعضه ، وصدف عن إتمامه عوائق الوقت وشواغله » .

فهل أكمل ابن ابي الحديد هذا الكتاب ؟ وأين هو ؟

إن كان الزمان — وقد كان — قد أضاعه فإنه أبقى بقية منه . وفيها الدليل عليه ، وأنا مورد اليوم في (مجلة المجمع) منتقاها طرفة أدب لأدباء العرب ، وإعلاما ان احمد بن الحسين قد شغل حكيما وعالما متكلما مثل (ابن ابي الحديد) كما شغل الادباء واللغويين وغيرهم : فأديب نقده ، ولغوي شرحه ، ومؤرخ كتب سيرته ، وعالم نثر شعره او حل نظمه ، وآخر جمع حكمته . وانها لسعادة ما نال مثلها شاعر ، وما اسعد (احمد) الا عبقريته ، والعبقري في الدنيا شقي وسعيد .

وحل النظم من أفانين الادب في القديم ، وقد دُفع اليه الكتاب حين اتسع مجال الانشاء . وربما كان الجاحظ من اوائل من نثروا الشعر ، واستعانوا في كلامهم بقريض القارضين . روى عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) هذه الرسالة للجاحظ الى ابن الزيات وقال : إنه نثر قول نصيب :

---

(١) مطبوع في الهند (٢) خزانة الكتب للخلافة العباسية في بغداد .

فعاجوا فأثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب .

قال الجاحظ : « نحن (أعزك الله) نسحر بالبيان ، ونموه بالقول ، والناس ينظرون الى الحال ، ويقضون بالعيان . وأثر في أمرنا اثرا ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب »

وروى بعضهم : « نظر ابو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتابا فقال : كلامك ذوب شعري »

وفي (كتاب الصناعتين) لابي هلال العسكري « سمع بعض الكتاب قول نصيب (فعاجوا البيت) فكتب : لو امسك لساني عن شكرك لنطق عليَّ أثرك . وفي فصل آخر : ولو جحدتك احسانك لا كذبتني آثاره ، ونمت علي شواهده . وقريب من ذلك قولهم : شهادات الاحوال أعظم من شهادات الرجال »

وفي (كتاب الصناعتين) « قال بعضهم : الكتابة نقض الشعر . وقيل للعتابي : بمَ قدرت على البلاغة ؟ قال : بحل معقود الكلام » .

ولابي منصور الثعالبي كتاب سماه (نثر النظم ، وحل العقد [1]) نثر الكتاب المترجم ب (مؤنس الادباء) وهو مختار صغير من الشعر . وقد تقدم اليه في حله (ابو العباس خوارزم شاه) كما ذكر الثعالبي ذلك في ديباجة الكتاب .

ولضياء الدين بن الاثير صاحب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) كتاب في هذا المعنى اسمه (الوشي المرقوم في حل المنظوم [2]) وفيه أيضا حل لآيات قرآنية واخبار نبوية . قال ابن خلكان : « وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة » قال ابن الاثير في هذا الكتاب : « وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن اوس ، وابي عبادة البحتري ، وشعر ابي الطيب المتنبي . فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الادمان لي خلقا وطبعا . وانما ذكرت

(١) منه مخطوطة في (الخزانة الظاهرية) في دمشق ، وقد طبع في مصر . (٢) منه مخطوطة في دار الكتب المصرية .

هذا الفصل في معرض أن المنشىء ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة» .

والتعويل كل التعويل على مايقول ابن الاثير ، فيه — عندي — من الضرر مافيه ، وشرح هذه المضرة — ان اردناه — يطول ، ولسنا الآن في مقام تبيينها . واستظهار الاشعار وكلام العرب انما هو للظفر بالملكة والاهتداء الى الأسلوب العربي ثم الكاتب وبراعته في التوليد والاختراع والابداع ، واين الحر المبدع في القديم والحديث اين ؟

وحل الابيات الشعرية ينقسم عند ابن الاثير الى ثلاثة اقسام ذكرها في (مثله السائر) :

(الأول) منها وهو ادناها مرتبة ان يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش ، ومثاله كمن اخذ عقداً قد اتقن نظمه ، واحسن تأليفه، فأوهاه وبدده . وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه لكون الفاظه باقية لم يتغير منها شيء .

واما (القسم الثاني) فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض الفاظه ، ويعبر عن البعض بالفاظ أخر . وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة .

وأما (القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير الفاظه وثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ، فان استطاع الزيادة على ذلك المعنى فتلك الدرجة العالية . والا أحسن التصرف ، واتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .»

وقال (ضياء الدين) في التدرب على الحل :

«من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته . وطريقه أن يبتدىء فيأخذ قصيدة من القصائد فينثر بيتاً بيتا على التوالي ، ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بالفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك ، واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصل خاطره بمباشرة المعاني

لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني ، وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى تصير له ملكة . فاذا كتب كتابا ، أو خطب خطبة تدفقت المعاني في اثناء كلامه ، وجاءت الفاظه معسولة لا مغسولة ، وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا . »

* * *

سيفيات المتنبي ، حل أبيات منها لابن ابي الحديد

فصل في التهنئة بعيد

لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وريقة وحدائقها أنيقة ، والأعياد تلقاك وأنت عيدها على الحقيقة ، ولا برحت تهتصر من الشباب لدناً رطيبا ، وتنضو من الاعياد سملاً وتلبس قشيبا . فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الانام ، لكنه أوحد عام محصور ، وأنت أوحد الأعوام والدهور . ولا أحيل ذلك على محض الجد الذي ميز بين اليومين ، وفضل إحدى العينين بل على الجد الذي أسهرك وحاسدك راقد ، وشانئك قاعد .

هذا محلول قوله :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيدٌ لمن سمّى وضحى وعيدا .
ولا زالت الأعياد لُبسك بعده تسلم مخروقاً وتعطى مجددا .
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا .
هو الجدُّ حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا .

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيده بالاستحقاق لا بالجد والاتفاق ، وفيه زيادة أخرى وهي عموم توحيده وخصوص توحيد العيد في أيام العام .

* * *

فصل في ذكر المراسلة

وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أدراعا ، وقصدوا بها تزجية للوقت ودفاعا ،

فظاهرها الاعظام لنا والاجلال ، وباطنها الارجاء لهم والإمهال .

هذا محلول قوله :

دروع لملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل .
هي الزرد الضافي عليه ، ولفظها عليك ثناء سابغ وفضائل .

* * *

فصل

بابه المعمور كعبة الحيا ، ومغناطيس الشفا ، فالملوك تقبل بساط ديوانه ، وتقصر عن تقبيل كمه وبنانه .

هذا محلول قوله :

تقبل أفواهُ الملوكِ بساطه ويكبر عنها كمه وبراجمه .(١)

***

فصل

أنا أستعديك عليك ، فالخصومة فيك ومنك واليك ، وأستميحك عدل قضائك الذي عمّ الخلق وعداني ، وشمل الناس وتخطاني ، وأُعيذ مرآة فكرك وهو الجوهر الشريف ، والشفاف اللطيف أن يظهر فيها تلبيس الحاسد وبهتان الكاشح المعاند ، وأخلاقك التي تظلم اذا قيست في اللطافة بالسلافة ، وفي الصفاء بالصهباء أن تحمل قذى الغش الصُراح ، وهي ألطف من أن تمزج بالماء القراح .

هذا محلول قوله :

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم .

وقول غيره :

---

(١) البرجمة المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، الجمع : براجم .

أخلاقك الغرُّ الصفايا مالهـا حملت قذى الواشين وهي سلاف ؟
واللبس في مكنون رأيك ماله يخفى وأنت الجوهر الشفاف ؟

* * *

فصل

العادة طبيعة غالبة ، وسجية الى فعل المعتاد جاذبة ، وعاداتك الطعن في الأحداق وضرب الأعناق ، فاجر منها على اعراقك ، ومعهود عوائدك وأخلاقك ؛ فإن الملك لا تثبت دعائمه حتى تخضب بالدم صوارمه .

هذا محاول قوله :

لكل امرئٍ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى .

وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ .

* * *

فصل في صفة السيوف

فنهدنا اليهم وفي أيدينا النار الموقدة في الرؤوس ، المعبودة قبل ملة المجوس التي لا يفسدها الماء، ولا يطفيها الهواء ، ولا تحرق الأغماد، ولا خمدت ليلة الميلاد . ترمي بالدم لا بالشرر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ، تحكم تارةً بالتعظيم وتارةً بالتصغير ، وتجمع قوماً جمع السلامة وقوماً جمع التكسير .

هذا محاول قوله :

وفي أكفهمُ النار التي عبدت قبل المجوس ، الى ذا اليوم تضطرم .
هندية ، إن تصغر معشراً صغروا بحدها أو تعظم معشراً عظموا .

وقد زدت عليها زيادات كثيرة، ورمزت الى الخبر الوارد في أن نار فارس خمدت ليلةَ ميلاد نبينا وخرجت الى قوله تعالى (إنها ترمي بشررٍ كالقصر) وقوله سبحانه (وقودها الناس والحجارة) ثم خرجت الى نكتة نحوية وهي جمع السلامة وجمع التكسير .

فصل

السيف بالضارب لا بإمضاء المضارب ، والحسام في يد الجبان كهام ، والكهام في يد الشجاع حسام ، ولذلك قال عمرو لعمر: لا لوم عليّ ولا حيف ، فإني لم أنحلك الساعد وانما نحلتك السيف .

هذا محلول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن اذا التقى الجمعان .
تلقى الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان .

* * *

إن القتيل مضرجًا بدموعه مثل القتيل مضرجًا بدمائه .

القتيل المتشحط في نجيعه كالعاشق المتخرط في دموعه ، وكلا الماءين دم الا أن هذا سال على أصل الخلقة ، وهذا صعدته[1] حرقة الفرقة .

—

القتيل الذي قطعت شرايين نجيعه أروح من القتيل الذي قطعت شرايين دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فأمن شرها وخيرها ، وهذا كما نضجت جلوده بدل جلوداً غيرها .

—

الدمع دم أحالت لونه نار الهوى فابيض ، وقطعت سلكه يد النوى فتبدد وارفض ، ولا فرق بينهما عند البصر والبصيرة الا أن هذا يسيل من عضو واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة .

* * *

فصل

عذر الخيمة واضح في السقوط ، لأنها علت على مولانا فتأدبت له في الهبوط ، وعلمت عجزها عن أن تشمل من يشمل الزمان ، وأن تعلو على من يعلو على بهرام

(١) في (اللسان) : التصعيد الإذابة ومنه قيل : خلّ مصعد وشراب مصعد اذا عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً .

وكيوان (١)، فأرجاؤها في السعة بحيث يركض في كل قطر منها جحفل، ولكنها تضيق عن العالم المجموع في الواحد الأجل، وتقصر عنه وتطول على القنا الذبل، وأظنها لما أشرقت بأنواره، وتاهت لما عدت من جملة دياره — لم تملك نفسها فخرت وضعفت، ورب نفس أفرط عليها الفرح فزهقت، ولو رزق الناس ما رزقت من الشرف الباذخ البنيان لخانتهم الأرجل وخروا سجوداً للجباه والأذقان، وما سقطت عبثاً وانما اشارت بالرحيل، كما أن القصواء ما خلأت (٢) وانما حبسها حابس الفيل.

هذا محلول قوله :

ايقدح في الخيمة العذل	وتشمل من دهرها يشمل ؟!
وتعلو الذي، زحل تحته	محال لعمرك ما تسأل.
تضيق بشخصك ارجاؤها	ويركض في الواحد الجحفل.
وتقصر ما كنت في جوفها	ويركز فيها القنا الذبل.
رات لون نورك في لونها	كلون الغزالة لا يغسل.
وان لها شرفا باذخا	وان الخيام بها تخجل.
فلا تنكرن لها صرعة	فمن فرح النفس ما يقتل.
ولو بلغ الناس ما بلغت	لخانتهم حولك الارجل.
ولما أمرت بتطنيبها	اشيع بانك لا ترحل.
فما اعتمد الله تقويضها	ولكن أشار بما تفعل.

وزدت على ذلك، الخبر المشهور وهو أن رسول الله ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجها الى مكة فلم تنبعث تحته فزجرها مرارا، وزجرها أصحابه فلم تنبعث. فقالوا : خلأت القصواء. فقال النبي : ما خلأت وانما حبسها حابس الفيل، وجرى من توقفه عن مكة وصلحه قريشا ما هو مشهور.

* * *

(١) بهرام اسم المريخ، كيوان زحل. (٢) خلأت الناقة : حرنت. قالوا : يقال : خلأت الناقة، والح الجمل، وحرن الفرس.

فصل

قصار رماحك اطول من ظلالها ، وطول رماح اعدائك اقصر من زجاجها ونصالها ، وكم من رمح قصر فأطلته بخطاك ، وكم من بلد بعد فقربته بسراك . وقطرك في الندى والردى سيول وبحار ، وعزمك في الخصوم والعدى نصول وشنار ، وأناملك راجحة ولكن خلقت سيوفك من عجل ، فكلما نهيتها عن ولوغ الدماء قالت : سبق السيف العذل . وقد ينسب الجاهل حلمك أحيانا الى تدبير او خداع ، ولا يعلم ان الليث لا يأكل الجيفة ولا يفترس الضباع .

هذا حاول قوله :

طوال قنا تطاعنها قصار   وقطرك في ندى ووغى بحار .
وفيك اذا جنى الجاني اناة   تظن كرامة وهي احتقار .

وقول السموءل :

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها   خطانا الى اعدائنا فنطول .

***

فصل :

الآراء الصائبة والشجاعة الثابتة تستعبد الصوارم وتستخدم الخاذم . فالتدبير أمير والشجاعة جنده ، والرأي حسام والصرامة (١) غمده ، ولو لم يلحظ هذا المعنى ويعتبر لكانت السباع أفضل من البشر ، وطالما نكست الاعلام بالاقلام ، وملكت الاصقاع بالرقاع ، ونفذت المكايد قبل نفوذ الحدائد ، فاذا اجتمع لنفس سعيدة هذان الامران نالت أقصى الإمكان ، وبلغت من العليا كل مكان .

هذا حاول قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني .

(١) في (الاساس): رجل صارم ماض في الأمور ، وقد صرم صرامة . وفي (تهذيب الالفاظ): الصريمة قطع الامر والعزيمة .

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان .
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي قبل تطاعن الاقران .
لولا العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان .

* * *

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلائق .

شرف الفتى بافعاله ، لا بحسنه وجماله . كالسيف يقطع بجوهره ، لا بحسن منظره . لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظهر ، لا بما بطن من المعنى واستتر لكانت صورة النمارق أشرف من الحيوان الناطق .

* * *

فصل

حسام لولا ترقرق الماء في جوانبه لتلمست النار الموقدة من مضاربه . فقد أضرى به حب الجماجم والاعناق ، حتى عاد نضوا كالهلال ، وودت سباع الطير والوحش أنها تفديه بالمخالب والانياب اذا فدى غيره بالانفس والاموال ، فاحسن ما خضب به الدم المار ، لا العسجد والنضار . والحسناء حسناء وهي في الاسمال والاطمار ، واذا كان الحلي لاتمام النقص يعمل فقشف الافضل انبل ، وعطل الاكمل أجمل .

هذا محلول قوله :

أحسن ما يخضب الحديد به وخاضبيه النجيع والغضب .

* * *

فصل

فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت الشوق قد فعل فيها بيرحائه فعل قنا الامير في صدور أعدائه . فانه جعلهم هلكى ، يطعنون مخلوجة وسلكى . فالفضاء الرحب لديهم احرج من التابوت ، ونسج داود عليهم أوهن من بيت العنكبوت .

هذا محلول قوله :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق .
قواض مواض، نسج داود عندها اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق[١] .

وفيه أيضا حل قول امرئ القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة كرّك لأمين على نابل[٢] .

* * *

فصل في وصف منهزم

اجفل اجفال النعام، واقشع اقشاع الغمام . يتوهم كل حفيف يسمعه رشق نابل، ويرى الارض في عينيه كفة حابل . وقد كان آلى الا ينكص له قدم، ولا يعقب يمين الجنان حنث ولا ندم . واذا تزلزلت الاقدام لم تزد اليمين في الاقدام . والحرب تحسن الهزائم، وتغير العزائم، وتجعل أهون شيء ما تقول اللوائم .

هذا محلول قوله :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في اقدامك القسم؟!

وقوله :

والعيان الجلي يحدث للظن زوالا وللمراد انتقالا .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملأت عليه الارض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل .

---

(١) الخدرنق : العنكبوت

(٢) السلكى بضم السين الطعنة المستقيمة، (المخلوجة) المعوجة عن يمين وشمال . (كرك لامين) أي ردك لامين وهما السهمان على من يرمي . يقال : اذا القيتهما لم يقعا مستويين، وربما استوى احدهما وتعوج الآخر . ويقال: سهم لأم اذا كان عليه ريشه .

وقول القائل:

اذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيء ما تقول العواذل.

***

فصل في الصفح عن الجرائم

سيف الاحسان والاجمال اقتل من سيف القتل والاستئصال . وطالما غلّ يداً مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، الا أن اللئيم يفسده الاحسان ، ويصلحه الهوان .

هذا محلول قوله :

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا؟ .
اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا .

***

فصل

اذا كان الهوى من القلب في الشغاف والصميم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحريم ، وكلما شاهد الحر فر ، وكلما عاين النار استطار — لاجرم أنه يستحيل جوهره هباء ، ويذهب زبده جفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويلقي عصاه وتستقر به النوى .

هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الاحبة منه في سودائه .
يشكو الملام الى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه .

***

لا تعذل المشتاق في اشواقه حتى يكون حشاك من احشائه .

لو ذقت ما يذوق العاشق لتركت عذله وعرفت عذره ، ومن يضع يده في الماء يجد برده ويعرف حره .

***

تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له ، منهن ورد وأدهم .

فما زلنا تقطع الادهم الواقف بالدهم السائرات ، ونباري الشهب النيرات بالشهب الطائرات . الا أن تلك نجوم القذف و الرجوم ، وهذه نجوم الغارة والهجوم .

***

فصل :

عزائمك لا تفل ، وآراؤك لا تضل ، ومدائحك لا تمل ، وأحكامك لا تميل ، وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الارواح وهذا لاختطاف الرؤس . وكل دم لم تحضنه ظباك أصبح مطلولا ، وكل ممات لم تشارك فيه عد خيانة وغلولا .

هذا محلول قوله :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممات لم يمته غلول .

***

وقد حل ابن الاثير أبياتا كثيرة من شعر المتنبي لوردها في (رسائله) و (وشيه المرقوم) و (مثله السائر) وهذا نموذج منها :

إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر (أو) لا تعذل المحب فيما يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه .

هذا حل قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك من أحشائه .

***

القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون ، غير أن ذلك لا يجرد من غمده ، ولا يقاد صاحبه بعمده (أو) دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه والتمثيل . ولا تجد بينهما بونا ، الا انهما يختلفان لونا

هذا حل قوله :

ان القتيل مضرجا بدموعه   مثل القتيل مضرجا بدمائه ·

***

لما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال ، وزحفت جبال الى جبال ، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تفي بالآجال · واقدمت الخيل اقدام فرسانها ، واظلم النقع فلا تبصر الا بآذانها ·

هذا حل قوله :

في جحفل ستر العيون غباره   فكأنما يبصرن بالآذان ·

* * *

وكأن بها مثل الجنون فأصبحت   ومن جثث القتلى عليها تمائم ·

سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا ، وأخذها مخادعة لا افتراسا · فما نازلها حتى استقادها · ولا نزلها حتى استعادها ، وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم ، وعلق عليها من رءوس القتلى تمائم ·

وفي هذا من الحسن ما لاخفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثر هكذا وإلا فليترك ..!

وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وذلك اني أضفت الى هذا البيت ، البيت الذي قبله وهو :

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا   وموج المنايا حولها متلاطم ·

ولما نثرت هذين البيتين قلت :

بناها والأسنة في بنائها متخاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة · وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد ، وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرءوس والاجساد ، ولاشك ان الحرب تعرد [1] عمن عز جانبه ، وتقول : ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه !

وقد تصرفت في هذا الموضع بزيادة في معناه ونثرته على اسلوب أحسن من هذا الاسلوب فقلت :

بناها ودون ذاك البناء شوك الاسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال سآوي منه الى

(١) تهرب ·

جبل . ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رءوس عن أعناق ، وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم او شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق .

* * *

قول موجز في المتنبي

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : « قال في العبر : ليس في العالم أشعر من المتنبي أبدا ، وأما مثله فقليل . »

ولقد جاء أحمد بن الحسين بما جاء به وهو من تلك القافية وذاك الوزن في سجن . ولولا هذان لجودت الايام أيما تجويد تسطير ما أملى فلم يقل :

ولم تحسن الايام تكتب ما أملي .

رب ما لا يعبر (الشعر) عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده .

والقافية في أكثر الأحايين هي القائلة لا القائل ، والوزن هو الوازن لا شعور الشاعر ، فأكثر الشعر ليس لأهله لكنه للوزن أو للقافية ، انه مما وجد ، ليس هو مما قصد .

ولولا أن عبقريةً منتخية قوية عند أبي الطيب قد انكرت الجري على أساليب القوم

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم ؟!

فاختطت له تلك الخطة — لا قام دهره من تباع (أبي تمام) يأخذ بأخذه فلا يجاريه ، ويكد روحه في أن يصوغ كما يصوغ فلا يساويه ، وحبيب في صوغه وغوصه لا يلحق ، وقلما ضارع مقلد عظيماً مقلدا .

ولم يستطع المتنبي — على تبريزه وارتقائه — أن يزحزح (حبيباً) عن مكانته ، وما قدر الا أن يقعد في عرش الشعر معه ، وليس بقليل أن يقتطع من ملك حبيب ورعيته ما اقتطع .

وقد قالوا :أبو تمام عند الخاصة أشعر ، والمتنبي أشعر عند العامة ، وما أنصف

المتنبي هؤلاء القائلون ، ولئن كان لأبي تمام عشر قصائد علا بهن علواً كبيراً إن للمتنبي قدامها مئة[1] قصيدة .

وكان شيوخ ابن خلدون يرون — كما قال — أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء — الله أكبر ! — لأنهما لم يجريا على أساليب العرب .

وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله) ليس بشيء الا شيئاً لا يعبأ به .

وتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ، ما ضاراه بل ظاهراه في ابداعه ونبوغه ، فرأت العربية أكبر شاعر ، وظهر في العرب شاعرهم .

فدع كل صوت غير صوتي فانني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى .

محمد اسعاف النشاشيبي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

---

(١) قال ابن قتيبة في (أدب الكتاب) في باب ما زيد في الكتاب : « ومائة زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه ألا ترى انك تقول : أخذت مائة وأخذت منه . فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ » ، قلت : زيدت الألف في مئة أيام لا اعجام وواجب في هذا الزمان حذفها حتى لا يضل القارئ اللافظ وكم أضلت هذه الألف ففتح الميم لافظ المئة ومد ؟

الصواب اشتد واستد

سئلنا عن أية الكلمتين أصوب في قول الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فكتبت في الجواب ما يلي :

كتب اللغة مجمعة على أن (استد) تكون بمعنى (استقام) وقد استشهد على ذلك بالبيت المشهورة نسبته الى علي بن أبي طالب ، وهذا يدل ضمناً على صحة نسبة (الاستداد) بالسين الى الساعد ، أما الاشتداد بالشين فلا خلاف في صحة اسناده اليه ، لكن في غير بيت الشعر المذكور ، وفي غير مقام الرماية بالنبال ، اذ ان المعاجم المذكورة كانت تقول عقب ذكر البيت ما نصه : قال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء . وقوله : ليس بشيء ، أي في رواية هذا البيت ، فتكون الرواية في البيت إنما هي (استد) لا اشتد ، ويكون استعمال فعل (استد) واسناده الى الساعد في صدد الكلام على رمي النبال ، هو الافصح والاكثر موافقة لاستعمال بلغاء العرب ، هذا ما يفهم من عبارة الاصمعي ، ومع ذلك بقيت تائقاً الى نص في المعاجم يكون صريحا في اسناد (الاستداد) بالسين الى الساعد حتى وجدت الزمخشري يقول في أساس البلاغة : (وأسدّ واستد ساعده وتسدّد على الرمي استقام قال .

اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني اه

وقائل هذا البيت أحد ثلاثة من شعراء العرب ليس فيهم علي بن ابي طالب وهم :

الاول : معن بن اوس قاله في ابن اخت له ، والثاني : مالك بن فهم قاله في ابنه سليمة ، والثالث : عقيل بن عُلّفة قاله في ابنه عميس . «المغربي».

روح الطموح في المتنبي

منشأ الطموح

طردُ الهم او دفع الالم هو كما قال ابن حزم « مذهب اتفقت الامم كلها عليه فلا يعتمدون بسعيهم امراً سواه » لكن للنفس نزعات ورغبات تأتيها من طريق الشعور بالحاجة او بما يؤثر في ميولها من وراثة فتحاول طرد الهمّ بدفع ما يحول دونها . فالناشئ في سلف عزيز وخلف اعزة تنزع نفسه الى العز ، والنابت في منبت شهواني او سلف ألِفَ الشهوات يحارب كل ما يحول بينه وبينها ليدفع عن نفسه الم حرمانها . وما طلب المالَ طالبه الا لطرد هم الفقر ، ولا رغب في الحياة راغبها إلا لدفع همّ الموت ، ولا ابتغى الصيت مبتغيه الا لطرد همّ الخمول ، ولا طلب المعالي من الامور إلا من يكره ان يستعلي عليه عالٍ .

الانسان روح واشد ما تكره الروح ان يستعلي عليها مستعل او يسيطر عليها مسيطر . ولكن هذه الروح قد تستخذي للقوة القاهرة اذا ضعفت عن مقاومتها فتخضع على كره منها وهي مفعمة هماً مملوءة كرباً ، فاذا طال عليها الأمد ، وهي خاضعة ، الفت الخضوع وعلى نسبة هذه الالفة يخف ألمها وينفرج كربها .

عزة النفس العربية

العرب امة نشأت على عزة النفس والاباء فرأت انها اعز الامم جاراً وامنعهم ذماراً واشرفهم محتداً واذكاهم عنصراً ، ثم تجاوزت الحدّ فرأت أن كلّ من عدا العرب اعاجم لا يدانون العرب منزلة ولا يوازنونهم كفاءة .

فليس عجيباً والحال هذه ان يأنف النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على قرى الطف من تزويج ابنته من كسرى لما خطبها اليه فيقتله كسرى تحت ارجل الفيلة انتقاما من انفته • ولا ان ينتقم له العرب بوقعة ذي قار لانه ذهب شهيد الكبرياء العربية وفي سبيل صيانة الدم العربي •

وليس غريبا ان تمتصم ليلى بنت لكيز بعفتها ولا ترضى ان تكون في نساء كسرى لانها عربية وهو اعجمي • وهي بنت الصحراء او ربيبة البوادي واليفة المضارب ، وهو صاحب الدور المشيدة والصروح الممردة والملك العظيم والنعيم المقيم • لكنه مع هذا كله ليس بكفء لها لانها عربية وهو اعجمي •

هذه هي كبرياء العرب وطموح العرب ، فلا عجب اذاً ان نرى عربيا قحاً كابي الطيب ارتفع بذكائه وعلا اقرانه ببيان ساحر وقلب جريء وعزم ثاقب وعلم جم تهب عليه ريح الطموح وتطغى فيه روح التعاظم وهو العربي منبتاً ونسباً وادباً •

المتنبي عربي صحيح النسب

ضربت بعرق المتنبي دوحة يمان ، فهو من حيث ابوه جعفي من سعد العشيرة من مذحج ، وهو من حيث امه همداني وهمدان واسطة عقد العرب اليمانيين مجدا وشجاعة وسيد العرب بعد النبي المختار يقول فيهم :

ناديت همدانَ والابواب مغلقة ومثل همدان سنوا فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربــه وجه جميل وقلب غير وجاب

يقول ابوالحسن ابن ام شيبان : ان ابا الطيب كان جعفيا صحيح النسب ، ويقول ابوالحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي: ان والد المتنبي كان يقول انه من جعفي ، ثم قال وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا ، وابو الطيب يقول على قلة اعتداده بمجد الآباء :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني

ويقول :

واني لمن قوم كأن نفوسهم   بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

فيدعي مثل هذه الكبيرة ويفخر هذا الفخر ويبالغ في أنفة قومه هذه المبالغة فلا بد اذاً لهذه الدعوى من اصل في شرف آبائه . أما ان لا يكون لدعواه هذه أساس تبنى عليه هذه المبالغة فاني اراه غير مقبول في العادة ، والا فلمَ تركها له حساده والناعون عليه وما اكثرهم حوله وما احصاهم لكل دقيقة وجليلة عليه ! واذا لم يكن له اصل من شرف آبائه وهو مع ذلك يقول فيهم مثل هذا القول فكيف يسكتون عنه من هذه الناحية من فخره بعد ان طبلوا وزمروا في تنقصهم له ، وكل ما قالوه في نسبه ان اباه يلقب بعيدان كان خامل الذكر فقيراً ومها اشتد الفقر لا يكون مزريا بالاحساب والانساب ، وخمول الذكر مها استحكم لا يكون مبزاناً لمجد الآباء وشرف العنصر ؟ واما ما جاء به بعض المخرفين عنه من انه انما افتخر بنفسه دون آبائه فلكي يستر وهناً في نسبه . فهو دليل لا يصح الركون اليه واذا كان المتنبي يقول :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي

فانها سنة كبار النفوس ، وهذا عامر بن الطفيل العامري وهو من علمت مقامه في العرب حسباً ونسباً يقول:

وما سودتني عامر عن كلالة   ابى الله ان اسمو بأم أو اب

اذا كانت نفس عصام سودت عصاما فليس معناه ان آباءه لم يكونوا ذوي سؤدد وسيادة بل هو على حد قول الفضل اللهبي الهاشمي الذي يقول :

لسنا وان أحسابنا كرمت   يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا   تبنى ونفعل مثلما فعلوا

على أن أبا الطيب قد استدرك ما قد يتوهم من قوله بل شرفوا بي بقوله بعده :

وبهم فخر كل من نطق الضاد   وعوذ الجاني وغوث الطريد

وليس عجيباً من ذي كبرياء وطموح مفرط كالمتنبي أن يقصد المعنى الذي اراده الشاعر :

وكم أب قد علا بابن ذُرى شرف   كما علت برسول الله عدنان

إن المتنبي الكبير النفس المتجاوز حد التعاظم بمثل قوله :

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه   فما احد فوقي ولا أحد مثلي

والذي يقول :

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق   محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

يأبى أن يستند في فخره الى مجد عظامي ، وان كان شامخاً باذخاً ، ويريد أن يحقق بنفسه القاعدة المشهورة « المرء بجده لا بجده » على أن خمول ذكر والده وعدم مساعدة الزمان له على أن ينال مقاماً يعرف به لم يسلبه عبقرية صالحة جعلته يتمم نفسه بولده بما حرمت نفسه منه من علم وثقافة ، فسافر به الى الشام حيث الهواء العذي والماء الروي ، والادب ناشر أعلامه ، ومجالسه حافلة بالفحول من الشعراء وأعلام اللغة، حيث منبت الطائيين اللذين انتهت اليهما زعامة الشعراء ، حيث موطن العتابي والتمري والسلمي وابن زرعة الدمشقي وغيرهم، « حيث رزقت الشام ملوكا واسراء من آل حمدان وبني ورقاء ، وهم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين السيف والقلم » ، حيث ملتقى أئمة اللغة ونحاريرها وفحول العربية وأساطينها أمثال ابن خالويه والفارسي ·

يقول الثعالبي : سافر به أبوه الى الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق بالحسنى، ضوامن النجح فيه حتى ترعرع وشعر وبرع »

المتنبي بعد موت أبيه

ما زال هم الطموح يعتلج في صدر أبي الطيب ويتقد وهو منصرف الى مغالبة العوائق ، فعكف على التحصيل ، وكان كثيراً ما يغشى الوراقين يتزيد من دفاترهم علماً ، ويجهد نفسه في المطالعة واستظهار ما يروقه · وهو من جودة الحافظة وحضور الذهن في منزلة لا أدل عليها مما رواه بعض الوراقين ، وكان هذا في أول صباه من أنه حفظ كتابا للاصمعي يدخل في ثلاثين ورقة بنظره فيه نظرة واحدة ، فروى أيام العرب وتعمق في درس اللغة فقنص شواردها وتأنس أوابدها حتى بلغ من ذلك الغاية، وحسبك

شهادة أبي علي الفارسي له لما سأله عن الجموع بوزان فِعلى واجابه أبو الطيب بلا توقف انها حجلى وظربى . يقول الفارسي انه قضى ثلاث ليال يراجع كتب اللغة فلم يجد لها ثالثاً .

دعوته الى نفسه وجرأتها

ابو الطيب عربي خالص العروبة ، تفتحت عيناه على عز العرب وما هم فيهم من دولة ورأى ذوي المواهب يتسابقون فيها الى امتلاك زمام الامر والنهي ، هذا بهمته وجهوده وذاك بعصبيته وقومه ، وذلك بعلمه وثقافته . فليس غريباً أن تزداد روح الطموح فيه نشاطا وهو يرى أنه أعلى منهم ثقافة وأكبر همة وأعز نفساً ، فكيف لا يدفعهم استعلائهم عليه بكل طريق بحسب القدرة من نفسه عليه .

وكأنه رأى أن اعلى مقام السلطان هو الخلافة ، وهي فوق مقدوره لحاجتها الى بيعة شاملة او ولاية عهد مؤيدة ولكنها فرع النبوة وعلى النبوة قامت دعائمها ، والنبوة تبتدئ بالدعاية الفردية ثم تنتشر فيكثر حولها الانصار فتشتد فيعلو امرها . رأى ذلك وعنده من قوة الجنان وسحر البيان وفصاحة اللسان ما يخلب به ألباب الاعراب وكانت قد فشت في ذلك العصر بدع المتنبئين ودعوات الحلول وعليها قتل ابن الشلمغاني والحلاج وغيرهم وفشت دعوى القرامطة المبنية على مثل هذا الاساس .

فتخيل ان الزمان يؤاتيه حيث كانت الممالك فوضى بعد ان ضعفت الخلافة في بغداد واصبح كل امير مستقلا بعمله ، ففي البصرة ابن رائق ، وفي خوزستان البريدي ، وفي فارس عماد الدولة بن بويه ، وفي الري واصفهان والجبل ركن الدولة بن بويه وابن زيار يتنازعان عليها ، وفي الموصل وديار بكر وربيعة ومضر بنو حمدان ، وفي مصر والشام الاخشيديون ، وفي المغرب وافريقية الفاطميون ، وفي الاندلس عبد الرحمن الناصر الاموي ، وفي بلاد البحرين واليمامة القرامطة .

تخيل هذا وهو من طموحه في غرور متجاوز الحد ، فحاول دعوى النبوة او انه أظهرها على اختلاف امهات الروايات في ذلك ، وقد رأيت ان أُلم بها لاستجلي ما يتراءى لي من تحقيق فيها .

قال علي بن المحسن التنوخي عن ابيه عن ابي الحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي : « كان المتنبي لما خرج الى كلب واقام فيهم ادعى انه علوي ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين، وحبس دهراً طويلا واشرف على القتل ، ثم استتيب واطلق(١) وهذه الرواية تصلح بادعائه العلوية ، وان حبسه كان طويلا ، لاقى فيه العذاب واشرف على القتل ولكنها لا تقول بأنه اجتمع عليه احد وبنو كلب بارض نخلة وهي بلدة في بعلبك على ثلاثة اميال منها ، ولعلها نحلة بالحاء المهملة ، المعروفة اليوم في بعلبك ، ويدل على إقامته في هذه القرية قوله :

ما مقامي بأرض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود

قال العكبري في شرح هذا البيت : دار نخلة على ثلاثة أميال من بعلبك وهي قرية لبني كلب .

وروى التنوخي عن أبيه عن أبي علي بن ابي حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون ـ وابو الطيب المتنبي بها اذ ذاك ـ انه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى أن خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وانفره وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبساً طويلا فاعتل وكاد أن يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه . ثم قال : وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن منزل (١) .

وهذه الرواية تقول إنها سمعت بحلب وجاءبها بلفظ (ويحكون) وانها حكيت وابو الطيب في حلب اذ ذاك اي في زمن سيف الدولة وبعد نيف وعشرين عاماً من خروجه وهي لا تتعرض لدعوى العلوية ، بل تقول إنه اظهر النبوة وتبعه خلق من قبائل شتى اجتمعوا عليه وان الذي خرج اليه وحبسه واستتابه هو لؤلؤ الاخشيدي

وقال الثعالبي « وقد بلغ من كبر نفسه وبعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له أمر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ، ورفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده (٢) »

(١) تاريخ بغداد للخطيب م ٤ ص ١٠٤ (٢) يتيمة الدهر م ١ ص ٧٩

ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه ، وحكى ابو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت ابا الطيب يقول إنما لقبت بالمتنبي لقولي :

انا ترب الندى ورب القوافي وسهام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تدار كهـا الله غريب كصالح في ثمود (١)

وروايتا الثعالبي هاتان تدل لولاهما على انه دعا الى بيعته ولم تصرح بان البيعة كانت للنبوة او للولاية - وعلى انه قبل ان تتم دعوته حبسه الوالي وانه كان هم بالخروج اي انه هم ولم يفعل ، فهو اذاً على هذا لم يخرج فعلا -

وجاء الثعالبي في الثانية بلفظ (ويحكى) مما يدل على توهين امرها وزاد في المتوهمين تعقيبه لها بما رواه ابن جني عن المتنبي نفسه في سبب تلقيبه بالمتنبي وفوق ما رواه ابن جني تنصُّل ابي الطيب من دعوى التنبؤ والقرآن المزعوم ، فقد روى التنوخي عن ابيه ان المتنبي كان اذا شوغب في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب نذكر له هذا القران وامثاله مما يحكى عنه فينكره ويجحده ويقول انا لست ارضى ان ادعى بهذا (اي بالمتنبي) وانما يدعوني به من يريد الغض مني .

فالمتفق عليه اذاً من هذه الاحاديث انه حاول الخروج على السلطان وانه حبس في ذلك حبساً طويلا حتى كاد يتلف وانه استتيب واطلق ، وهذه الروايات انما هي عن اقرب المؤرخين اليه عصرا فالخطيب البغدادي ولد سنة ٣٩٢ والثعالبي ولد في حياة المتنبي سنة ٣٥٠ والظاهر ان اعتماد من تأخر عنهما في حديث المتنبي كان عليهما ، ويظهر من التدقيق في نص هذه الروايات ان القول بانه هم بالخروج وانه خرج في طلب امارة هو اقرب الى الصواب من انه تنبأ واجتمع عليه جماعة من قبائل شتى ومن انه اظهر قرآنا لان الرواية التي تقول هذا لم تخلُ من كلمات تحفظ مثل اسنادها الى الحكاية ومثل ان الرواية كانت بحلب وابو الطيب اذ ذاك بها بخلاف الرواية الاولى التي ارسلت كأنها حقيقة » وانت تعلم ان ابا الطيب في حلب زمن سيف الدولة كان يستغيث من كيد حساده وقوة بأسهم وشدتهم في الغض منه والحط من شأنه فيقول له :

(١) اليتيمة م ١ ص ٨٠

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسّدا

اولئك الذين اخرجوه من حلب مغاضباً سيف الدولة لانه لم ينتصر له منهم على شدة حبه له وحنينه اليه بعد فراقه ، ويحكى عن بعضهم انه مات حسدا لابي الطيب وحنقا منه

وفي الصبح المنبي رواية اخرى غير ما تقدم وهي ان المتنبي خرج بارض سلمية من اعمال حمص في بني عدي وان الذي قبض عليه هو ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتكين وانه امر النجار ان يجعل في رجليه قرمتين من خشب الصفصاف وان المتنبي قال في ذلك :

زعيم المقيم بكوتكين بانه من آل هاشم بن عبد مناف
مذ صرت في ابياتهم متنبئاً صارت قيودهم من الصفصاف

وانه كتب الى الوالي من السجن يستعطفه بقوله :

ان يكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يديك اتوبُ
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب

وظاهر هذه الرواية ان الذي قبض عليه وحبسه ثم تاب على يديه هو ابن علي الهاشمي ، وان خروجه كان بأرض سلمية في بني عدي

دفاعه عن نفسه وهو في السجن

هذه هي الروايات المختلفة في ما رمي به المتنبي ، فلنرجع في التحقيق الى مايقوله هو في دفاعه هذه التهمة ونستخرج من قصيدته التي أرسلها من سجنه الى الوالي (لائحته الدفاعية) التي يستحق عليها اجازة كلية (ليسانس) فهو يقول :

وقبل عدوت على العالمين بين ولادي وبين القعود
فما لك تقبل زور الكلا م وقدرُ الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقا بين دعوى ارد ت ودعوى فعلت بشاو بعيد
تعجل فيَّ وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود
وفي جود كفيك ماجدت لي بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

ان أبا الطيب قلب الدفاع في أبياته هذه على وجوه :

الأول : أن يقابل الدعوى بإنكارها من أساسها بقوله فما لك تقبل زور الكلام .

الثاني : أن يردّ شهادة الشهود بجرحه لهم لانهم سفلة سقاط ذوو محك كمحك اليهود بقوله : وقدر الشهادة قدر الشهود . وقوله : ولا تسمعن من الكاشحين .

الثالث : على فرض قبول شهادتهم وعدم قبول هذا الجرح فان شهادتهم جاءت على أنني أردت لا على أنني فعلت ، والحد والعقاب لا يجبان على معتقد الجرم ما لم يفعله فاذا هو فعله استحق العقاب على الفعل، وأنا لم أفعل فلا عقاب علي . وذلك في قوله : وكن فارقاً بين دعوى أردت .

الرابع : وعلى فرض رد ذلك كله ، فانما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم أبلغ الحلم ولم تجب علي الصلاة ، فكيف يحكم علي بالعقاب، والعقاب فرع التكليف، وأنا لم أكلف فلا عقاب علي . وفي ذلك يقول : تعجل في وجوب الحدود .

الخامس : وعلى فرض الاعراض عن كل ما جئت به من وجوه الدفاع، فانني أطلب العفو والصفح وهذا آخر ما يطلبه المحكوم عليه وهو قوله : وفي جود كفيك ما جدت لي

ويظهر من هذا أن التهمة وجهت اليه وهو دون سن البلوغ أي دون سن الخامسة عشرة من عمره ، وهي السن التي يقع معها التكليف، أو كان حواليها على فرض المبالغة، وفي تفننه في وجوه الدفاع بل في إنكاره التهمة من أساسها ما يدل على أنه ما ادعي عليه به من التنبؤ لم يكن على حد التواتر ، ولو انتشرت دعوته واجتمع عليه جماعة من قبائل شتى لكانت لاجلها متواترة ، وكان مثل هذا الدفاع ومثل هذا الانكار مكابرة ومماحكة وهراء من القول فكيف يتسنى لأبي الطيب حينئذ أن ينكرها من أساسها بل كيف يتسنى لمثل أبي العلاء المعري وهو أقرب الناس الى زمانه وأكثرهم معرفة به واعجابا أن يشكك فيها ؟

من الذي سجنه

بقي الكلام في اسم الوالي الذي قبض عليه وسجنه ثم استتابه وفي هذه القصيدة من صفات الوالي ما يدل عليه ، وقد سمعت مما تقدم أنه أحد الرجلين : لؤلؤ الاخشيدي

أو ابن علي الهاشمي . يقول أبو الطيب :

فمن كالامير ابن بنت الامير أم من كآبائه والجدود
رمى حلبا بنواحي الخيول وسمر يرقن دماً في الصعيد
فولى باتباعه الخرشني كشاء أحس بزأر الأسود

قالوا لي إذاً هو أمير ابن بنت أمير له آباء وجدود يفتخر بهم ، وليس للؤلؤ مثل هذه الصفات لا حقيقة ولا ادعاء فكونه ابن علي الهاشمي أقرب الى التحقيق . ويدل قوله : رمى حلبا بنواحي الخيول انه قاد الجيوش الى حلب ، ولم تكن يومئذ حرب بين حلب وحمص ، فهو اذاً قد ساقها لنصرتها لا لحربها وذلك فيما وراء حلب لقتال الروم بدليل قوله فولى باتباعه الخرشني ، وليس الخرشني الا الدمستق صاحب عسكر الروم شرقي القسطنطينية وكانت له حرب مع هذه البلاد في سنة ٣١٩ وعمر أبو الطيب يومئذ ست عشرة سنة ، وأرجح أن متولي كبر الكراهية في هذه الحرب بنو حمدان أمراء الموصل ، لان حفظ ثغور الروم كان مفوضاً اليهم من خليفة بغداد ، ولم يكن الاخشيديون يوماً من الايام مناصرين للحمدانيين .

بعد السجن

قال ياقوت « ولم يزل (المتنبي) بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بأبي العشائر (ابن حمدان) ومدحه وعرف منزلته ، وكان والي أنطاكية من قبل سيف الدولة ، ولما قدم سيف الدولة أنطاكية قدّم المتنبي اليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والادب » وسيف الدولة ملك حلب سنة ٣٣٣ هـ وعرفه سيف الدولة منذ قدّمه أبو العشائر كما هو ظاهر قول ياقوت سنة ٣٣٧ فتكون المدة بين خروجه من السجن واتصاله بسيف الدولة حوالي سبعة عشر عاماً .

وما زال أبو الطيب في ضنك عيش وسوء حال بعد خروجه من السجن يدفع هم الفقر بطرق أبواب الامراء والولاة ، فلا يجد عندهم الا خسيس العيش ولم ترفعه صلاتهم الى أن يستبدل بنعليه مركوبا ولا برجليه راحلة فيقول يومئذ :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها ومشفرها | زمامها والشسوع مقودها

ويقول :

ومهمه جبته على قدمي | تعجز عنه العرامس الذلل
في سعة الخافقين مضطرب | وفي بلاد عن أختها بدل

ويقول في قصيدته الدينارية :

اظمتني الدنيا فلما جئتها | مستمطراً مطرت علي مصائبا
وحُبيت من خوص الركاب بأسود | من دارش فغدوت امشي راكبا

فكان من جملة مصائبه ان يفرغ الى علي بن منصور الحاجب من جور زمانه ويمدحه بمثل هذه القصيدة الغراء فيجيزه عليها ديناراً واحداً . وكأنه أراد أن يمن عليه بهذا الدينار ليشتري به بدلا من حذائه الذي قطعه في المشي اليه .

ويقول المتنبي في قلة الجدوى :

لُم الليالي التي اخنت على جدتي | برقة الحال واعذرني ولا تلم
ارى اناساً ومحصولي على غنم | وذكر جود ومحصولي على الكلم

والظاهر ان أول من اتصل به من الرؤساء هو ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي فان معاذاً يقول : انه جاء اليه في سنة ٣٢٠ ولا عذار له وله وفرة جميلة . وارجح ان اتصاله بمعاذ اذا صح أنه كان سنة ٣٢٠ كان بعد خروجه من السجن ، لانه لما كان في السجن بدعوى الخروج (ولم يعلم انه سجن قبلها او بعدها) كان في الخامسة عشرة او حواليها . واما ما جاء في حديث معاذ من انه مخرق له واغواه بضرب من السحر تعلمه من اليمن ، وان معاذاً رجع عن الغواية به لما علم أن ما جرى منه كان قد تعلمه من اليمن بعد أن سأله هل دخلت السكون ؟ فأجابه المتنبي نعم أما سمعت قولي :

امنسيّ السكون وحضرموتا | ووالدتي وكندة والسبيعا

فهو ظاهر الوضع لان البيت المذكور هو من قصيدة مدح بها المتنبي عليّ بن ابراهيم التنوخي سنة ٣٢٣ على أنه لم يرو أن المتنبي دخل اليمن وما السكون وحضرموت وكندة في البيت الا أسماء محال بالكوفة قال ذلك شراح ديوانه .

قضى أبو الطيب ثلاث عشرة سنة بين اللاذقية ومنبج وطرابلس وطبريا والرملة وغيرها من البلاد لا يروي ظمأه الى المعالي ولا يبلغ آماله من المال ، وكان في تلك الحال السيئة يقول :

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعداً　　فقم واطلب الشيءَ الذي يبتر العمرا
همـا خلتان : ثروة أو منية　　لعلك أن تبقى بواحدة ذكرا

وما زالت هذه حاله حتى نعم بكرم أبي العشائر ، فاستيقظت مع الرخاء ونعمة العيش روح كبريائه ، ولما أراده سيف الدولة لصحبته لم يجبه أبو الطيب الا على شرط أن لا ينشده قائماً ، وأن لا يقبل الارض بين يديه كما كانت سنة الشعراء مع الملوك والامراء يومئذ ، وقبل سيف الدولة شرطه حرصاً على الاستئثار بفرائـده وقلائده الخالدة على الدهر ، وهذه الميزة لم يعطها سيف الدولة لاحد ممن كان في حضرته من الشعراء غير أبي الطيب ، ولما أنشده أول قصيدة مدحه بها وقال في مطلعها « وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه » اعترضه ابن خالويه وكان حاضراً ، فقال لابي الطيب أتقول أشجاه وانما هو شجاه فقال أبو الطيب له (اسكت ليس هذا من علمك انما هو اسم لا فعل) وابن خالويه من أئمة العربية يجيبه أبو الطيب بمثل هذه الغلطة لانه انتصر عليه وهو من الاعتداد بنفسه وبعلمه بالمحل الذي علمت .

ولعل هذا التعاظم من أبي الطيب على ابن خالويه كان أساساً للتعادي بينهما الذي انتهى أمره بأن ضربه ابن خالويه بمفتاح من حديد على وجهه في حضرة سيف الدولة فأدماه .

توالت نعم سيف الدولة على أبي الطيب فاستبدل بالاسود الدارش افراساً نعالها من عسجد وترك السرى وقطع القفار لمن قل ماله وأصبح يقول :

في الشرق والغرب أقوام نحبهم　　فبلغاهم وكونا أبلغ الرسل
وخبراهم بأني سيف مكارمه　　أقلب الطرف بين الخيل والخول

ولكن أبا الطيب لم يجد بعد هذا كله قيد الاحسان يقيده في ذرى سيف الدولة كما زعم .

شهرته الطائرة في شعره واثرها في طموحه وكبريائه

يقول صاحب المثل السائر « وأما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت في أشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والغائص في بحره والمقتبس من جمانه ودره » وانما شهرة أبي الطيب انما نمت وعمت منذ اتصل بسيف الدولة فأكثر هذا حساده بكثرة انعامه عليه وبما رفع من منزلة لديه .

نشطت روح الطموح في أبي الطيب بعد أن سار ذكره في الأقطار مسير الشمس وتناقل شعره البدو والحضر وعمرت به أندية الادب ، واستعان بألفاظه ومعانيه جمهور الكتاب حتى من كان شديد الكره له عظيم النعمة عليه كالصاحب بن عباد

ويقول ابن العميد وقد ماتت أخته (انه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمد ذكره ، فقد ورد علي نيف وستون كتاباً في التعزية ، ما منهم الا وقد صدر كتابه بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاء ني خبر فزعت فيه بامالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى إخماد ذكره ، وهذان البيتان من قصيدة أنفذها أبو الطيب الى سيف الدولة في رثاء أخته سنة ٣٥٢ وكان اتصال أبي الطيب بابن العميد سنة ٣٥٤ ولا ريب أن غيظ ابن العميد منه كان قبل أن يقدم عليه ، فلا يكون اذاً بين نظم القصيدة وانتشارها بين المتأدبين والكتاب في كل البلاد حتى استفتح بأبياتها هذا العدد الجم من أدباء الاقطار المختلفة ، الا عام وبعض عام ، على تباعد الأقطار وصعوبة الأسفار .

وجاء في الصبح المنبي عن بعض أئمة الادب أن رجلا من مدينة السلام كان كلما دخل بلداً يسمع فيه ذكر أبي الطيب يرحل عنه حتى وصل أقصى بلاد الترك فسأل عن أبي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها فلما كان يوم الجمعة ذهب الى صلاتها بالجامع فسمع الخطيب ينشد بعد ما ذكر أسماء الله الحسنى :

أساميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

فرجع الى دار السلام .

فلا عجب إذاً لرجل ملأ ذكره الاسماع وشغل الدنيا كما يقول ابن رشيق أن يزداد كبرا وتعاظماً ويقول لسيف الدولة :

انلني اذا أنشدت شعراً فانما بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني انا الصائح المحكي والآخر الصدا
وما الدهر إلا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وان يترفع بعد هذا عن مدح غير الملوك وأعيان الزمان ، فلم يجب دعوة الصاحب ابن عباد مع ما بذله هذا من الجهود لاستقدامه اليه . فيقول ابو الطيب فيه (ان غلياً معطاء بالري ، يريد أن أزوره وأمدحه ولا سبيل الى ذلك) علم أنه معطاء يسني الجوائز ، فلم يستمله ذلك اليه لانه استغنى ، فلم يفعل ما كان يفعله أيام بؤسه لغلبة عزة النفس والكبرياء عليه ، وقد أثار اعراضه هذا حفيظة الصاحب ، فاتخذه غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته وهو أعرف الناس بحسناته وأكثرهم حفظاً لها وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته (١) وأعرض عن الوزير المهلبي وزير الدولة البويهية في بغداد حتى أغرى هذا به حساده من شعراء العراق كابن حجاج و ابن سكرة الهاشمي والحاتمي وغيرهم ، فنالوا من عرضه وتباروا في هجائه وتماجنوا وتنادروا عليه . ولما قيل له في ذلك لم يزد على قوله : فرغت من اجابتهم بقولي في من هم ارفع طبقة في الشعر منهم .

ارى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وخشي ابن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه وزعيم الحضرة والمقيم بمصالح المملكة في ارّجان ، وهو على أشد ما يكون من الرغبة في لقائه واستقدامه اليه ، أن يعوض

(١) اليتيمة

عنه كما اعرض عن زميله المهلبي في بغداد،فغري بذمه وانتقاده ؛ حتى اذا جاءه ابو الطيب مراغماً للمهلبي ، فتح له ابن العميد صدره واجزل ثوابه واحسن وفادته ، وسل ما كان في نفسه عليه من موجدة . وانف ابو الطيب من مدح ابن حنزابة وزير كافور والمقرب منه ، وهو من بيت شريف اهل وزارة ورياسة ، ومن الأدب والعلم بموضع جليل . فأفسد هذا عليه كافوراً بما كان يقبح اثره عنده ، وبما كان ينبه على مغامزة في مديحه له حتى خرج ابو الطيب من مصر خائفاً يترقب واتخذ الليل جملا وهرب .

روح ابي الطيب في الإباء قوية ؛ لكن طمعه في الولاية ولذة الامر والنهي والاستعلاء وافراطه في هذا الطمع غطى على هذا الإباء في بعض المواقف ، فاستقاد واستذل، والا فما معنى قوله في كافور بعد ان ترك سيف الدولة :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت به انسان عين زمانه وخلت سواداً خلفها ومآقيا

* * *

فأصبح فوق العالمين يرونه وان كان يدنيه التكرم نائيا

ويقول فيه :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم تشأ تملي علي فأكتب
فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة وبادرة احيان يرضي ويغضب

يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي اذنه في يد النخاس دامية وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه مالم يقبله من سيف الدولة فيخضع للانشاد بحضرته قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدوله وكافور علماً وادبا ونسباً وشرفاً ونوالا ، كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بجد ، وما كان كل ذلك الا طمعاً في الولاية،ولعله طمع في خداع هذا الاسود بما يحسبه من ضعف العقل في السودان فازداد في تملقه اذ يقول له ولم ينفأ يذكر الولاية :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

يضاحك في ذا العيد كلٌّ حبيبه حذائي وابكي من احب واندب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم واني من المشتاق عنقاء مغرب
فان لم يكن الا ابو المسك ادهم فانك احلى في فؤادي واعذب

وليس هذا ملق كاذب ان يجعل الاسود الذي مشفره نصفه احلى في فؤاده واعذب من اهله الذين يحن اليهم هذا الحنين ويهوى لقاءهم كما ترى·

أحمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي



المهرجان الالفي

لأبي الطيب المتنبي

أمن النجوم نظمتهن قصائدا ... يفنى الزمان وما يرحن خوالدا
إن الذي يهب الخلود قريضه ... لهـو الجدير بأن يكون الخالدا
سيرتهن وأي جيد عاطـل ... ما كن فيه زينة وقلائـدا
عمرت بهن محافل الادب الـتي ... لولا بدائعهن كن هوامدا
في كل عصر هن آي بيانه ... وبكل عصر ما برحن فرائدا
أتعبت كل الشاعرين فقصروا ... وبذذتهم طرأ وكنت الواردا
حاموا حوالي حوضه ظمأى وقد ... صدروا على ظمأ وكنت الواردا
لكأن شعرك للعصور جميعهـا ... ما ضره أن كان شخصك بائدا
وكأن ما بين النفوس وبينه ... صلة ولم يك غير ذكرك عائدا
وكأنما قد كنت في ندواته ... معمورة في كل عصر شاهدا
عبدوه واتخذوا روائعه الـتي ... ذهبت بمعجزة البيان معابدا
طوراً تناجي القلب فيه وتارة ... للعقل تنصبه صوى ومراشدا
لو رد عصر الجاهلية ما ثنى ... شعراؤه إلا اليك وسائـدا
ولبايعوا لك بالإمارة واغتدى ... ضليلهم لمنـاة شعرك ساجدا
وعكاظهم بسواه لم تعمر لها ... سوق وأصبح كل شعر كاسدا
لغة البيان به تـدل وتنثني ... تيها فتكبت حاسداً أو جاحدا
بك لم تزل يابن الحسين فخورة ... اذ كنت فيه عن حماها ذائدا

ولكم لها آنست من وحشية فيه وكم قيدت فيه أوابدا
من كل رائعة المحاسن حرة عزت فلم تر في الزمان نداندا
لكأنما من سدرة لك وحيها أوحى فلم تر راجماً أو ماردا
جاءت كما تهوى تزين قلائدا وأساوراً ووشائحاً ومجاسدا
تختال بالمعنى الدقيق يزينه اللفظ الأنيق كما تزين ولائدا
جمعت الى متع الحضارة عزة م البادين أسداً في الفلا وأساودا
تهب السكارى وهي سكرى صحوهم واذا صحت تدع الصحاة عرابدا
واذا نسبت بها تركت كثيراً يلقي اليك من النسيب مقاودا
واذا مدحت غدت قلائد صاغها م الطائي في سوق المديح كواسدا
واذا وصفت فما تركت لواصف الا كمن يصطاد طيفاً شاردا
والغائبات اذا نفذت بسرها وصفا يراها السامعون مشاهدا

* * *

قالوا ادعيت نبوة ولكم على دعوى النبوة زوّروا لك شاهدا
جملا ملفقة يرون عوارها لو ان فيهم للجواهر ناقدا
واذا ادعيت نبوة فلقد نسخت بها القريض وما نسخت عقائدا
ما زلت فيه مجلياً في السبق لم يتعب مدى حلباته لك ناهدا
ان كان مرماه البعيد عليهم فعليك كان وما يزال القاصدا
ما كنت فيه تسف أسفاف الألى تخذوه للغرض الحقير مقاصدا
ولكم تنور شاعر لك جذوة فسرى فلم يرَ قابساً أو واقدا
لكن ذهبت بنورها وبنارها وله تركت اثافيا ومواقدا
فلها ولكن بالرماد ولم تدع للمصطلي الا خبيباً عاردا
ما كان قيد الهاشمي بمخمد لك من جذا نار الطموح زنائدا
قيد من الصفصاف لم يك موهناً منك الطموح ولا لعزمك خاضدا
ما كنت واهن حجة مما رموك به وعن نهج الحقيقة حائدا

* * *

ارخى ابن عمار عزالي جوده ... لك مذ تقرس نجم سعدك صاعدا
الفاك عيناً للعروبة مثلما ... الفيته عوناً لها ومساعدا
فحططت رحلك في رحيب فنائه ... من بعد ما جبت البسيطة رائدا
اجريت في الاردن بحراً غامرا ... فامد منها بحرها المتراكدا
قد راع وصفك قتله اسداً بها ... اسداً يراها الفيل او مستأسدا
ورحلت عنه وما أصبت أمانيا ... بل قد أصبت اعاديا وحواسدا

* * *

وأبو العشائر زان فيك مناصباً ... عدوية ومحافلا ومعاشدا
وحللت أنطاكية فاحتل شعرك من ذراه الشامخ المتصاعدا
وفتنته بالفاتنات بحسنها ... متنسكاً في قومه أو عابدا

* * *

ان كان سيف الدولة استصفاك من ... دون الورى خلاً وفياً ماجدا
وحباك منه عوائداً فلأنت قد ... كافأته وعليه زدت عوائدا
كانت له غرر القريض كتائباً ... كم حل فيها للحصون معاقدا
كانت على الروم الشداد صواعقاً ... وعلى عداه بوارقاً ورواعدا
ولبأسه صيرت كل متوج ... منهم وان كانوا الملوك أعابدا
خلدته في الخالدين فلم يزل ... ولئن تغيب في المقابر شاهدا
موصولة ذكراك في ذكراه ان ... تهجره أو يهجرك لم يك حاقدا
ادناكما الميلاد وهو اخوة ... والفضل إن تكن الاصول اباعدا
جمعتكما الآداب حتى كنتما ... كالفرقدين مناقباً ومحامدا
ما غض من غلواء نفسك حيث لم ... تسمعه شعرك فيه الا قاعدا
ان لم يلدك أبوه او لم يقترب ... نسباكما فالفضل كان الوالدا
لا بدع أن من التشاكل نسبة ... ومن التشابه في الخلال موالدا

* * *

لم تنأ عن حلب لمصر مؤثراً مصراً على حلب وعنه حائدا
كلا ولم تعدل بـه كافورهـا ان جئته يدبج شعرك وافدا
كلا ولم يك ما زعمت البحر تز جي عيبك الظمأى اليه قواصدا
لكنما شاء الزمان بأن يحو ل وغد عيشكما النضير متاكدا
فارقته لا واجـداً لكنما خلفت قلباً في هواه واجـدا
غادرتما جفن العروبة ساهدا وكلاكما يرعى الكواكب ساهدا
يبكي كما تبكي زمانا حافلا بمواكب النعمى وعيشاً باردا
لم يلف سيف الدولة الدنيا وقد فارقته الا نعيماً بائـدا
وكلاكما وجـد الحياة ذميمةً من بعد صاحبه وظـلا نافدا
وكلاكما في لجة من همـه يمسي ويصبح للهموم مكابدا
وكلاكما هيهات يرحب صدره للمطربات ويستلين مراقدا
أنى التفت فنصب عينك ماثل وخياله لك ما يزال معاودا
وعلى قريضك هزة من عهده وهواه ان تك راضياً او حاردا
ولأنت بالذكرى لديه حاضر ولئن قطعت تهائماً ونجائدا
اضحت رياحكما وكم رقت بهـا آصال عيشكما الهنيّ رواكدا
لم تلتمس في كوفة الجند المنا من بعده وبأرض فارس رافدا
فرحلت رحلة آيس منها وما أدركت آمالا بهـا ومقاصدا
وذهبت جواب البلاد ولم تكن الا لهمك في طوافك طاردا
آلى طموحك أن تظل ولا ترى عونا بدهرك للطموح مزاودا

* * *

لم تلف كافوراً وان لك أسبغ النعماء الا ممسك اليد جامدا
فارقته وتركت فيه لواذعاً ولئن تكن سميتهن قصائدا
وذممت مصر وأهلهـا لما رأيـت الأسود الزنجي فيها سائدا
وهو الذي ما نلتَ منه مطمحا بالملك بل لك عنه راح مراودا
واذا فتى حمدان لم يبلغك ما ترجو فهل هو فيه كان الجائدا ؟

وأراك صدر الليل لكن بعدما فيه تركت لظلمتيه أساودا
ولئن نبت بغداد عنك فلم تجد فيها فتى عن حوض مجدك ذائدا
لم تلف آساداً بها وكأنها للعرب لم تك في الزمان مآسدا
او لم تجد من أهلها خصب القرى وأكارماً القوا القرى وأماجدا
او لم تجد الا حسوداً منهم او قاليا أو هاجيا أو كائدا
فلكم نبت ببني قوم داره ولو أنهم رشدوا أصابوا الراشدا
ومحمد أقصت قصي داره لكن يثرب كم أصاب مجاهدا
ما كنت الا صخرة الوادي ومن زهر النجوم الثاقبات عطاردا
فارفق بهم ان حل فيك عقوقهم فلكم ترى ولداً يعق الوالدا
ورحلت لا متلفتاً لزعانف ماشت صدورهم عليك حقائدا
ترعى لسيف الدولة العهد الذي ما بؤت فيه مقاربا ومباعدا
لوددت أن يحوي العراق وان ترى عزماته للرافدين روافدا
وعليه يبسط ظافراً سلطانه ويزيل عنه أجانباً وأباعدا
ولانت بالتغريد في أفنانه مل الغصون مؤانساً ومواندا
تهدي اليه كل يوم حرة كملت محاسنها وبكراً ناهدا

* * *

لم ترض عن حلب وعن سيف بها بدلا وقد يممت فارس قاصدا
لكنما ضاقت بك الدنيا فلم تك ترتضي منها مكاناً واحدا
لكأن شعرك كان في تيجانهم لماعة خرزاتهن خرائدا
لم تلتمس منهم الى العربي من عضد وهل تلفي بفارس عاضدا
لم تنسك العهد الوفي جوائز وقرت جياداً جمة وجلاعدا

* * *

ما آبن العميد وان رعى لك حرمة أنساك في حلب العصور اللابدا
في حيث لم تكذب مخايل جوده والخصب في ساحاته لك رائدا

في حيث يخلع بردتيه عليكما عهد الشباب ولا يخون مواعدا
في حيث شعرك إنْ تحرك هزة للأريحية منه تطوبُ آمدا
في حيث يغمد في الطلى أسيافه وسوى الطلى لم يتخذن مغامدا
في حيث فيلقه يدك معاقلا للروم تهزأ بالنجوم صواعدا
في حيث سيف الدولة السامي الذرا تلقي لمخذمه الفتوح مقالدا
في حيث مجد العرب خفاق اللوى يحمي الرعية مسلما ومعاهدا

* * *

من خال يوماً أن يبيت فاتك لك فتكة ويريش سهماً صاردا
فيصيب حين أصاب قلبك مهجة م الفصحى ويهدم للبيان قواعدا
ولو أنه العربي حقاً لم يدع فصحى اللغات عليك ثكلى فاقدا
لم يأس للعذراء ترقب فيك من افق البعاد شهاب فضل واقدا
فيحيل رونق خدها وصفاءه ورواءه بادي الكآبة كامدا
أيخيف سربك في مرابع امنه وربوع أمنك لا تقيك شدائدا
غالت بقيمتك الورى والغبن أن يمسي العراق بها جهولا زاهدا
والغبن أن لا يحتفي بك موطن بك قد رقى يابن الحسين فراقدا
والغبن أن لا تحتوي العذراء منـ ـك وقد نزلت بها العظام بوائدا
وبها غدوت مضيعا حيا كما قد ضيعت لك في الممات ملاحدا

* * *

يابن الحسين ، وتلك دعوة عارف الفاك هاما للفخار وساعدا
ان لم يثر دمك الحرام مضيعاً لك ثائرا من قومه أو ناشدا
فلكم دم زاك هناك مضيع ترك العيون الى القيام سواهدا
فاذهب فليس عليك قط غضاضة ان لم تدع سمر الرماح قواصدا

* * *

من خال سيف الدولة المشهور ما ينفك في جفنيه بعدك راقدا

ويشيمه عن أخذ ثاوك وهو لم ... يثلم له طول القراع حدائدا
أم أن فتكة فاتك بك لم تهج ... منه هصوراً في العواصم راصدا
أم أنه قد كان عنه عاجزا ... وهو الذي يرقى المجرة قاعدا
أتروع من في الروم سطوة جيشه ... ومن الفرات فليس يدرك واحدا
وهو الذي هز البسيطة زحفه ... وحشا ثراها بالرقاق بواردا
أم أنه لم يرع عهدك وهو ما ... ينفك يحوي السودد المترافدا
سرٌ ولكن لم نجد حلا له ... ولكم بصدر الغيب سرا راكدا

* * *

اتلوح ، احمدُ ، كوكبا بسما الدنا ... وبأفقه العربيّ يمسي خامدا
لا تبتئس فالدهر من عاداته ... ان يخمل الحر الكريم الماجدا
يا رمز أمة يعرب ومنيّها ... من صيدها ومنان طوف هاجدا
عرفتك مينا بعد ما ردت لها ... أيامها ما كان عنها شاردا
ذكرتك ذكرى مجدها ولطالما ... نافحت عنه طارفا أو تالدا
ردت حياتك بعد الف فالتفت ... هل تلفي الا باسم حمدك حامدا
ما الف عام قد طوتك ونيف ... طيّ التجار طرائفا ونضائدا
واذا استطاعت أن تمد اليك من ... سود الخطوب حبائلا ومصايدا
واذا سنوها غيبت لك في الثرى ... رمسا فما إن منك ابلت خالدا
ولكم خفيّ في النجوم وكم له ... نصبوا ليستجلوا سناه مراصدا
اخفوه في الارض الفضاء ليملأوا ... من عرف رياه فلاً وفدافدا

* * *

أأبا المحسد ، هل تجيب مشككاً ... ما زال عنك مسائلا ومناشدا
هل كنت تحلم أن تكون متوجا ... فطلبت ذا تاج لتاجك عاقدا
أم كنت تطمع أن توحد أمة ... أضحت بايدي الطامعين بدائدا
حيث الولاة بها ملوك طوائف ... متقاطعين أدانيا وأباعدا

هذا الى هذا تراه ناصباً شرك الخداع وذا لذاك مطاردا
أم همت في حب الولاية ناشدا زهو الملوك بها وعيشاً راغدا
أم كنت مهضوماً بأرضك فالتمست لرد حقك ناصراً ومعاضدا
أم كان ما تنويه سراً غامضاً مازال عن درك النهى متباعدا
مازال مكتوماً بصدرك حائراً وله بصدر الغيب كنت الوائدا
كانت مناك من الزمان طرائدا ما كن كي تصطادهن زهائدا
من راح يصطاد النجوم غدا كمن تخـذ الاماني الكاذبات طرائدا
هل أنت الا شاعر ما كان الا للسوانح والبوارح صائـدا
يمشي وراء خياله ويخال أن حاز النجوم توائماً وفواردا
أنظر دمشق فشيبها وشبابها ملأوا بذكراك المكان الحاشدا
اليوم قد ردت عكاظ كما بها عرضت الى جنب العروض فرائدا
في نهضة أدبية لكفاك أن قد كنت نافخ نارها والواقـدا
قد كافأتك دمشق اذ لم تنسها في شعب بوان الثناء الخالدا
هي للعروبة معقل والعلم كم قد زان اندية بها ومعاهدا
فاقت بجامعها ومجمعها وجا معة بها كل البلاد محامدا
بلد كفاه مفخرا ان لم يزل عن حوزة العرب الكرام مجالدا
يبني كما بنت الجدود ويرتقي ما قد رقوا للمكرمات مصاعدا
مسترشداً وطنية كانت وما زالت لأمته صوى ومراشدا
فليهن في استقلاله وعليه فليضمم يدا مشدودة وسواعدا
وليسترد له نواضر عهده خضراً أرائكها ونوراً جاسدا
يحيي بطارفه الجديد مفاخرا عربية وقدائماً وتلائدا

سليمان ظاهر

عضو المجمع العلمي العربي

ذكرى شاعر

يا قلبُ عادك من دمشق عائدُ … والذكريات من الحبيب تعاودُ
أيام تنشد في الجزيرة غاية … يسمو بفكرته اليهـا الناشد
ما بيننـا الا شباب طـامح … أو ثائر او ناقم او واجـد
سرّ الفرات وسر دجلة بعده … نبأ عليها من (ضمير) وارد
قالوا : غداة غدٍ يقام لاحمد … في قلب جلّق مهرجان حاشد
رُعي الذمام، وما أضيع ببلدة … فيهـا لاحمد جيرة ومعاهد
واعيد مشهده وقلّ لمن له … دون الثغور مواقف ومشاهد
ومنازل فيها الاماني كلهـا … وهوى الاحبة والشباب للائذ
ومحافل يبدو إمام عالم … منها بطارحه أمير ماجـد
يتذلل الروميّ فيهـا قائماً … والتغلبي على يفاع قاعد
وقصائد فيها الكلام جحافل … وجحافل فيها الفتوح قصائد
ولقد يحنّ الى الكفاح رفاته … بطل تناذره الكماة مجاهد
خير النوابغ من أجدّت ذكره … وتعهدته أقارب وأباعـد
وتسالمت ان الزعامة حقه … في المبدعين مذاهب وعقائد
اما المذاهب فهي شتى لم تزل … لكنما الوطن المفدّى واحد

***

خلت العصور، وما خلت من ناقل … او قائل : هذا الحكيم الخالد
او مورد للقول فيمن جرّت … منه الفحول مصادر وموارد

ما العبقري الفذ الا فكرة ان مات عاش بها الرميم الهامد
واذا تأملت الخلود أصبته في الصالحات وحيث يفنى الفاسد
لا بد من نقد الزمان فانما نحن الدراهم والزمان الناقد
حسدوا النبوغ وناوؤه فلم يمت بل مات بالداء الدفين الحاسد

* * *

يا شاعراً قاد القلوب لغاية لم يدن منها شاعر أو قائد
قرنوا بكل مفوه شيطانه اما قرينك فالعظيم المارد
أمتعتنا بذخائر الشعر الذي لولاه ما نبذ المتاع الكاسد
سهل عليك ابية ألفاظه ولغاته فهو الاليف الآبد
نشرت به في كل فج حكمة وتعوطي المثل البليغ الشارد

* * *

يا موسم الادب الجميل رسالة لذويك يحملها البريد الواخد
عودوا الى الماضي ، فان عدتم له مستلهمين فثم مجد عائد
للبذرة الاولى يد محمودة لا تجحدوها فالشقي الجاحد
والكون مزدرع فجيل حارث فاته بغيته وجيل حاصد
أعياد أحمد للنهوض علائم وعلى الحياة أدلة وشواهد

بغداد : محمد رضا الشبيبي

تصحيح نهاية الارب

جزؤه الحادي عشر

صفحة ٢ سطر ٦ ـ قوله يصف خلقة النبات وأطواره العجيبة : (وبقيت آثاره بعد ذبوله أحسن منها يوم زفافه · وحصل الانتفاع به في حالتي غضاضته وجفافه) لامعنى لزفاف النبات (بالزاي) وحمله على المجاز تكلف بعيد · فصوابه (رفافه) بالراء المهملة مصدر رَفّ النبات إذا اهتز نضارةً · ولم يُذكر هذا المصدر في المعاجم وانما الذي ذكر فيها الرف والرفيف · لكن السجع الذي أولع به المؤلف حمله على استعماله ، بل ربما كان مستعملا على لسان أهل زمانه أيضاً · فهو من كلمات ذلك الزمن العامية · وكتاب نهاية الأرب حوى كثيراً منها · وسيأتي صفحة ١١ سطر ١ ـ كلمتا (الغراسة والزراعة) وليس في اللغة (غراسة) فهي مولدة استعملها المؤلف وان كانت عامية للمزاوجة بكلمة (زراعة) وهكذا (الرفافة) بالراء المهملة ·

صفحة ١٩ سطر ٩ ـ قوله (إذا نمدت به) ضاده ساقطة وصوابه (اذا ضُمدت)

صفحة ١٩ سطر ١١ ـ قوله (واذا ضمد به بالشراب الخ) (به) اي بالباقلي · و (الشراب) اسم عام لكل ما يشرب من المائعات وقد يراد به المسكر فلعل صواب بالشراب بالسذاب : النبات الذي يتداوى به ·

صفحة ٨٧ سطر ٣ ـ قوله (وشجر اللوز المرّ اذا دُقَّ ناعماً وخُلط بالخلّ) لعل صوابه و (ثمر اللوز) فانه هو الذي يُدقّ عادة ولو أراد الشجر نفسه لقال (وخشب اللوز المرّ أو وعيدان اللوز المر)

ص ٩٥ سطر ١ — قوله في صفة الفستق :

(مسفر عن جوهر أخضر فيه مُطبق)

صوابه (سافر عن زبرجد الخ إذ يقال سَفر عن وجهه لا أسفر ثم إن الفستق اذا انكشف قشره انكشف عن لبه الذي يشبه زبرجداً أخضر فالخضرة من صفات الزبرجد لا مطلق جوهر . وقد مرّ في صفحة ٩٣ قول الصنوبري في تشبيه الفستق (زبرجدة ملفوفة في حريرة الخ) وقول الآخر :

(حُقّ من العاج يحوي زبرجداً في عقيق)

ويصح أن يوضع مكان (زبرجد) (زمرد) فان الزمرد أيضاً يشبه به الفستق وقد ذكر المصنف في ذلك عدة أبيات

صفحة ١٠٨ سطر ١١ — قوله يصف الموز :

(فيه شراب وغذا يزيل كالماء القذا)

صوابه (يريك) أي اذا كان في الشراب قذى يُريكه كما يريكه الماء . ويؤيد ما قلنا قول ابن رشيق بعده :

(ترى القذى العينُ فيه كما يريها النبيذ)

صفحة ١١٠ سطر ٦ — قوله في الموز أيضاً :

(كأن عرجونَهُ المشيبُ أتى يُخبر أنْ حانهُ انقضا عُمُرِه)

(حانه) كذا بالحاء المهملة ولا معنى له . وانما صوابه (خانه) بالخاء المعجمة ومعنى (خانه انقضا عمره) أن موته أو أجله لم يمهله بل عجّل عليه على غير ما يتوقع . يقال : (خانه الأجل) وهو من فصيح الكلام . ولا يخفى أن فعل (حان) بالحاء المهملة فعل لازم غير متعد الى مفعول : يقال (حان حينه) أي قرب وقته .

صفحة ١١١ سطر ٥ — قوله في تشبيه النارنج :

(كأنه مستعار الشبه من سَفَن مُذهّب أو حباه لونه الشَفَقُ)

قوله (سَفن) بالتحريك ليس له معنى مناسب هنا . وانما صوابه (قُطُن) وطاء القطن تسكن وتضمّ . فالشاعر يشبه بياض قشر النارنج الثخين تحت قشره الاحمر الرقيق بالقطن الذي لونه لون الذهب أو لون الشفق . وتشبيه لبّ الثمر الابيض بالقطن

معهود لديهم: ففي صفحة ٣٢ وصفحة ٣٣ شبه الشاعر المأموني بياض قشر البطيخ المغشّى بالخضرة ـ بعُطب القطن . والعطب جمع عطبة ، وهي قطعة القطن . وفي صفحة ١٠٢ شبّه الشاعر شحم الرمان بالقطن . وغير ذلك كثير .

صفحة ١١١ سطر ٨ ـ قوله يصف غصون النارنج .

(صوالج من غصون ناعمات غذّتها دِرّةُ العيش الانيق)

(الدِرّة) بكسر الدال سيلان اللبن من الثدي و (الانيق) المعجب . و (العيش) لا معنى له هنا . وانما صوابه (الغيث) اي المطر ، فهو الذي له درّة تسيل كما تسيل درة الثدي فتغذي الغصون الناعمة نعومة الاطفال .

صفحة ١١٥ سطر ١٠ ـ قوله يصف نارنجة : (كالفهرِ لُفّت في حرير أصفر) (الفهر) الحجر ولا معنى مناسب له هنا فصوابه (كالعهن) أي الصوف ، وبعضهم لم يشترط في العهن أن يكون ملوّناً بالاصباغ كما هو المشهور في معناه ، ففي اللسان : (وقيل كل عهنٍ صوف) وفي الصحاح عن أبي عبيدة (والعهن الصوف) . وفي صفحة ٩١ سطر ١٠ شبّه الشاعر قشرة البندق الجوانية الرقيقة بالصوف الاحمر . وقوله (لُفّت) بتأنيث الفعل يؤيد ما قلنا أي أن يكون الصواب (العهن) على اعتباره جمعاً لعهنة بمعنى القطعة منه . ولا يصح هذا الاعتبار في (الفهر) لانه مفرد مذكر ولا يؤنث ضميره .

صفحة ١٢١ سطر ٩ ـ قول عبد الصمد بن المعذل يصف أشجار النخل :

(إن هي أبدت زينة المردان لاحت بكافور على إهان)

(الاهان) عراجين النخل وهي زينة زيّنها بها الرحمن وهو الله تعالى . فصواب (المردان) إذن (الرحمن) ويؤيده أن أبا هلال العسكري نحا في وصف النخل منحى عبد الصمد ، فقال في الصحيفة التالية سطر ١٢ (وتراءت بزينة الرحمن)

صفحة ١٤٧ سطر ٣ ـ قوله (فإذا أُكل أي العنقود فهو شمراخ) نلاحظ على المؤلف نفسه أننا لم نجد في اللسان ولا التاج ولا غيرهما من كتب اللغة المشهورة أن (الشمراخ) هو العنقود الذي أُكل ما عليه من الحب بل الامر بالعكس : فقد قالوا ان الشمراخ هو العنقود الذي عليه بسره أو عنبه . فالعنقود يكون من النخل كما

يكون من الكروم . واذا أكل بعض ما على العنقود فهو (عمشوش) والعامة في بعض بلاد الشام يحرّفونه الى عرموش وفي بعضها الى حشمول .

ص ٢٢٣ س ٥ — قال الشاعر في صفة زهر النيلوفر : (صُفر المدارى تضمها شُرَف)

قوله (شرف) بالشين المعجمة والفاء على وزان (غُرَف) لامعنى له وصوابه (سَرَق) بالسين المهملة والقاف محركتين جمع (سَرَقة) وهي الشُقّة من جيد الحرير الابيض . أما تشبيه اوراق الزهر بشقق الحرير الملوّن فهو كثير في كلامهم :

ففي ص ٢٢٥ س ١١ قول الطغرائي في نيلوفر أيضاً :

(مظاهِرٌ ثوبَ حِدادٍ على ثوبِ بياضٍ عُلّ بالورس)

وفي ص ٢٤٤ س ١١ قوله في وصف حديقة زهر :

(عذراء حبلى قمّطت أولادها حُمراً وصُفراً في الحرير الازرق)

ص ٢٢٣ س ١٦ — قول الطغرائي في النيلوفر :

(ونيلوفر أعناقه ابداً صُفر كأن به سكراً وليس به سكر

قوله (صفر) بالفاء . وصوابه (صُعْر) بالعين المهملة جمع (أصعر) والصَعَر الميل يكون في العنق كما يكون في الخدّ ومنه قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) . فالشاعر يقول : ان اعناق زهر النيلوفر مائلة دائما ميلان من غلبه السكر وقوله (ابداً) يؤيد ما قلنا ولو كان من لون الصفرة لما قال ابداً كما لايخفى على الاديب .

ص ٢٣٧ س ١٥ قوله :

(كأنما ياسمينَنا الغضُ كواكب في السماء تبيض)

نصب (ياسمينا) وصوابه الرفع على الابتداء . وقوله في القافية (تبيضُ) صوابه (تنقضُ) لأنه لما شبه زهرات الياسمين بشهب الكواكب ناسب أن يشبه تساقطها من وقت الى آخر بانقضاض تلك الشهب . أما تشبيه الياسمين بالكواكب التي تبيض فتشبيه تافه سقيم

صفحة ٢٤٦ سطر ٥ — قوله في صفة قُضب الزعفران :

(يتنقّبنَ للرجال غدوّاً ثم يسفرن ضحوةً للنساء)

قوله (غدوّاً) صوابه (مساء) ليقابل قوله بعده (ضحوة) ويؤيده قول الآخر في

صفحة ٢٤٧ سطر ٣ ــ في الزعفران ايضا

(متقنعات في الدُجى فاذا بدا للصبح إسفار سفرن خمارها)

فقوله (في الدجى) هو بمعنى (مساء) الذي صححن به (غدوا)

صفحة ٢٥٧ سطر ٥ ــ قوله في وصف (شِعب بوّان) : (الذي غدت مغانيه مغاني للزمان) قوله (مغاني) كذا بالغين المعجمة ولعل الأصوب ان يكون (معاني) بالعين المهملة جمع (معنى) وهو ما يعنى ويقصد من اللفظ . وكذا (مغاني الشعب) ومنازل السكان فيه هي معاني للزمان تعنى به وتقصد منه ولولاها لكان الزمان لفظاً مهملا لامعنى له ولا فائدة تستفاد منه

ويبعد ان يكون اراد بقوله (المغاني) بالغين المعجمة أن يقتبس معنى بيت المتنبيء

(مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان)

ولو اراده لقال مثلا (الذي غدت مغانيه بين مغاني الاكوان . بمنزلة الربيع من الزمان) فيكون للاقتباس معنى مفهوم . اما عبارته هذه مع جعل (المغاني) فيها بالغين معجمة فجدُّ مبهمة بحيث اصبح معناها في واد ومعنى بيت المتنبيء في واد .

صفحة ٢٦٨ سطر ٩ ــ قال المعوّج الشاعر يصف براعم الزهر ويشبهها بأوعية الطيب :

(حِقاقٌ من النوّار مزرورةُ العُرى على قِطَع الياقوت واللؤلؤ الغضّ)

(فهن على الاغصان احقاق فضة وبالامس كانت مطبقات على الغمض)

قوله (احقاق فضة) فيه حسن تشبيه لكن فيه شيءٌ من التكرار مع قوله في البيت قبله (حقاق من النوّار) على أن هذا لا يضر وإنما الذي يضر أمر المقابلة بين (احقاق فضة) وبين (مطبقات على الغمض) فهو يقول ان براعم النور كانت بالأمس مطبقات الاجفان على الغمض . أما اليوم فهي على الاغصان احقاق فضة . أيحسن هذا في ذوق القارىء ؟ أو انه يحكم معي بان قوله (أحقاق فضة) محرفة عن (اجفان يقظة) ويكون المعنى ان البراعم أصبحت اليوم متيقظة مفتّحة الاجفان بعد أن كانت بالامس نائمة مطبقة الاجفان .

ص ٢٧٤ سطر ٩ ــ تكلم على السوسن ووصف جذره وورقه وبزره وذكر لها

فوائد طبية ثم قال (وغيره يطبخ في الخل والعسل الخ) فقوله (وغيره) محرف عن (وزهره) أو الاقرب ان يكون محرفا عن (وثمره) لكن يعكر على هذا ان ليس للسوسن ثمر وإنما له زهر فيكون اطلاق الثمر على الزهر من قبيل التسامح او من قبيل المجاز الا أن يدعي مدع أن هذا الاطلاق مما يعرفه أهل اللسان فليحقق إذن ٠

صفحة ٢٧٦ سطر ٤ — قوله يصف السوسن :

(حملت سقيطُ الطلّ في ورقاته فكأنه متبسّم مستعبر)

ضمير (ورقاته) يرجع الى السوسن (وسقيط الطلّ) ماتساقط في ورقات السوسن من المطر ٠ وسقيط مفرد مذكر ، فكيف أنّث فعله وقال (حُملت) ؟ فلعل صواب (سقيط الطلّ) (نقاط الطلّ) أو الصواب نصب (سقيط) وتأنيث ضمير (ورقاته) على معنى أن السوسنة حملت قطر المطر في ورقاتها ٠

صفحة ٢٧٦ سطر ١٢ — قال الشاعر :

يا ربّ سوسنة قبّلتها شغفاً وما لها غيرَ نشر المسك من ريق
مصفرّة الوجه مبيضّ جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق

جعل نشر المسك أي رائحته الطيبة ريقاً أي لعاباً للسوسنة وفي هذا الجعل شيءٌ من تكلف ٠ وكأنه اضطر اليه ليقول في قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر معشوق) ٠ ولولا الحسن في هذا الشطر وقافيته لصحّ لنا ان نقول : إن الصواب في قافية البيت الأول (ومالها غير نشر المسك من طيب) وفي قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر محبوب)

صفحة ٢٧٦ سطر ١٥ — قال الشاعر :

(ان كان وجه الربيع مبتسماً فالسوسن المجتنى ثناياه)

ضمير (ثناياه) راجع الى الوجه ٠ ونسبة الثنايا الى الوجه غير مألوف ولا معهود الاستعمال ٠ فصوابه اذن (كأنّ ثغر الربيع مبتسماً) ويؤيده ايضاً وصفه بالابتسام ، فانهم يقولون : باسم الثغر لا باسم الوجه ٠

قال الشاعر يصف آذريونةً أطراف أوراقها مسنّنة :

وكأنما تشريفها من فوقها حببٌ بفرّج عن رحيقٍ أكهب

أول ما خطر لي في كلة (تشريفها) بالفاء أن تكون محرّفة عن إحدى كلمات ثلاث : تفريضها أو تحزيزها أو تسنينها ، والتفريض في الشيء أن تجعل فيه فروضاً وحزوزاً كالتسنين أن تجعل فيه أسناناً ؛ ولكن في ذلك كله بعد . والأقرب أن تكون كلة (تشريفها) محرفة عن (تشريمها) بالميم من شرّم الشيء اذا شققه ؛ غير أنه سيأتي في (ص ٢٨٦ س ١٤ وفي ص ٢٨٩ س ٨) استعمال مادة التشريف بالفاء بمعنى التشريم والتحزيز ، فقد قال : (فهو مشرف تشريف المنشار) ، ثم قال في وصف الأقحوانة (قد شرّفت حول مسمار من الذهب) فكأن (التشريف) بمعنى التشريم والتحزيز اصطلاح مولد للأدباء أو للنباتيين منهم : فإن ابن البيطار قال في صفة ورق نبات السماق(مشرف الأطراف على هيأة المنشار)«راجع هامشة صفحة ٣٢٢ رقم ٢ من تعاليق المصحح الفاضل » ، ولعل استعمالهم للتشريف جاءهم من شكل شُرُفات قصورهم بل وقصورنا اليوم : فإن هذه الشرفات تصنع أحياناً كثيرة مفرّضة مسننة كهيأة أسنان المنشار مع ملاحظة النسبة في الكبر والصغر ، ثم ولّدوا من ذلك كلة تشريف أي تسنين وتحزيز . فنحن نقرّ كلة (تشريف) الواردة في أقوال أدبائنا على أنها كلة مولدة لا على أنها من فصيح كلام العرب . وأفصح منها كلمات مسننة ومحزّزة ومشرّمة ومخرّمة ومفرّضة ومؤشرة ومنه تأشير الأسنان الذي كان يفعله الحسان .

صفحة ٢٨٥ سطر ١٣ = قال الشاعر :

تأمل فقد شقّ البهار مقلّصاً كمائمه عن نوره الخضل الندي

وفي أصول نسخ الكتاب (فقد شقّ البهار مغلّساً) من التغليس بدل (مقلّصاً) وقد قال المصحح إن « مغلّساً » تحريف وصوابه « مقلّصاً » ومعنى التقليص التشمير قلّص ثوبه أو ذيله أو كمه إذا شمّره ورفعه ؛ فتكون « كمائمه » على هذا مفعولاً به تنازعه كل من « شقّ » و « مقلّصاً » .

وأنا أرى أن « مغلّساً » صحيحة المعنى ولا علاقة لها بقوله « كمائمه » ، ويكون المراد أن البهار شقّ كمائمه عن نوره مبكراً جداً قبل أن ينبلج الصباح ، والتغليس

شائع الاستعمال في « زَهريات » الشعر ، من ذلك قصيدة البحتري الرائية ومطلعها :

أَلم تَرَ تغليس الربيع المبكّر وما حاكَ من نسج الرياض المنشّر

ثم إن في قول الشاعر « كِمَامه » نظراً : ولعل الصواب « أكمّته » ففي كتب اللغة الكِمّ والكِمام بكسر الكاف فيهما غطاء النَوْر ، ويقال في الجمع أكمّة وأكمام وكمام وأكاميم ، ولم يقولوا كمائم ، على ان القواعد لا تأبى ان تكون كمائم جمع كمام كشمائل في جمع شمال .

والحاصل إنه لا حاجة الى تصحيح مقلّساً بمقلصاً ما دام التغليس واقعاً موقعه من الفصاحة والحسن وموافقاً لأساليب البلغاء ولا سيما أنه مثبت في أصول الكتاب .

المغربي

* * *

عبد الحميد الكاتب

حلّ النظم

أُضيف الى حديث (حل النظم) في مقالة (سيفيات المتنبي) هذا الخبر ، وهو في (صبح الأعشى) نقلاً عن كتاب (الريحان والريعان) :

« وأول من فكّ رقاب الشعر ، وسرّح مقيده الى النثر عبد الحميد الأكبر كاتب بني أمية الى انقضاء خلافتهم » .

وفي تلك المقالة : (سيفيات المتنبي) في الصفحة (٣٤٢) في السطر (١٠) : « المنخرط في دموعه » صوابه « المستخرط في دموعه » ففي (اللسان) و(القاموس) : « استخرط الرجل في البكاء لجّ فيه واشتد » . وفي الصفحة (٣٤٨) في السطر (٨) « وكل دمٍ لم تحصنه ظباك » صوابه « وكل دمٍ لم تصنه ظباك » .

محمد اسعاف النشاشيبي

آراء وأفكار

كتاب كريم

بين فاضلين من أعضاء المجمع العلمي

جاء في جريدة (الاهرام) ما يأتي :

أرسل فضيلة العالم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عالم الشام الى حضرة الأديب الكبير محمد إسعاف النشاشيبي بالكتاب الآتي :

حيا الله أديب العرب ، وحجة الأدب ، الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي على ما يتحفنا به المرة بعد المرة من كتاب بعد كتاب ، كتب فيها آيات بينات على حبه للعروبة الراسخ وغيرته على الإسلام الصحيح ، وتجديده للأدب الحق ، وتقديره لأولي الجد والعزم في خدمة الأمة . وهذا كتابه (مقام إبرهيم) من شواهد الصدق على ما أقول ، فقد وفى فيه لصديقه الزعيم المجاهد الكريم **ابرهيم هنانو** (رحمه الله تعالى) ، ووصف لنا فيه جهاده المشكور ، ومقامه في العاملين أحسن وصف ، وصوّره لنا أبلغ تصوير ، فأذكرنا لدى تلاوته بأسلوبه العربي القرآني بقوله سبحانه : « وتلك حجتنا آتيناها إبرهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك عليم حكيم » « سلام على إبرهيم ، كذلك نجزي المحسنين » وتحية مباركة طيبة لك أيها الاستاذ الكريم ، الحمد لأسلوب الكتاب الحكيم ، سلام عليك في الآخرين « إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

محمد بهجة البيطار

جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين

والثقافة العربية

إن النهضة الادبية الحديثة التي امتدت جذورها الطيبة في عالم اللغة العربية قد عمت أقطاره وأقاليمه حتى بلغت بلاد الجزائر التي ظلت زمناً طويلا بعيدة عن كل حركة أدبية وحتى راحت تونس ومراكش تسابقان مصر وسورية والعراق في مضمار خدمة اللغة العربية ، ومما يبعث الامل في النفوس ان الحركة اخذت شكلا منظما له اسس ونظامات ، فالجمعيات الثقافية التي تنتشر هنا وهناك تعمل بعزيمة صادقة على تثقيف الامة العربية ثقافة عربية خالصة ، دعامتها العلم ومادتها الفكر ، واسطتها التحليل والتنسيق ٠

تلك هي غاية جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين التي لم يمض وقت وجيز على انشائها حتى وضعت هذه الغاية موضع التنفيذ والتطبيق ، فمن اجتماع بسيط في شارع سان جرمان في باريس عام ١٩٢٧ كانت الغاية منه توحيد كلمة طلاب الشمال الإفريقي في فرنسة تهذيباً الثقافة العربية ، ورايناها توفق سنة ١٩٣٤ الى عقد مؤتمر عام في باريز تناول البحث فيه اموراً ليس ابعد منهـا غوراً واكبر قدراً ومنهـا تحسين حالة التعليم في الغرب بصورة عامة وتعليم العربية بالجزائر بصورة خاصة مع الموافقة على النظام الجديد لجامعة الزيتونة والقرويين ، وتلك أمور لعمري ترتكز عليها حياة بلاد المغرب العربية ، وقد بحث المؤتمر فيها بحثاً موفقاً ، وأعد الوسائط لنجاحها ٠

ثم عادت الجمعية بعد المؤتمر الى ما شرعت فيه ناشطة الى تحقيق ما يمكنهـا تحقيقه وتهيئة السبيل الى تطبيق الفكرة العامة والأسس التي جهزها المؤتمر لها ، والطريق التي تتبعها لذلك مستقيمة صالحة ، فهل أقوم للآراء من احتكاك بعضهـا ببعض ، احتكاكاً ليناً مباشراً صادقاً ؟ وهل أصلح لها من درس الامور المهمة درساً منيراً علمياً؟ وهل أوثق من تعميم نتائج البحث ونشرها لتكون مثالاً يحتذى وواسطة تتخذ ؟

هذا ما وصلت إليه جمعية طلبة شمال افريقية بتأسيسها نادياً عاماً لطلاب الشمال الافريقي يجتمع فيه أعضاؤها صباحاً ومساء اجتماعاً ودياً أخوياً علمياً ، تتقرب فيه الأفكار بعضها من بعض وتجد واسطة للتعبير عن مداها وإحداث صدىً لها ، وباجتماع اسبوعي مساء الاثنين لسماع محاضرة من أحد الاعضاء في اختصاصه أعدها بعد طول النظر وكثرة البحث ، موضوعها غالباً حالة البلاد المغربية وعلاج تلك الحالـــة . وباجتماع شهري عام ينظر فيه الى ما فعلته الجمعية خلال الشهر من الاعمال وما اهتدى اليه أعضاؤها من أفكار ونظم جديدة ، وبتمهيد السبيل إلى عقد مؤتمر عام تنشر فيه هذه الافكار ويعمد إلى تطبيقها ، تلك غايتها وتلك طريقتها ، أضف اليهما الدروس العربية التي يلقيها من الاعضاء الضليع من اللغة العربية على إخوانه الذين لم يدرسوها درساً جيداً ، وأضف ايضاً ما تقدمه الجمعية لأعضائها من مطعم رخصت اسعاره وطاب ، ومن رحلات وجولات في مختلف انحاء فرنسة ومن اتصال دائم بمختلف طلاب العرب في فرنسة .

وخلاصة القول ان الثقافة العربية وجدت في المغرب العربي من الشباب اقبـــالاً عظيماً منظماً ومدرباً وهم أولئك الذين يتلقون في اوربة حب العلم مع العلم نفسه بأنهم هم الذين يقطعون العهود على أنفسهم في تلك الجمعية بنشر الثقافة العربية وتعميمها ولكن أية ثقافة : ثقافة راشدة ناضجة، للرقي العلمي فيها أثر كبير وللمناهج الحديثة فيها أعظم نصيب .

يوسف العش



مطبوعات حديثة

كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ وشرحه التقييد والايضاح للحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ وتعليقات عليه في الذيل لناشر الكتابين الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي ص٤٣١ طبعها وصححها محمد راغب الطباخ مؤلف التاريخ الكبير (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) سنة ١٣٥٠هـ و١٩٣١م .

اشتهرت مقدمة الامام عثمان المعروف بابن الصلاح في علوم الحديث ، كما اشتهرت مقدمة الامام عبد الرحمن بن خلدون في التاريخ ، فقد تكرر طبعها في الهند ومصر ، وتناولتها أيدي محبي السنة وانصارها ، حتى نفدت نسخها ، ولكن هذه الطبعة التي عني بها صديقنا العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، قد امتازت بامور (منها) معارضتهـا قبل الطبع بكثير من النسخ المحررة المقروءة على أئمة الحديث في عصورهم ، وعليها سماعاتهم وتواقيعهم ، (ومنها) أنه طبع مع الكتاب شرحه المسمى التقييد والايضاح ، لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح ، (أي انه قيد مطلقها وفتح مغلقها كما قال ، وناهيك بالحافظ العراقي وسعة علمه في الحديث ، ووقوفه على حقائق فنونه ودقائقها ، (ومنها) تعليقات الاستاذ الطباخ التي سماها المصباح على مقدمة ابن الصلاح ، فقد جمع ابن الصلاح رحمه الله خمسة وستين نوعاً من علوم الحديث ، وشرحها الحافظ العراقي ، ولكنه أهمل الكتابة على تسعة عشر نوعاً منها ، فأوضحها الأستاذ الناشر بتعليقاته عليها ، وأنشأ تعليقات لطيفة على غيرهـا أيضاً ، فجاء الكتاب تاماً وافياً . (ولعله في الطبعة الثانية يستغني عن اثبات همزات الوصل إن شاء الله) .

وقد قدم له الاستاذ الناشر مقدمة وصف فيهـا مقدمة ابن الصلاح وشرح الزين

العراقي لها ، والنسخ الخطية التي ظفر بها في خزانات الكتب الحلبية وغيرها ، وكيف عارضها بها وصححها عليها . ثم أضاف الى الكتاب ترجمة الامام ابي عمرو بن الصلاح والحافظ زين الدين العراقي ، فجاء الكتاب في نحو اربعمئة وثلاثين صفحة بالقطع الكبير .

ومن ذلك كله تعلم جهود الأستاذ التي بذلها في هذه السبيل ، حتى برز الكتاب بهذا الشكل الجليل ، فجزى المولى المؤلف والشارح والناشر أفضل الجزاء ، ونفع بهذا الكتاب عشاق الحديث وفنونه ، فهو من أنفس ما يقتنى .

محمد بهجة البيطار

* * *

رسالة في الكتابة العربية المنقحة

وضعها الاب أنستاس ماري الكرملي توصلاً إلى القراءة العربية بلا ضبط الفاظها وتسهيلاً لها على الاميين

طبعت هذه الرسالة المفيدة في بغداد برواسم (كليشات) كتب أصولها عبدالرزاق ابن محمد الحاج فليح البغدادي ، وتتألف من خمس وعشرين صفحة .

لا يزال حضرة العلامة الاب انستاس يطلع على الناس من حين إلى حين بكل تحقيق ، وبحث ممتع دقيق ، فكتب هذه الرسالة لتسهيل الخط العربي وضبطه ، فبدأها بلمحة في تغيير الحروف ، عززهـا بكلمة في قصور الحروف العربية الحالية عن تأدية اللفظ حق التأدية ، ثم بحث عن نقص عظيم في خطنا ، وهو الذي يجعل تعلم لغتنا بعيد المنال عسيراً ، أعني به عدم وضع علامات الضبط والحركات على حروفنا ، فتحتمل الكلمة الواحدة قراءات مختلفة أو أوجهاً كثيرة فقد نقرأ الكلمة المركبة من حرفين مثل (رب) على احد وعشرين وجهاً ، والمؤلفة من ثلاثة احرف مثل (ربط) نقرأ على ٢٧٣ وجهاً ، بخلاف الحروف اللاتينية التي لا نقرأ بوجه الاجمال إلا بالصورة التي صورت بها ، وذلك لانك إذا رسمت الكلمة ، رسمت معها الحروف المصوتة او حروف العلة فيتعلمها القارئ الغربي بسهولة ، والعربي يقضي السنين الطوال قبل اتقان القراءة ، ولذا قال أديب عربي كبير : يدرس العربي احكام اللغة العربية ليتعلم القراءة ، ويقرأ الاجانب ليتعلموا العلوم .

وتتلخص طريقة حضرة آلاب العلامة بالأخذ بشيئين :

الاول : ادخال حروف جديدة من صحيحة ومعتلة على ابجديتنا ، وهي الحروف الموجودة في لغات الغرب لتصوّر بها اعلامهم والفاظهم تصويراً صحيحاً

والثاني جعل حركات الضبط والنطق التام في اثناء الكلمة لا خارجاً عنها من فوق أو من تحت .

ونرى ان المؤلف قد أحسن صنعاً في اقتباس الحروف التي ادخلها الفرس والترك والكرد والهنود في رسم كلماتهم ، وذلك لانها قد عمت عالم الادب وأصبحت مأنوسة لمشاكلتها لحروفنا ، ولكثرة ما وقعت عليها عيوننا ، وهي خمسة أحرف : الباء والجيم والزاي والفاء والكاف ، ولكل منها ثلاث نقط .

واما الذي احدثه فهو تصوير الحركات العربية والاجنبية ، ويرى ادماجها في سياق الكلمة نفسها ، وان تكتب بعد الحرف الصحيح ، لان الحركة فرع ، والفرع يأتي بعد الاصل ولا تكتب فوقها ولا تحتها .

اما الحركات الاصلية الثلاث فقد ابقاها على حالها وصورها بأحرف فوضع للضمة علامة تشبه رسم السبعة العربية وطرفاها متجهان نحو يسار الكاتب ، وإذا اتجه الطرفان منها الى فوق كانت فتحة ، واذا اتجها الى أسفل كانت كسرة ، واشبهت الثمانية .

واما الحركات الاجنبية او الحروف المعتلة فقد صوّر حرف o الفرنسي بواو قلب طرفه الدقيق الى فوق ، وحرف u بواو مقلوبة الطرف الى اسفل ، وصور é وهو الف الامالة في العربية بألف تحتها نقطتان ؛ واما حرف e وهو حركة قصيرة تكاد تكون سكوناً او (الاشمام) بلغتنا فقدصوره بالرقم سبعة وطرفاه متجهان نحو يمين الكاتب .

إن اهتمام علماء العربية بهذا الموضوع الخطير مما يبشر بقرب الساعة التي تتم فيها الكتابة العربية ، فممن اهتم به العلامتان الشيخ طاهر الجزائري والشيخ ابراهيم اليازجي ونرى ان هذا الشأن مما يجب على المجمعين اللغويين في دمشق ومصر أن يأخذا فيه برأي الخطاطين صيانة لنمط الخط العربي ورشاقته وليسهل صوغ (صبّ) حروفه ، وهي قريبة الشبه من الحروف العربية .

التنوخي

المجلد الرابع عشر — الجزء ١١ و ١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٣٦ م
شعبان ورمضان سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠ قرشاً سورياً	
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً	

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى	ثمن السادسة الى كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة	«	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة	«	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة	«	«	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

عبد الحميد الكاتب

لم يكن للرسائل قبل عبد الحميد الكاتب حدود معينة ولا قواعد مرسومة يلتزمها الكتاب ؛ بل كان الكاتب يعتمد على سجيته وفصاحته وما فطر عليه من البلاغة واكتسبه بالممارسة من البيان . فلما نبغ عبد الحميد وتولى الكتابة في الدولة الأموية ، شرع للكتابة رسوماً والتزم فيها أموراً لم تكن معهودة من قبله ، فاستحسنها الناس ولزم الكتاب طريقته حتى قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد) ، ويعنون بذلك كتابة الرسائل التي تصدر عن ديوان الدولة ، فهو زعيم الأدب الرسمي — إن صح هذا التعبير — وإليه يرجع الفضل في جعل أسلوب الكتابة في الدولة أسلوباً أدبياً عالياً جرت على سنته الدولة العباسية والدول التي استقلت عنها في الشرق والغرب ، حتى تميز تاريخ الأدب العربي بهذا النوع من الأدب الذي يمكن أن نطلق عليه الأدب الرسمي .

التزم عبد الحميد في ذلك النوع من الرسائل التمهيد للموضوع بصور مختلفة تناسب المقام ينتهي منها الى المقصود بمناسبات وثيقة ، والتزم الإفاضة في تعظيم شأن الخليفة وإعلاء أمر الخلافة بالإسهاب والترادف والاستقصاء والتهويل كما التزم البسط في الأمر الذي أنشئت الرسالة من أجله ، فعالجه بقوة البرهان وسحر البيان ، حتى اذا انتصف منه ختم الرسالة بخاتمة تشعر بالانتهاء ، كل ذلك بألفاظ جزلة وتراكيب رصينة تشاكل جلال الخلافة وتلائم عظمة السلطان .

وقد زعم أبو هلال العسكري في كتابيه « الصناعتين » و « ديوان المعاني » أن عبد الحميد اقتبس طريقته عن الفرس فقال : (إن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة

الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي) (الصناعتين ص ٥١ وديوان المعاني ج ٢ ص ٨٩) . ولا يمكن القطع بصحة هذا القول لأنه لم يبق من الرسائل الفارسية القديمة شيء يمكن أن يقابل بما بقي من آثار عبد الحميد ؛ ومهما يكن فإن الأناقة المتجلية على رسائله . من حيث التمهيد والتقسيم وحسن الترتيب واستقصاء المعنى ورصف الجمل ومرادفتها تميز أسلوبه عمن تقدمه من الكتاب .

* * *

جمع عبد الحميد جميع مؤهلات الكتابة الفطرية والكسبية ، فهو دقيق الملاحظة عميق التفكير بعيد النظر دقيق الحس رقيق الطبع أديب النفس ، مارس العلم والادب طويلاً ، لانه كان في أول أمره معلماً للصبيان ، ثم اتصل بختنه سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه وأحد بلغاء الكتاب والنقلة من اليونانية ، فأخذ عنه الكتابة وتخرج به ، ولا شك أنه نال أوفر قسط من ثقافة زمنه ، فقد تأدب بالقرآن والحديث وروى شعر العرب وكلام بلغائهم وخطبائهم وحذق العربية وأيام العرب والعجم ، وألم بالفقه والحساب ، وكان يعرف الفارسية ؛ قال ابن خلكان : « كان عبد الحميد في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماماً » ، وقال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « حدث عبد الحميد عن سالم مولى هشام وحدث عن عبد الحميد خالد ابن برمك » ؛ وقيل لعبد الحميد : ما الذي مكنك من البلاغة فقال : « حفظ كلام الأصلع » يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وقال في رسالته الى الكتاب فيما يجب على الكاتب : « ... قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به ... » ، وقال فيها أيضاً : « فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب ، وتفهموا في الدين ، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا به هممكم ، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج ... » أضف الى ذلك عمل عبد الحميد الذي يقتضيه كثرة الإنشاء والمران على الكتابة وما

مرّ عليه من التجارب والاحداث التي فسحت له ميدان الموضوعات وزادته دُربة وحنكة في الصنعة، قال أحمد بن يوسف: « رسائل عبد الحميد ألفاظ محكمة وتجارب محنكة . »

* * *

وأسلوب عبد الحميد نمط عال في جزالة لفظه وحسن تأديته والانتصاف من المعنى بما لا يَستبد عليه، فكأن لغة العرب جُمعت في صدره يختار منها ما يشاء، أضف الى ذلك طبعاً فياضاً ونفساً طويلاً وفكراً ثاقباً وعقلاً راجحاً، فإذا أراد الإسهاب — وكثيراً ما يسهب — أتى بما لا يخطر على بال ولا يجول في خاطر، كقوله من رسالة له في الفتنة: « ... في الخلاف والمعصية ذهاب كل نعمة، وتفرق كل كرامة، ومحق كل قنية، وهلاك كل سلامة وإلفة، وموت كل عزّ وقوة، والدعاء بكل بلية، ومقارفة كل ضلالة، واتباع كل جهالة، وإحياء كل بدعة، وإماتة كل سنة، وإجلاب كل ضرر على الامة، وإدبار كل منفعة، والعمل بكل جور وباطل، وفناء كل حق، وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه، ويوهن عضده، ويهدم حصنه، ويقل عدده، ويهلك ثروته، ويعطب من يدعوه، ويفزع إليه، ويكثر بمكانه ... الخ » مجلة المجمع العلمي ج ٩ ص ٥٢٩ ولا أعرف من يشاركه في هذه المزية إلا الجاحظ . وقد قيل إن الكتاب الذي كتبه عبد الحميد عن مروان بن محمد الى أبي مسلم الخراساني لما قام بدعوة بني العباس كان حمل جمل . وأما استقصاء الوصف ودقة التصوير فالتمسها في رسالته التي يصف بها خروجه للصيد فهي فريدة في بابها تجعل السمع بصراً منها قوله: « فإذا نحن برعلة من ظباء: وخلفة آرام يرتعن آنسات، قد أحالتهن الضبابة عن شخصنا، وأذهلهن أنيق الرياض عن استماع حسنا، فلم نعج إلا والضواري لائحة لهن من بعد الغاية، ومنتهى نظر الشاخص، ثم مدت الجوارح أجنحتها، واجتذبت الضواري مقاودها، فأمرت بإرسالها على الثقة بحضرها، ومرعة الجوارح في طلبها، فمرت تخف خفيف الريح عند هبوبها، تسف الارض سفاً، كاشفة عن آثارها، طالبة خيارها، حارشة بأظفارها، قد مزقتها تمزيق الريح الجراد، فمن صائح بها وناعر، وهاتف بها وناعق،

يدعو الكلب باسمه، ويفدّيه بأبيه وأمه، ورا كض تحت مُغبره، وخافق يطلبه الرمح، وطامح يتبعه، وسانح قد عارضه بارح، قد حيرتنا الكثرة، وألهجتنا القدرة، حتى امتلأت أيدينا من صنوف الصيد، والله المنعم الوهاب.» والرسالة من أولها الى آخرها على هذا النمط؛ على أنه اذا حاول الايجاز أتى منه بالمعجز كالرسالة التي كتبها الى عامل أهدى الى الخليفة عبداً أسود وهي: «لو وجدت لوناً شراً من السواد، وعدداً أقل من الواحد، لاهديته والسلام.» وكما كتب موصياً بشخص: «حق موصل كتابي إليك، كحقه علي، إذ جعلك موضعاً لامله، ورآني أهلاً لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمله» وهكذا فهو يتصرف كيف يشاء ويجوّد في كل حال ولا يتيسر ذلك إلا للكاتب الموهوب.

* * *

وللقرآن والثقافة الاسلامية أثر ظاهر في رسائل عبد الحميد فإنه يستشهد بالآيات ويستعين بمعانيها وألفاظها كقوله في الضحاك الخارجي: «... يدعو الى المعصية والفرقة، والمروق من دين الله الى الفتنة، بغير هدىً من الله ولا بيان، ساء ما كسبت له يداه، وما الله بظلاّم للعبيد، وساء ما سولت له نفسه الأمارة بالسوء، والله من ورائه بالمرصاد، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون»، وكقوله في فتنة بعض العمال: «... الى نُزُلٍ من حميمٍ، وتصليةِ جحيمٍ... وكذلك الله يفعل بالظالمين، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون».

أما الروح الإسلامية فإنها أقوى عنصر في أدبه، فحمد الله والصلاة على نبيه بصور شتى والاخذ بأدب السنة والوقوف عند حدود الدين والتوكل على الله وتفويض الامر إليه والائتمار بأوامر الشريعة والإكثار من استعمال المصطلحات الإسلامية كالربوبية والوحدانية والفردانية واللاهوتية والرسالة والنبوة والخلافة والإيمان والكفر والجهاد أكثر من أن تحصى في رسائله كقوله: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وارتضاه ديناً لملائكته وأهل طاعته من عباده، وجعله رحمة وكرامة، ونجاة وسعادة، لمن هدى به من خلقه، وأكرمهم وفضلهم، وجعلهم بما أنعم عليهم من أوليائه المقربين،

وحزبه الغالبين ، وجنده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والفلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الأقلين ، وأولياء الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الاسفلين ، مع ما عليهم في دنياهم من الذل والصغار فاعجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، الى ما أعدّ لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والعذاب الاليم ، إنه عزيز ذو انتقام » ومثل ذلك كثير .

وفصاحة ألفاظه وجزالة تراكيبه ثمرة سعة روايته لأدب العرب وبلغاء الإسلام شعراً ونثراً ، قال القلقشندي في صبح الاعشى في فصل حل الشعر ج ١ ص ٢٨٢ : « قال صاحب الريحان والريعان : وأول من فكّ رقاب الشعر وسرّح مقيّده الى النثر عبدالحميد الاكبر كاتب بني أمية » ، ومن أراد أن يتصور عبدالحميد في صنعته وبيانه ، ورجاحة عقله ونفوذ بصره ، وإحاطته بالمواضيع التي يعالجها من كل نواحيها ، فليرجع الى الرسالة التي كتبها عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى ولي العهد عبد الله بن مروان حين أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي ، فإنه في هذه الرسالة رجل من رجال الدولة مضطلع بأعباء السياسة الشرعية والمدنية العسكرية ، داهية بعيدالنظر صحيح التفكير ، محنك أحكمته التجارب ، بصير برسم الخطط ، عالم بالنفس والاخلاق ، عارف بطبقات المجتمع ، مطلع على ضروب الحياة الاجتماعية . والرسالة ضافية الذيل تقع في ثلاثين صفحة كبيرة يذكر في أولها عناية الخليفة بوليّ عهده ، واهتمامه بإرشاده ، على ما اتصف به من الخصال الحميدة ، ولكن تقديم العظة والتذكير سنة حسنة ، ويأمره بشكر الله في كل صباح ، وتلاوة جزء من القرآن ، ومجاهدة الهوى ، ومعالجة الأمور بالقصد ، ومداراة الجند بالإحسان ، وكتمان السر ، ومداواة الحقد بالانصاف ، وتذليل النفس بالعدل ، وتقويم الاود ، والبعد عن العجب ، والرفق والاناءة ، والحلم الى كثير من محاسن الخلال . ويأمره أن يتخذ بطانته من أهل الفقه والورع المجربين المحنكين ، وباصطناع الرصانة والوقار في مجلسه والبعد عن الهزل ، وليكن بعيداً عن الصلف والتيه في موكبه ، وأن لا يسمع سعاية متهم ، ويرسم له آداب مقابلة الوفود ، وأن يتنزّه عن سماع الغيبة وعن الخفة في حالتي السرور والغضب ، ثم يذكر ما يجب أن يستعين به عند لقاء العدوّ من تقوى الله والتوكل عليه واجتناب

تعطيل حدوده ، وتعدي شرائعه ، وأن يثق بنصره ، ويوصيه بتعهد جنده وكف أذاهم عمن يمرون به من أهل الذمة والملة ، وبطاعة الله في جهاد العدو ، ويذكر له أن الظفر مع سلامة الجند أعمُّ منفعة منه مع اقتحام الاخطار ، ويوصيه بأن يبدأ بدعاء العدو الى الطاعة وتأمين اللاجئ والوفاء بالعهد ، وبإذكاء العيون وتعرف أحوال العدو وعدم الاستخفاف به ، ويوصيه باختيار قواده وقضاة جنده ، وأن يتعهد خيل الجند وسلاحهم ، وأن يتولى عرض الجند بنفسه ، وأن يهتم بإطاعة الجنود لقوادهم ، وأن يكون القواد رفيقين بالجنود إلا من يفرُّ من الجهاد ، ويوصيه بالتزام الترتيب في تقسيم الجيش واليقظة في اختيار منازله والإشراف عليه حين مسيره ، وترتيب الحرس في الليل والنهار ، ورباطة الجأش في حالة الحرب ، وجعل الجيش تامّ العدة مستعداً للقتال ، ويوصيه باختيار أمين لخزائنه كما يوصيه بالاخذ بالمكيدة ، واستدراج العدو بالترغيب والترهيب ، وإلقاء الإحن بين رؤساء الاعداء وقادتهم ، ويوصيه باتخاذ الوعاظ في الجيش يحضون الجنود على القتال ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم .

وهكذا فهي دستور لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بشؤون القائد الخاصة والعامة إلا أحصاها على سبيل البسط والإطناب والتقصي باستعمال المترادف والاكثار من التمثيل واستقصاء المعنى الى آخر حدّ كيلا يبقى غموض ولا إبهام في الخطط التي رسمها لولي العهد في كل شؤونه في مهمته التي عهد بها إليه ملتزماً في كل ذلك صحة التقسيم وحسن الترتيب ، بلغة جزلة لا تضيق بشيء من معاني الرسالة الكثيرة وأوضاعها الرسمية فهي في الحقيقة مثال عال للادب الرسمي .

***

لئن دلت رسائل عبد الحميد الديوانية على رجاحة عقله وبعد نظره في السياسة فإن من رسائله الخاصة ما يدل على نفس حساسة وعاطفة رقيقة وأخلاق كريمة ، من ذلك رسالة كتبها الى أخ له يصف سروره بأول مولود ولد له جاء فيها : « ... فإذا نظرت الى شخصه تحرك بي وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه مني أنسة الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فأنا به جذل في مغيبي ومشهدي ، أحاول مسّ جسده بيدي

في الظلم ، وتارةً أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله عندي عظيات الفوائد ولا منفسات الرغائب » ، ومن ذلك رسالة في وصف الإخاء جاء فيها : « ... أحرز حصن ، وأحصف جنة ، وأعون ظهير ، وأبقى ذخيرة ، وأعظم فائدة ، وأشرف كنز ، وأفخر صنيعة ، وآنق منظر ، وأينع زهرة ، أكثر الأشياء ربحاً ، وأنماها وصلاً ، وأمدّها سبباً ، وأقواها أبداً ، وأحلاها ذوقاً ، وأدعمها ثباتاً ، وأرساها ركناً ... غير منان النصرة ، ولا برِم التعب ، يرى تعبه غنماً ، ونصبه دعة ، وكلفه فائدة ، وعمله مقصراً ، وسعيه مفرطاً ، واجتهاده مضيعاً ، عدل الولد في برّه ، والوالد في شفقته ، والأخ في نصرته ، والجار في حفظه ، والذخر في ملكه ، فأين المعدل عن مثله ، أو كيف الإصابة لشبهه ، وأنى عوض من فقد ، جمعنا الله وإياك على طاعته ، وألفنا بمحابه ، وجعل إخوتنا في ذاته » .

وهكذا فعبد الحميد استوفى مزايا الكاتب الطبيعية والكسبية ، ولا مرّ ما لم تلزم صفة الكاتب أحداً من الكتاب كما لزمت عبد الحميد ، فلم يقولوا ابن المقفع الكاتب ، ولا عمرو بن مسعدة الكاتب ، ولا ابن الزيات الكاتب ؛ ولكنهم يقولون دائماً عبد الحميد الكاتب .

خليل مردم بك

عضو المجمع العلمي العربي

ثقافة المتنبي ومصادرها [1]

في فاتحة القرن الرابع للهجرة ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في الكوفة وفيها نشأ وترعرع وشبّ ، وفيها تعلم وتثقف ، وفيها انبجست قريحته بالشعر ، فجوّده وأحكمه ، وفيها بلغ درجة الشعراء المفلقين .

ثم شاء القدر أن تنبو به وأن يجتويها ، فأجمع أمره على مفارقتها وضمّ جراميزه إليه ، ثم سار منها الى بلاد الشام ، فوضع فيها عصيّ الحاضر المتخيم ، وفيها غزر أدبه وحصف عقله ، وظهرت مقلدات شعره ، فسطع نجمه ، وذاع صيته ، حتى ملأ الدنيا وشغل الناس .

وقد رزق أبو الطيب السعادة التامة في شعره ، وكتب له من الرواج في أبهاء الملوك والأمراء والوزراء وأعيان الأمة ورجالات العلم والأدب ما لم يكتب لغيره ، ونال شعره من سرعة الشيوع والانتشار في القاصية والدانية ما لم ينله شعر آخر ، حتى سارت به الركبان ، وأنست به السمّار ، وعمرت مجالس العلم والأدب .

وطمع كثير من الطامعين في الشهرة الطامحين الى الخلود أن يخلد ذكرهم في شعره الخالد ، واستدعوه الى قصورهم ومقارّ عظمتهم وسلطانهم ، وبذلوا له في سبيل ذلك أموالاً عظيمة ، ومنهم من وعده أن يشاطره ماله ويغمره بالهبات والأعطيات ، فلبّى فريقاً وترفع عن إجابة آخرين .

---

(١) هذه كلمة في ثقافة المتنبي ومصادرها ، ألقيت مختصرة في حفلة مهرجان للمتنبي التي أقيمت في مدرج الجامعة في يوم ٢٩ تموز سنة ١٩٣٦ .

وحسده الناس على فضله وأدبه وتنفسوا على ممدوحيه مدحه وكثر منتقدوه وعائبوه من حساده وممن ترفع عن مدحهم ومن أشياعهم ، وفي مقدمة هؤلاء الصاحب بن عباد في فارس والوزير المهلبي في بغداد وأبو الفضل بن حنزابة في مصر ، فإن هؤلاء لم يدخروا وسعاً في الكيد له ، وإثارة الشعراء والعلماء والملوك عليه ، والبحث والتنقيب عن مساوئه هم وأشياعهم .

وتوفر العلماء والأدباء على دراسة شعره ، ورأى فريق منهم الحق في جانبه فتولى الانتصار له والرد على خصومه الذين أرادوا أن يطمسوا نجوم السماء بأكفهم ويطفئوا نور الله بأفواههم ، فظهر من هذا وذاك ما كان في كلامه من الآيات للمعجزة والروائع الباهرة ، واطلع عليها من قصر فهمه عن إدراكها ، فازدادوا إعجاباً بأدبه وحسداً لفضله وتنقيباً عن مساوئه ومثالبه ، وازداد الآخرون إظهاراً لمحاسنه ومناقبه .

وقلما وجد الباحث ناحيةً من نواحي هذا الشاعر الفذ ، إلا وقد قتلها العلماء بحثاً وأشبعوها تمحيصاً وتحقيقاً ، ما خلا ثقافته ومصادرها فإن حظهما من ذلك قليل عند المتقدمين وأقل من القليل عند المتأخرين ، لا ينقع غلة ولا يشفي علة ، وهو على قلته محفوف من الغموض والشكوك بحجب مصمتة لا تنفذ منها أشعة البحث ، محاط بحواجز من التناقض في الأقوال والتضارب في الآراء التي نقلها المتأخر عن المتقدم وطبع فيها الآخر على غرار الأول من غير تمحيص ولا تدبر ، فكانت الحقيقة فيها أخفى من السهى وأغمض من السر في الضمير .

ثقافة المتنبي

مبدؤها ، منتهاها ، مكان كل منها

لقد تصدى كثير من العلماء والأدباء لذكر المتنبي وأطالوا القول في نبئه ومدحه بجودة شعره ، وانتشاره واطلاعه على العرب وما شاكل ذلك ، ولكن منهم من أعرض عن التصدي لثقافته ، ومنهم من أوجز فيها إيجازاً مخلاً .

وممن ذكره من هؤلاء ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء ،

والبديعي في الصبح المنبي ، والأصفهاني في إيضاح المشكل ، والثعالبي في يتيمة الدهر في نحو تسعين صفحة ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، وابن العماد في شذرات الذهب ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، والعباسي في معاهد التنصيص ، وابن نباتة في سرح العيون ، والبغدادي في خزانة الأدب ، وأبو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما ، وابن حجر في لسان الميزان ، والخطيب في تاريخ بغداد ، والعكبري في شرح ديوانه ، والواحدي كذلك .

وليس في كلام هؤلاء الاعلام ما ينير السبيل للباحث عن ثقافة المتنبي إلا وميض ينير يسير على ضوئه الضئيل في هذا الجهل القاتم ، وإن كان الجمع بين ما فيه من التناقض أشق من عقد شعيرة على الاجذم ، وأصعب من الجمع بين الماء والنار .

ويمكن أن يلخص كلام هؤلاء القوم ومن احتذى على مثالهم من بعدهم ، بأن فريقاً منهم زعم أن أبا الطيب وُلد في الكوفة وفيها ترعرع ، واختلف الى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فتعلم دروس العربية لغةً وشعراً وإعراباً ، وخرج الى البادية ، فصحب الأعراب ، وعاد بعد سنين بدوياً قحاً ، ونظر في أيام الناس ، وأكثر ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم ، وقال الشعر صبياً ، ووقع في صغره الى رجل بالكوفة من المتفلسفة يكنى أبا الفضل فهوّسه وأضله كما ضلّ .

وزعم فريق آخر أنه ، وإن كان كوفيَّ المولد ، شاميُّ المنشأ سافر به أبوه الى بلاد الشام وهو صبيّ ، فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ، ويسلمه الى المكاتب ، ويردده في القبائل ، واشتغل فيها في فنون الادب ومهر فيها وتضلع من علم اللغة ؛ وأنه تخرّج بها ومنها خرج نادرة الدلك .

ومنهم من جمع بين الأمرين : تعلمه بالكوفة وتعلمه بالشام .

وفي هذه الاقوال على تباينها شيءٌ من الحقيقة ، ولكنه منتشر في تضاعيف الكلمات انتشار ذرات الذهب في معدنه بين التراب والصخر ، لا يتسنى أن يصاغ منها شيءٌ من الحلي ، حتى يحصلها المعدِّن ، ثم يغسلها وينقيها ، ثم يؤلف بينها ، ثم يصهرها ، ثم يفرغها بعد ذلك في القالب الذي يريده .

وهذا ما نريد معالجته في هذه الكلمة الموجزة في الوقت الموجز .

فقد رأينا هؤلاء العلماء اتفقت كلمتهم على أنه ولد في الكوفة واختلفت في المكان الذي ثقف فيه ، وليس في أقوالهم ما يكشف القناع عن وجه الحقيقة الناصعة ، إذ لم يبين فيها ما درسه في الكتاب من اللغة والشعر وغيرهما ، ولا ما هوسه به أبو الفضل الضال المضل ، كما لم يبين من هم الاعراب الذين صحبهم ، والوراقون الذين لازمهم ، والعلماء الذين لزمهم في الكوفة أو في الشام ، ولا ما هو الذي أخذه عن كل منهم ، ولا ما تعلمه في مكاتب الشام ، ولا ، ولا .

وكل ما ذكروه مما أسلفنا ذكره وأمثاله مما ضربنا عنه الذكر صفحاً كلمات مجملة يقول مثلها المادح أو القادح ليقضي منها حاجة في نفسه ، ولكن الباحث الذي يتوخى البسط والإبانة والتفصيل لا يستطيع أن يتخذها أساساً يقيم عليها صروح بحثه .

وقد يخيل إلي أن أقرب شيء تسكن اليه النفس في هذا أن يقال : إن المتنبي درس في الكوفة اللغة ، وفيها ثقف ونال الشعر الجيد ، ولكن لم يشتهر كثيراً ، ثم خرج الى الشام سنة ٣٢١ ، وكان عمره إذ ذاك ثماني عشرة سنة ، فاطلع على ثقافة أهلها ، واجتمع بطائفة من علمائها وأدبائها ، وتابع الدراسة ، فازدادت ثقافته وغزرت مادته واستحصد شعره وحصف عقله وشاع ذكره ونضج أدبه .

والدليل على هذا أمران ، الاول : أن المؤرخين رووا له أبياتاً قالها في صباه في المكتب وهي :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

ورووا له قصيدة مدح بها رجلاً يقال له أبو الفضل ، وقد أراد أن يستكشفه عن مذهبه ، ولا أعلم إن كان أبو الفضل هذا هو الذي هوسه وأضله أم غيره ، يقول فيها متغزلاً :

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار تقل ليلاً مظلما
لم تجتمع الاضداد في متشابه إلا لتجعلني لغرمي مغنما

ويقول مادحاً :

يا أيها الملك المصفى جوهراً من ذات ذي الملكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لاهوتية فتكاد تعلم علم ما لن تعلما

* * *

كبر العيان علي حتى إنه صار اليقين من العيان توهما
يا من لجود يديه في أمواله نقم تعود على اليتامى أنعما

وذكروا له قصيدة قالها في صباه حين اجتاز برأس عين سنة ٣٢١ ، وذلك أن سيف الدولة أوقع بعمرو بن حابس من بني أسد وبني ضبة ورباح من تميم ، فمدحه بها ولم ينشده إياها ، فلما لقيه دخلت في جملة المديح ، مطلعها :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت حمامي قبل يوم حمامي
دمن تكاثرت الهموم علي في عرصاتها كتكاثر اللوام

وفيها يقول متغزلاً :

فكأن كل سحابة وكفت بها تبكي بعيني عروة بن حزام
ليس القباب على الركاب وإنما هن الحياة ترحلت بسلام
ليت الذي خلق النوى جعل الحصى لخفافهن مفاصلي وعظامي

ويتخلص الى المدح فيقول :

لم يتركوا لي صاحباً إلا الاسى وذميل دعبلة كفحل نعام
وتعذر الاحرار صير ظهرها إلا اليك علي فرج حرام
أنت الغريبة في زمان أهله ولدت مكارمهم لغير تمام
ملك زهت بمكانه أيامه حتى افتخرن به على الايام
وتخاله سلب الورى أحلامهم من حلمه فهم بلا أحلام

ويقول فيمن عصوا الامير :

فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الاجسام
أحجار ناس فوق أرض من دم ونجوم بيض في سماء قتام

ورووا له شعراً كثيراً قاله في صباه فيه من عيون الكلام وروائع الشعر ما يندر مثله في غير كلام الفحول .

وهذا الشعر المذكور وأمثاله شعر محكم التأليف مصقول الديباجة صحيح المعنى مشتمل على شيء من مصطلحات العلوم كجمع الأضداد في متشابه والقرم والمقنم والجوهر واللاهوتية والعيان واليقين والتوهم ونحوها ، وعلى الإشارة إلى رجل اشتهر في التاريخ بحبه وهو عروة بن حزام ، وعلى كثير من الطباق والجناس وغيره من صناعة البديع كالهوى والنوى والقرم والمغنم والنقم والأنعم ونحوها ، وعلى ضروب من المجاز اللطيف والتشبيه الرائع والكنايات الجميلة وما شاكل ذلك مما لا يتسنى لشاعر أن يأتي بمثله إلا بعد أن يمهر في الشعر ويحتنك .

ولئن كان فيما قاله المتنبي من الشعر بعد هذا ما هو أجود منه وأعلى فإن كل شاعر لا يكون شعره في أول عهده بالشعر أعلى من شعره بعد أن يتمرس به عهداً طويلاً ولا تبلغ باكورة شعره في قريحة شبابه ما يبلغه شعره بعد أن يزاول الشعر ويعالجه بعد أن ينضج أدبه ويستحصف عقله وتكمل ثقافته .

وبهذا يتضح لنا أن قول الثعالبي وابن خلكان ومن ترسم خطاهما أنه قدم الشام صبياً وجال في أقطارها ودخل المكاتب وتخرج بها الخ .. قول لا يؤيده الواقع ولا تقره الحقيقة .

الأمر الثاني : ما رواه المؤرخون من أنه كان يصحب ديواني أبي تمام والبحتري حتى إنه لما قتل وجدا معه بخطه وعلى الحواشي علامة كل بيت أخذ معناه وسلخه ، وأنه كان له دفاتر كان يصحبها حيثما رحل وكان كثير الإشفاق عليها لأنه انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً ، وأنها وجدت معه حين قتل .

وهذا دليل صريح على أنه ما فارق الدراسة والمطالعة حتى فارق الحياة .. وكان فوق هذا يخالط جماعة من الشعراء والأدباء والعلماء في بلاط سيف الدولة وغيره .

وهذا القدر كاف في الدلالة على أن المتنبي ابتدأ تثقفه وقوله الشعر الجيد في الكوفة وأتم الأمرين معاً في بلاد الشام، ومنه يتبين لنا المكان الذي ابتدأت فيه ثقافته والمكان الذي تمت فيه .

تقسيم ثقافته ومصادرها

ومن المفيد أن تقسم ثقافة المتنبي إلى أقسام يتميز كل واحد منها من الآخر ليسهل ضبطه وتفرقته من قسيميه وإن كان بعضها مشتركاً مع غيره في بعض الوجوه، ثم نبين مصدر كل منها بقدر ما سمحت لنا النصوص فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام لغوية وأدبية وعلمية ولكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة مصدر مجهول ومصدر معلوم ؛ أما المصدر المجهول فتشترك فيه الأقسام الثلاثة على السواء ، وهذا المصدر لم يسعف البحث بمعرفته معرفة تكشف النقاب عن حقيقته ، وذلك ما تقدم ذكره من مثل دخوله الكتاب في الكوفة والمكاتب في الشام (إذا صحّ ذلك) . وخروجه إلى البادية وصحبته الأعراب وملازمته الوارقين ودفاتره ولزومه العلماء وبما شاكل هذا من المصادر المبهمة المجهولة التي لم يبين ما نعلمه وما أخذه من كل منها .

ولكل قسم مصدر آخر معلوم تحته أنواع متعددة أو مصادر أخرى معلومة يتميز بها من قسيميه وقد يشارك غيره في بعضها .

ثقافته اللغوية

من مصادرها كلام الشعراء الذين زعموا أنه أخذ معانيه منهم كامرئ القيس والنابغة وزهير وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم في ثقافته الأدبية .

ومنها أنه وجد في أشعاره وأخباره مايدل على تضلعه باللغة وإطلاعه على أسرارها ودقائقها وغريبها اطلاعاً حمله على الإعجاب بنفسه والتمرد على بعض مذاهب النحاة واحتقاره مثل ابن خالويه في مجلس سيف الدولة وأبي الفرج الأصفهاني وغيره من الأدباء والعلماء في مجلس الوزير المهلبي وأبي علي الآمدي شيخ الجماعة في حضرة الوزير أبي الفضل بن خنزابة في مصر .

فما ورد في شعره قوله :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازمُ

وقوله :

أمضي إرادته فسوف له قدٌ واستقرب الأقصى فثمّ له هُنا

قوله :

وكان ابنا عدو كاثراه له ياءي حروف أنيسيان

وقوله :

حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت باستفهامها بمن

ومما روي في أخباره : أن أبا علي الفارسي قال له يوماً : كم من الجموع على فعلى ، فقال في الحال : حِجلى وظِربى . (حجلى جمع حجلة أو اسم جمع لها لنوع من الطير وظربى جمع ظِربان ، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم أسود السراة أبيض الظهر كثير الفسو منتن الرائحة) . قال أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد . وقال في المتنبي : ما رأيت رجلاً مثله في معناه . .

وأن الحاتمي لما ناظر المتنبي في بغداد ، سأله : ما الفرق بين التقديس والقَدّاس والقادس ، فقال له المتنبي : أي شيء غرضك في هذه المذاكرة بل المهاترة ، ثم قال له : التقديس التطهير ولذلك سمي القدس قدساً لاشتماله على الذي يكون فيه الطهور وكل هذه الأحرف تؤول إليه ، فقال الحاتمي : ما أحسبك أمعنت النظر في كتب اللغة وعلوم العرب ولو تقدم منك مطالعة لها ما جمعت بين معاني هذه الكلمات مع تباينها لأن القَدّاس حجر يلقى في البئر ليعلم غزارة ما فيه من قلته ، والقُداس يشبه الجمان يعمل من الفضة ، والقادس السفينة .

وإذا تأملنا جواب المتنبي على إيجازه وعلى أنه جواب على سؤال متعنت فوجئ به . تبين لنا أنه جواب عالم باللغة مطلع على أسرار وضعها واشتقاقها ، فإن علماء اللغة قالوا : القُدُس الطهر والبيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، والتقديس التطهير ، والقُدّوس الطاهر ، ونقدس لك نطهر أنفسنا لك ، والأرض المقدسة للطهارة ، وروح القدُس روح الطهارة أي خلق من طهارة ، ولا قدّست أمة لا طهرت ، والقدّس والقدُس قدح يتطهر به ، والقدّس السطل لأنه يتطهر به ، ومن أسماء مكة قادس والمقدسة لأنها تقدس من الذنوب أي تطهر ونحو ذلك ، ولا يضير المتنبي أن لا يعرف معنى القادس والقُداس والقَدّاس ، فإن كثيراً من أئمة اللغة توقفوا على معان لا يعرفونها

وما عرف التاريخ رجلاً وعى صدره معاني اللغة كلها حتى العرب أنفسهم ، فإن قرشيًا قال له ملك حمير (ثِبْ) فلم يفهم معناه بلغة حمير فوثب فمات ، وإن عمر ابن الخطاب توقف في معنى الأبّ ؟ فإن كثيراً من أئمة اللغة جهلوا معاني بعض الكلمات وأخطأوا في تفسير بعض آخر . فالكسائي لم يفرق بين معنى عييت وأعييت حتى نُبِّه الى ذلك ، وأبو عبيدة سئل عن أسماء أعضاء الفرس فتوقف وقال لست ببيطار . وكفى للمتنبي فضيلة أنه لم يهرف بما لم يعرف ولم يجب بغير ما يثق بعلمه ، على أن ما ذكره الحاتمي في تفسير القدّاس لم أرَ من ذكره من أئمة اللغة ، وإنما قالوا : هو حجر يوضع في حوض الإبل أو وسطه اذا غمره الماء رويت الإبل ، أو يطرح فيه يقدّر عليه الماء يقتسمونه بينهم ، أو حصاة يقسم بها الماء في المفاوز .

والحاتمي إنما تطوع بمناظرة المتنبي ليظهر على أكتافه ، ويتحدث الناس أنه ظهر عليه وأفحمه ، ولينتفع من ذلك غلة معز الدولة ووزيره المهلبي اللذين توقعا من المتنبي أن يمدحهما فترفع عن ذلك ، والحاتمي على صلفه وتعنته لم يستطع أن يجحد فضل أبي الطيب وتفوقه وتفرده ، فقد قال في رسالته التي ضمنها مناظرة المتنبي : فلما علوته بالكلام قال : يا هذا اللغة مسلمة لك ، فقلت : كيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقها والكلام على أفانينها ، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك ؟ ثم قال في موضع آخر منها : ورأيت له حق التقدم في صنعته فطأطأت له كتفي .

هذه شهادة خصم لدود وعدو شديد للمتنبي « والفضل ما شهدت به الأعداء » .

وقال ابن خلكان فيه : إنه كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، وإنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب . وقال الاصبهاني في إيضاح المشكل : وجملة القول فيه أنه كان من حفّاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو في كتاب الجمهرة وهو قوله : « ... تطوى الجلحة العقد » ، وهذا من بيت وهو :

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي وأطوي كما تطوى المجلحة العقدُ

يريد بالمجلحة الذئاب الجريئة الشديدة الماضية ، وأطوي من الطوى وهو الجوع ،

والعقد جمع أعقد وهو الذي في ذنبه عَقَد أي التواء ، وذنب أعقد معوج .

وقال أيضاً : كان المتنبي يغشى أبا الفضل بن العميد كل يوم ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه .

وديوانه طافح بالايات والكلمات الدالة على غزارة مادته وسعة اطلاعه وأخباره مكتظة بالادلة على هذا .

وكان أبو الطيب فوق هذا صَنعًا ماهراً في صوغ الكلمات وتأليفها،لبقًا بارعًا في تخير ما يلائم منها كل غرض ، حاذقًا في وضع كل كلمة في موضعها .

قال ابن فورَجّة أو فورَجة : قرأت على أبي العلاء المعري،ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب ، فقلت له : ما ضرّ أبا الطيب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها ، فأبان لي عَوار [1] الكلمة التي ظننتها ، ثم قال : لا تظنن انك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فجرب إن كنت مرتابًا ، وها انا ذا أجرب هذا العهد فلم اقدر ، وليجرب من لم يصدق يجد الامر كما قلت . وشهادة ابي العلاء هذه تعدل شهادة أمة بأسرها او تزيد ، وإنما يقدرها حق قدرها من عرف من هو ابو العلاء ، وما هو في اللغة والادب والشعر ، وإن كانت لا تخلو من شيء من المبالغة التي سببها حب ابي العلاء المتنبي وتواضعه .

ثقافته الادبية

ولثقافته الادبية غير ما سبق ذكره من المصادر مصادر أخرى منها اقوال الشعراء الذين زعم حساده انه اغار على معانيهم وسلخها،ثم تصرف فيها بما شاء من زيادة ونقص وتوليد ونقض وقلب ، وهؤلاء الشعراء كثيرون منهم : امرؤ القيس ، والافوه الاودي ، والنابغة الذبياني ، وزهير ، والحصين بن الحُمام المري ، وعنترة ، وذوالإصبع العدواني ، والاعشى الاكبر ، وعروة بن الورد ، وحاتم الطائي ، وربيعة بن مرداس ، وابو صخر الهذلي ، والمثقب ، وعروة بن عشبة ، والعوام بن عمرو ، واوس بن حجر ، وابو جويرية العبدي ، وخفاف بن غصن البرجمي ، وحطابط بن يعفر ، والحزين الدؤلي

(١) العوار بالفتح العيب وقد يضم .

وقيس بن الخطيم ، وقيصر الاسد ، وعين بن مالك ، وعلاقة بن عربي ، ولبيد ، وإياس الكلابي ، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وذؤيب بن كعب التميمي ، وعبد يغوث ، ومضرس بن ربعي ، والحادرة ، وجابر بن حباب ، وتأبط شراً ، وسويد ابن ابي كاهل ، وأمية بن ابي الصلت ، وخداش بن زهير ، وعنترة بن الاخرس ، وزياد الايدي ، وطرفة ، والنابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت ، وعمرو بن معديكرب ، والعباس بن مرداس ، والاهتم بن سنان ، وعلقمة بن اسوى ، وأحيحة بن الجُلاح ، والفرزدق ، وجرير ، والاخطل ، وكثير ، والطرماح ، وعمر بن ابي ربيعة ، والراعي وذو الرمة ، وقيس بن ذريح ، ويزيد بن الطثرية ، وعقيل بن غفلة ، والكميت ، والجلاح ، واعشى باهلة ، ونصر بن سيار ، وسالم بن وابصة ، ومتمم بن نويرة ، والبعيث ، والاعور الشني ، وعدي بن الرقاع ، والمؤرج بن عمر ، وابو العميثل ، والحطيئة ، وزياد الاعجم ، وعمران بن حطان ، وعبد الرحمن بن دارة ، وعميرة ابن جعيل ، وعمر بن الاهتم ، ورؤبة ، وعبد الله بن الزبير الاسدي ، وثابت بن قطنة العتكي ، وعبد الله بن معاوية ، وابن الرقيات ، وهدبة بن الخشرم ، وزفر بن الحارث ، وابن هرمة ، وبشار ، وحماد ، والعتابي ، وأبو العتاهية ، ومروان بن ابي حفصة ، وابو الشيص ، وأبو نواس ، وأبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والعباس بن الأحنف ، وابن المعتز ، وأبو هفان ، وابن الخياط ، وعبد الله بن طاهر ، وأشجع السلمي ، وعلي ابن جبلة ، وبكر بن النطاح ، والناشئ الأكبر ، وعبد الله بن محمد المهلبي ، وموسى ابن جابر الحنفي ، وأبو دلف ، ومسلم بن الوليد ، وديك الجن ، ودعبل ، ومحمود الوراق وعلي بن الجهم ، ويعقوب بن الربيع ، ومحمد بن وهيب ، ومنصور النمري ، وأبو سعيد المخزومي ، وأبو عطاء السندي ، وأحمد بن أبي فنن ، والعتبي ، ومنصور الفقيه ، وابن المعذل ، والخليع ، وعلي بن الخليل ، والخبز أرزي ، والحمدوني ، وابن الناصر ، وخالد الكاتب ، والخزيمي ، وأحمد بن طاهر ، وسعيد بن حميد ، وأبو طاهر ، وإبراهيم ابن المهدي ، ويزيد المهلبي ، ويحيى بن زياد ، والسيد ، والخيم الراسبي ، وصالح بن عبد القدوس ، وسلم الخاسر ، وحمزة بن بيض ، والطرمي ، وأبو حفص الشطرنجي ، وإسحاق بن خلف ، والناجم ، ومنصور بن بسام .

وكثير من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين ممن سموا وممن لم يسموا .

زعموا أن أبا الطيب أغار على معانيهم فانتزعها ، أو أغار على من أغار عليها فانتزعها منه .

ومن مصادر ثقافته الأدبية أقوال الحكماء ، فقد زعم فريق من المولعين بالإغراب من شراح ديوانه وغيرهم ، أنه أخذ كثيراً من معاني الحكماء وجعلها في شعره ، وذلك مثل قوله :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

قالوا : إنه أخذه من كلام أرسطاطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . وقوله :

أرى أناساً ومحصولي على غنمٍ وذكر جود ومحصولي على الكلم

من قول الحكيم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو بطبع البهائم ، لأنا نعلم أنها متى خلي بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئاً غير ذلك . وقوله :

وربَّ مالٍ فقيراً من مروءته لم يثر منها كما أثرى من العدم

من قول الحكيم : من أثرى من العدم افتقر من الكرم ، وقوله :

وشبه الشيءُ منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

من كلام الحكيم : الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أن الأضداد مباينة لأضدادها . وقوله :

ذلٌّ من يغبط الذليل بعيش ربَّ عيش أخف منه الحِمام

من كلام الحكيم : إذا لم تتصرف النفوس في شهواتها : فحياتها موت ووجودها عدم . وقوله :

كل حلم أتى بغير اقتدارٍ حجة لاجئٌ إليها اللئام

من كلام الحكيم : الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم لا يكون إلا عن قدرة ، والعجز لا يكون إلا عن ضعف . وقوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

من كلام الحكيم : العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها ، والجاهل يظن أنها خالدة وهو باقٍ عليها ، فهذا يشقى بعلمه وهذا ينعم بجهله . وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

من كلام الحكيم : الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة . وقوله :

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين : إما علة دينية أو علة سياسية كخوف الانتقام . وقوله :

هوّن على بصر ما شق منظره ... فإنما يقظات العين كالحلم

من كلام الحكيم : كرور الأيام أحلام ، وغداؤها أسقام وآلام . وقوله :

سبحان خالق نفسي كيف لذّتها ... فيما النفوس تراه غاية الألم

من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها أماكن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها . وقوله :

كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول وباقي عمره مثل ذاهب

من قول الحكيم : آخر حركات الفلك كأوائلها ، وناشئ العالم كلاشيء في الحقيقة لا في الحس . وقوله :

فهذه الأرواح من جوّه ... وهذه الأجساد من تربه

من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد الى عنصره . وقوله :

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمانٍ هنّ من كسبه

من قول الحكيم : إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فمالنا نعاف رجوعها الى أماكنها . وقوله :

وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه

من قول الحكيم : آخر إفراط التوقي أول موارد الخوف . وقوله :

أرى كلنا يبغي الحياة بسعيه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا

فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

من قول الحكيم : النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل جداً وترى فناءها في طلب العز حياتها ، والنفس الدنية بضد ذلك . وقوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحمام مر المذاق

من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها ، والنفوس الصافية بضد ذلك .

وأمثال هذا كثير في شعره ، مما زعموا أنه اقتبسه من كلام الحكماء ، بين حكيم معلوم سمي وبين حكيم مجهول لم يسم .

ولو استطاع خصومه لنسبوا كل جيد من معانيه الى غيره من الشعراء والحكماء ، وإذا صح كل ما قيل فأبو الطيب أوسع الشعراء اطلاعاً على كلام الفحول من حكماء وشعراء ، وأبصرهم بالمعاني الجيدة ، وأبرعهم في انتقائها ، وأقدرهم على التصرف بها زيادة ونقصاً وتوليداً وقلباً ، وأحذقهم صوغاً وتأليفاً .

وقد شهد له فريق كبير من خصومه بتفوقه في مواطن كثيرة على من زعموا أنه أخذ منه في قوة السبك ، وروعة الألفاظ ، وجمال المعاني .

ولو ادعى مدع أن هذا الحكيم المعلوم أو المجهول خلقه حساد المتنبي ونسبوا إليه تلك الأقوال ليسلبوه محاسنه ، لكان ذلك غير بعيد ، ولشهد له ما في أقوال أولئك الحكماء من الركاكة في التأليف ، والتقصير عن الإحاطة بالمعنى ، وإن جاء بعضها مسجعاً .

ومن أمعن النظر في كلام أبي الطيب ، وكلام ذلك الحكيم يتضح له في مواضع متعددة أن لا علاقة بين الكلامين إلا من حيث اشتراكهما ببعض الالفاظ أو بطرف من المعنى ، وأن للمعنى في شعر أبي الطيب أجل وأتم منه في كلام الحكيم ، والشواهد على هذا كثيرة ، منها قوله :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

قالوا : إنه من قول الحكيم : من صحة السياسة أن يكون الإنسان كلما ظهرت سنة عمل بها بحسب السياسة .

وعند التأمل لا يجد الباحث بين الكلامين رحماً واشجة ، ولا نسباً جامعاً ، ولا

رابطة بينهما إلا أنه يتعلق كل منهما بعمل الإنسان ، ولكن هذا العمل مختلف في كليهما جد الاختلاف من حيث الغاية والقصد والسبب والعلة . وكذلك قوله :

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

قالوا : إنه منقول من قول الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

والفرق بين المعنيين من حيث الصحة والجمال كالفرق بين اللفظين من حيث البلاغة وقوة الاسر ، وصفاء الديباجة ؛ فإن المتنبي يقول : أعط نفسك حظها قبل أن تموت ، فإن الحياة لا تدوم . والحكيم يقول : لا تقصر عن أخذ لذتك فإنك تعدم تلك اللذة وتعدم صحة جسمك . ولا علاقة لاحد هذين المعنيين بالآخر إلا من جهة الحض على التمتع باللذة ، ولكن علة ذلك مختلفة في كليهما ، والامر المترتب على المخالفة مختلف فيهما أيضاً .

وهذا شأن أكثر الابيات التي زعموا أنه أخذها من قول الحكماء ، وكثير من الابيات التي ادعوا أنه سلخها من معاني الشعراء ، كقوله :

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذا مس في أجسامهن النواعم

قالوا إنه من كلام امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقد رأيت نحواً من ثلاثين شاعراً بين امرئ القيس والمتنبي أخذوا هذا المعنى ولم يستطع أحد أن يجود فيه بعد صاحبه مثل المتنبي ، وكذلك قوله :

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم يبق إلا جماجمه

سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

وقوله في وصف جيش :

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم

قالوا إنه من قول أبي تمام :

وقد ظللت عقبان رأياته ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

وأصل هذا المعنى للأفوه الاودي أخذه منه النابغة الذبياني فزاد فيه زيادة حسنة ثم تتابع عليه شعراء كثيرون مثل أبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما ثم جاء أبو تمام فزاد فيه ما زاده حسناً وجاء المتنبي فزاد فيه زيادة حسنة ولم يأخذ معنى أبي تمام كله بل وافقه في أصل المعنى المأخوذ عن النابغة والافوه ثم فارقه في بقية المعنى وهو على غاية من الجودة ، ورحمة الله التي وسعت طائفة كبيرة من الشعراء الذين ألموا بهذا المعنى ولم يؤاخذوا به لا تضيق عن أبي الطيب .

وكان أبو الطيب سئل مرة عن اتفاق الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخاطر كما يقع الحافر على الحافر . وهذا مما لا ريب فيه فانا قد نرى شاعراً وافق غيره في معنى من غير أن يطلع على شعره. ونرى أيضاً شاعرا اعجمياً قد يوافق شاعرا عربيا وبالعكس من غير أن يعلم أحدهما لغة الآخر فضلا عن أن يطلع على شعره ويقتبس من معناه .

وليس القصد من كلامنا هذا أن نبرئ المتنبي من السرقة للمعاني ، وانما نريد أن نبين أن كل ما نسب اليه من ذلك غير صحيح ، وأن دعوى خصومه مبالغ فيها ، وأن غيره شاركه في مثل هذا ولكن لم يكن له من الخصوم والمنتقدين ما كان للمتنبي .

وبعد كل ما تقدم فإننا لا ننكر أن المتنبي كان كما قال الخالديان كثير الرواية جيد النقد ، وقد أسلفنا قول ابن خلكان : إنه كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وأنه لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب ؛ ولكننا ننكر أن يكون كل معانيه أو جلها مأخوذاً من غيره .

وأغرب من كل ما سبق ذكره ما ذكره بعض خصومه المتعنتين المنقبين عن سرقاته : وهو أن قصاراً كان يعمل على شاطئ نهر وكان يرى كل يوم كركياً يجيء فيلتقط من الحمأة دوداً ويقتصر في القوت عليه ، ثم رأى الكركي يوما صقراً ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها ، فقال الكركي : ما لي لا أصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما ثم ارتفع في

الجو وانقض على حمامة فأخطأها وسقط في الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ، ولم يمكنه أن يطير فأخذه الصياد ورجع إلى منزله فاستقبله رجل فقال ما هذا فقال : كركي يتصقر ، فسمع المتنبي هذه الحكاية فأخذ منها معنى قوله :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وهذا البيت من قصيدة قالها حين هرب من مصر ووصل إلى الكوفة مطلعها :

الا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيذبى

يصف فيها رحلته ما بينهما ، ولا نعلم في أي موضع سمع هذه الحكاية ، وقد كان فاراً من كافور يختبئ في مكان بعد آخر وليس يصحبه غير غلمانه ، فمن قص عليه ذلك ومن رواه عنه ؟ .

وهذا يؤيد ما قلناه أن خصومه لو استطاعوا لنسبوا كل معنى جيد في شعره إلى غيره ، ولذلك قال ابن نباتة في سرح العيون : وهذا من نوادر المتنقبين على سرقات المتنبي ، ومن نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود .

ثقافته العلمية ومصادرها

وأما ثقافته العلمية فهي أشد غموضاً من سابقتيها وأخفى طريقاً وأقل عناية في كلام المتقدمين .

وقد كان أبو الطيب في عصر زخرت فيه بحور العلم وانتشرت كتب الفلسفة وفشت فيه آراء الحكماء والفلاسفة والزنادقة ، وأصحاب الأهواء والنحل بين طبقات العامة والخاصة .

ومن استقرى كلامه ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية والإلماع إلى بعض المذاهب ، وما يعتقده بعض الفرق في الأفلاك العلوية ونحو ذلك كقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإن فيه إشارة إلى اختلاف الكلمة في فناء الجسم والروح معاً ، أو في فناء الجسم

وحده ، وكلاهما قول لبعض الحكماء ، وأبو الطيب وقف بين العجز والتعجب ولم يصرح بما ارتضاه من القولين على ما في كلامه من احتمال لقبول التأويل .

وقوله من قصيدة يعزي بها عضد الدولة بعمته :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

فإن فيه إشارة إلى مذهب القائلين ان الروح جوهر لطيف يصعد إلى الجو بعد مفارقة الجسم ، وإن الجسم جوهر كثيف يعود إلى عنصره الأول ، ويصلح أن يكون فيه إشارة إلى مذهب القائلين ان المادة تبقى ولا تفنى .

وقوله في هجو كافور :

ألا فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم
فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

فإن فيه إشارة إلى مذهب الدهرية القائلين إن العالم موجود أزلا وأبداً لا صانع له ، والمعطلة القائلين إن العالم فارغ عن صانع أتقنه وزينه . وقوله في مدح كافور :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

فإن فيه إشارة الى مذهب المانوية القائلين إن مبدأ هذا العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة ، وإن الخير من النور والشر من الظلمة .

وقوله من قصيدة يمدح بها طاهر العلوي :

إذا علوي لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب

فإن فيه إشارة الى فرقة يقال لها الناصبية وهي تدين ببغضة علي بن أبي طالب .

وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كالحلم

فإن فيه إشارة الى مذهب السوفسطائية المنكرين لحقائق الأشياء ، وقد استدل فريق بهذا البيت على أن المتنبي كان يعتقد هذا المذهب كما استدل آخرون بقوله :

تنعم من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

على أنه كان يدين بالتناسخ الذي يقول أصحابه إن الروح تنتقل من جسم إلى آخر مكافأة لصاحبه على خير قدمه ، أو مجازاة على شر اجترمه . وقوله:

يقولون تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب

وقوله :

وقد زعموا أن النجوم خوالد ولو حاربته ناح فيها الثواكل

وقوله :

فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقل

فإن في هذه الأبيات الثلاثة إشارة الى مذاهب بعض الحكماء وما يعتقدونه في الكواكب العلوية من تأثير في عالم الارض ، وقد يستلزم الخلود لها . وإثبات العقل لها وإشارة إلى أن كلمة القوم لم تتفق على ذلك ، وان لكل معتقد من يخالفه ، ولهذا عبر بكلمات : يقولون وزعموا ، ومن يدعي ، ولم يبين رأيه في ذلك ، ولكن التعبير بالكلمات السابقة يدل على أنه لا يشايع هذه الفرق في اعتقادها هذا .

ووقع في شعره ذكر رجال من الحكماء المشهورين في مثل قوله :

يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبه

وقوله :

من مخبر الأعراب أني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكا متبديا متحضرا

وقوله :

إذا داء هفا بقراط عنه فلم يعرف لصاحبه ضريب

وربما جرى على طريقة الحكماء في الاستدلال والتعليل كقوله :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وقوله :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا

وقوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلامُ

ومن تتبع كلام ابي الطيب بإمعان ، وجد فيه كثيراً من الآراء والمنازع الفلسفية ، مما يدل على أنه كان مطلعاً على شيء من هذا العلم عارفاً بأخبار رجاله ، وما اشتهر به كل منهم من الخصائص ، عارفاً بمذاهبهم واختلافهم في فناء الروح والجسم وبقائهما وبما يعتقده فريق منهم في النجوم وما شاكل ذلك .

ولكنه لا يجد فيه كلَّ نوع من أنواع الفلسفة العلمية والعملية ، بل لا يكاد يجد للفلسفة الطبيعية والرياضية والالهية إلا أثراً ضئيلاً يتراءى في الأبيات المتقدمة وأشباهها. ومثل هذا القدر يجوز أن يكون شاعَ بعرفيه الحكماء بعد أن اطّلع على أقوالهم أو سمعها ، ولكنه لا يدلُّ على أنه درس هذا العلم درساً وافياً واتخذ لنفسه فيه طريقاً اختصَّ به كما يفعله الراسخون في هذا العلم .

فلم يبقَ من الأقسام التي برّع فيها براعةً فائقة إلاّ طرفٌ من الفلسفة العملية وأكثره مما يتصل بالأخلاق ، وليس له فيه نظريات يثبتها بالبراهين وآراء يدعمها بالأدلة وإنما هي جملٌ محكمةٌ رائعةٌ بليغة ينطق بمثلها الحكماء اذا تصدّوا للبحث في الأخلاق وإن كان كلامهم أدنى في باب البلاغة من كلامه .

وليست حكمته كلها مقتبسة من كلام الحكماء ولا كلها خطرات نفسية ، وإنما هي مزيجٌ مما اقتبسه من غيره ومما هدته اليه فطرتُه وأرشدته اليه تجاربُه .

ولعلَّ أعظمَ مصدر لحكمته هذه هو حياته لأنه تعاقبت عليه أطوارٌ من الحياة مختلفةُ الأشكال من سعادةٍ وشقاء وفاقةٍ ورخاء وروعةٍ وأمن وقد جرب الناس وذاقهم وأكلهم، ودرس الحياةَ درساً دقيقاً وافياً واستقصى كثيراً من سجايا الناس وطباعهم ونعى عليهم كثيراً منها ، وقد كان جيدالنقد دقيق الحس شديد الطموح إلى الإمارة شديدالاعتداد

بنفسه عظيم الاعجاب بشعره محباً للمال حباً جماً متبذلاً في سبيله مفتوناً بالقوة منذ الحداثة كثير التغني بها فأثرت هذه العوامل المختلفة في نفسه وكان من أثرها ما نمثله لبياته في الحكمة كقوله :

أذم الى أهل الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ وأحزمهم وغدُ
وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عمٍ وأسهدهم فهدٌ وأشجعهم قِردُ

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ

وقوله :

وإنما نحنُ في جيل سواسية شرٌّ على الحر من سقم على بدن

وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباعٌ يتفارسن جهرةً واغتيالا
من أطاق التماس شيءٍ غلابا واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا
كلُّ غادٍ لحاجةٍ يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقوله :

كلُّ حلم أتى بغير اقتدار حجةٌ لاجىءٌ اليها اللئامُ

وقوله :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ ظ وأشفى لغل صدر الحسود
فاطلب العز في لظى وذر الـ ذل وإن كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبانُ وقد يعجز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خوّض في ماء لبة الصنديد

وقد يجد الباحث في شعره غير ما تقدم كثيراً من الاشارات الى المصطلحات الفقهية كقوله :

وأخ لنا بعث الطلاق ألية لأعللن بهذه الخرطوم
فجعلت ردي عرسه كفارة في شربها وشربت غير أثيم

وقوله :

اذا ما فارقتني غسلتني كأنا عاكفان على حرام

وقوله :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

وقوله :

وزارك بي دون الملوك تحرجي اذا عن بحر لم يجز لي التيمم

وكذلك يجد كثيراً من أسماء الأمم والقبائل والرجال الذين اشتهروا في التاريخ بحوادث معروفة كقوله :

فكأن كل سحابة وكفت بها تبكي بعيني عروة بن حزام

وقوله :

لو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى

ويجد كثيراً من اسماء الاماكن من اودية وجبال وهضبات وانهار ومياه وقرى وامصار كما يتمثل ذلك في قصيدته التي قالها عند رجوعه من مصر ووصوله الى الكوفة وغيرها ويجد كثيراً من اسماء الكواكب وما يتعلق بطلوعها وغروبها من الحوادث المزعومة كقوله :

وتنكر موتهم وانا سهيل طلعت بموت اولاد الزناء

وقوله :

أحبك يا بدر الزمان وشمسه وإن لامني فيك السهى والفراقد

وهذا وامثاله يدل على ان ابا الطيب كان عارفاً بعلوم الدين عالماً بأيام الناس واخبارهم واسع الاطلاع على التاريخ وعلى تقويم البلدان عالماً بكثير من الامكنة وما يتصل بها من حوادث ملماً بمعرفة الافلاك وما يرتبط بها مما كان يعتقده اهل عصره .

ولولا خشية الاطالة لاوردنا امثلةً متعددة تدل على علو كعبه في كل ما تقدم .

ولعل في هذا القدر ما يبين ان المتنبي وُلد ونشأ وشب ودرس وقال الشعر الجيد في الكوفة وانه استمد ثقافته اللغوية والادبية من الكتاب والاعراب وكتب الورّاقين واقوال الشعراء والحكماء المعلومين والمجهولين ، وثقافته العلمية من مصادر سبق ذكرها ومن مصادر أخرى لم يسمح الزمن بكشف النقاب عنها بعد، ومن العلوم اللسانية والشرعية، وأن فلسفته تكاد تنحصر فيما يتصل بالاخلاق، وأنه استمدها من حياته وفطرته وتجاربه وأمدها بما اطّلع عليه من كلام الحكماء ، وان ثقافته على علاتها عاليةٌ جداً لا سيما الادبية وقد ظهرت آثارها في ابياتٍ من شعره بلغت الغاية القصوى في طلاوة التركيب ونبالة المقصد والاعجاز في الايجاز وقد قدرها اهلُ الفضل حق قدرها منها قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراقَ على جوانبه الدم

قال ابو الفتح بن جني : اشهد بأنه لو لم يقل إلاّ هذا لكان اشعر المجيدين ولكان له ان يتقدم عليهم . وقوله :

مَنْ يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

قال العكبري : هذا من احسن الكلام ، ولو خرس بعده لكفاه . وقوله :

إلف هذا الهواء اوقع في الانفس ان الحمام مرّ المذاق

والاسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لا يكون بعد الفراق

قال ابو العلاء المعري : ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . وقوله الذي قال فيه ابو العباس النامي : كنت اشتهي أن أسبقه إلى معنيين قالهما ما سبق اليهما ، احدهما :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال .

والثاني :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وكان النامي عاتب سيف الدولة لتفضيله المتنبي عليه وسأله عن سبب ذلك فأمسك

عن الجواب ، فلما ألح عليه قال له : لأنك لاتحسن أن تقول كقوله (أي المتنبي)

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغذّ اليه غير محتفل

ولكثرة ما في شعره من العيون والمقلدات، لا يكاد الانسان يستطيع أن يعلم ماهو الأفضل فيه . فله في باب الغزل أبيات فذة كقوله :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقوله :

وخصر تثبت الاحداق فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقوله :

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعا

فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

وقوله :

حسان التثني ينقش الوشي مثله إذا مسن في أجسامهن النواعم

ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمباسم

وله في المدح أبيات منقطعة القرين كقوله في مدح علي بن إبراهيم التنوخي :

كأن الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد

وقوله في مدح عضد الدولة :

حمى أطراف فارس شمري يحض على التباقي بالتفاني

بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالث والمثاني

فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان

وقوله في مدح سيف الدولة :

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى في الصعيد الاراقم

وله في باب الوصف ما يقصر عن إدراكه المتطاول اليه . كقوله في وصف خيمة كان تحتها سيف الدولة :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً بها يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه

وقوله في وصف أغصان شعب بوان :

غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منها بأشربة وقفن بلا أوان

وله كثير من الوصف الرائع في وصف الأسد والصيد والخيل والحرب وغيرها .

الخلاصة

صفوة القول أن أبا الطيب أمة وحده في شعره وأدبه وحكمته وان محاسنه لا تكاد تحصى وطرائفه لا تستقصى .

وان هذا الموضوع على قلة مظانه مترامي الأطراف صعب المراس يفتقر الى معارضة الأبيات التي قالها بالأبيات التي زعموا انه اخذ معانيه منها وبيان ما بينهما من الفروق وايراد الشواهد من كلامه لتأييد ما اسلفنا ذكره .

وهذا كله يستدعي زمناً طويلاً ، ولكن ضيق الوقت المحدود تحجر واسعاً ، واضطررنا الى أن نبلغ بالايجاز درجة الإلغاز ، وان نحشر المباحث الواسعة في عناوين ضيقة ، وندمج نوعاً من ثقافته في آخر ، وان نضرب صفحاً عن ايراد ابيات أخر من شعره هن المثل الاعلى في ثقافته الادبية والعلمية ، حتى جاءت كلمتنا هذه كقائمة التجار يسرد فيها أعداد الثياب ولكن لا يبين فيها ما لكل واحد منها من الخصائص والمميزات ولا ما في كل منها من روعة في الوشي ودقة في الصنعة وجمال في الهيأة والشارة .

وعسى ان تسامح الأيام بوقت يتسع لتوفية هذا الموضوع حقه والسلام عليكم .

سليم الجندي

وفيات

الدكتور فرتز هومل

Dr. Fritz Hommel

(١٨٥٤ — ١٩٣٦)



نتعى الى جمهرة الاساتذة من اعضاء المجمع العلمي والى قراء مجلته الدكتور فرتز هومل استاذ اللغات السامية في جامعة مونيخ (المانية) وعضو مراسل باكاديمية العلوم في بولونية ، ودكتور شرف بعلم اللاهوت من جامعة ارلنجن ، وعضو مراسل في المجمع العلمي العربي بدمشق.

نشأته :

ولد الاستاذ هومل في ٣١ تموز ١٨٥٤ في أنسباخ عاصمة باقاريا الوسطى ، وأخذ مبادئ العلوم في مدرسة أنسباخ التجهيزية (١٨٦٤ - ١٨٧٢) ثم درس في جامعة ليبسك (١٨٧٢ — ١٨٧٧) على الاستاذ فليشر المستعرب المشهور ، وأحرز لقب دكتور على تأليفه لمقدمة

كتابه « أسماء ذوات الثديين بلغة الساميين الجنوبيين » الذي نشره سنة ١٨٧٩ .

وظائفه :

وفي سنة ١٨٧٧ سمي قيماً لدار الكتب العامة في مونيخ ، وكان في الوقت نفسه يلقي في الجامعة دروساً خاصة ، ثم سمي مدرسا وكيلاً فيها على اثر تاليفه لكتاب « الفسلحة الحبشية » .

ثم ألف كتابه « تاريخ البابليين والاشوريين » شرع فيه سنة ١٨٨٥ واتمه سنة ١٨٨٩ ، وفي سنة ١٨٩٢ الف كتابه « الاصل البابلي للتمدن المصري » ؛ وفي سنة ١٨٩٢ اصبح في جامعة مونيخ استاذا أصيلا .

ومن آثاره العلمية : « منتخبات من العربية الجنوبية » ألفها سنة ١٨٩٣ ، و « مقتطفات سومرية للقراءة » سنة ١٨٩٤ ، « وتاريخ الشرق القديم » ١٨٩٥ ، و « ما اعطاه الاسرائيليون القدماء من التنوير الرسمي » ١٨٩٧ ، و « مختصر جغرافية الشرق القديم وتاريخه » ١٩٠٤ ، و « رسالة عن علم الآثار عند الشرقيين » .

ان هذه الاثار التي ذكرناها هي أجل ما ألفه الفقيد ، وله كثير من الرسائل والابحاث العلمية التي نشرها في المجلات المختلفة .

اختصاصه :

والفروع الرئيسية التي عني بها الاستاذ هومل هي : تاريخ تمدن الشرق القديم ودياناته ، والرسوم العربية الجنوبية ، والشعر العربي الجاهلي ، ونقه اللغة البابلية ، ولاسيا البحث عن اللغة السومرية التي برهن الاستاذ على قرابتها من اللغة التركية القديمة في عدة كراريس ألفها ، وألف أخيراً « تاريخ مصر » المختص بالتمدن المصري الاقدم ، وقد أبدت أبحاث الاستاذ الفقيد ان له علاقة شديدة بالتمدن البابلي القديم ، وان بدء هذا التمدن كان في بلاد ماغان (البحرين) على خليج العجم ؛ وألف كذلك « تاريخ أسماء النجوم » ولاسيا رموز النجوم على حجارة الحدود البابلية ، و « وأصل حروف الهجاء وترتيبها » أوضح ذلك في عدة كراريس .

بلغ الثانية والثمانين من عمر قضاه في البحث والتأليف والتدريس وتوفي في ١٧ نيسان ١٩٣٦ .

الدعاء في العربية للأوداء أو على الأعداء

ان في اللغات الاجنبية الحية كلمات وتعابير خاصة تستعمل في مقام الهتاف والدعاء بالخير للاوداء وبالشر على الاعداء فيقول الفرنسي مثلا في تمجيد الامة Vive la nation وفي تحقير الملوك : A bas les rois ، ويصيح الانكليزي في اسقاط الوزارة : Down with the Ministry ، والالماني يهتف بلفظة : Nieder ؛ اما العربي فقد امسى يهتف في الدعاء بلفظتي : يعيش وفليسقط ! ، أو أن يستعمل : يعيش ويبيد ، او عاش وباد بصيغة الماضي ، وهما ترجمتان ، قد يكون نقلهما الينا عن الفرنسية لشيوع المخاطبة بها في ربوع الشام ومصر وغيرهما .

أو ليس في العربية الفصحى تعابير خاصة للدعاء والهتاف ؟

بلى ، ان للعرب هتافات مختلفة يصيحون بها بحسب اختلاف المقام ، فتراهم يقولون : مرحى ! للرامي اذا أصاب،قال أبو عمرو بن العلاء : اذا رمى الرجل فأصاب قيل مرحى له ! وهو تعجب من جودة رميه ، وذلك كما يقول الفرنجة في هذا الموقف ! Bravo ، وقال أمية بن أبي عائذ :

يصيب القنيص وصدقاً يقو ل مرحى وأيحى اذا ما يوالي !

وقال صاحب اللسان مرحى وايحى ، كلمة التعجب شبه الزجر واذا اخطأ قيل له برحى !

ويقولون ايضاً في مقام الدعاء للاوداء : سقياً له ورعياً ،وسقاه ورعاه : قال له سقياً ورعياً ؟ ويقولون في حال الدعاء على الأعداء تباً له ! نصب لانه مصدر محمول على فعله كما تقول : سقياً لفلان معناه سقي فلان سقياً .

والتب والتباب هو الخسار، كأن التب المصدر والتباب الاسم، وتبت يداه خسرتا وفي التنزيل العزيز : تبت يدا أبي لهب وتب ، أي ضلتا وخسرتا ، قال الراجز :

أخسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صافقها ماذا فعل

ومن الدعاء بالشر قولهم : جدعاً له وعقراً قال ابن منظور في لسانه : وفي الدعاء على الإنسان: جدعاً له وعقراً ! ، وضعوها على حد الدعاء على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره ، وحكى سيبويه : جدّعته تجديعاً ، وعقرته قلت له ذلك ، أما الجدع فيراد به جدع الأنف والعقر هو الذبح والقتل ، وأصله أن تضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم ، ثم اتسع في العقر حتى استعمل في القتل والهلاك ، ومنه الحديث أنه قال لمسيلمة الكذاب : وإن أدبرت ليعقرنك الله: أي ليهلكنك .

ومثله عقراً وحلقاً ، أو عقرى حلقى ! قال أبو عبيد قوله عقرى : عقرها الله ، وحلقى : حلقها الله تعالى ، فقوله عقرها الله يعني عقر جسدها ، وحلقى أصابها الله تعالى بوجع في حلقها ، قال : وأصحاب الحديث يروونه عقرى حلقى ، وإنما هو عقراً وحلقاً بالتنوين لانهما مصدرا عقر وحلق ، قال وهذا على مذهب العرب في الدعاء على الشيء من غير إرادة لوقوعه ؛ قال شمر قلت لأبي عبيد : لم لا تجيز عقرى ، فقال لان فعلى تجيء نعتاً ، ولم تجيء في الدعاء ، فقلت روى ابن شميل عن العرب : مطيرى ، وعقرى أخف منه فلم ينكره ، قال ابن الأثير : هذا ظاهر الدعاء عليها ، وليس بدعاء في الحقيقة ، وهو في مذهبهم معروف ؛ وقال سيبويه : عقرته ، إذا قلت له عقراً ، وهو من باب سقياً ورعياً وجدعاً . وقال الزمخشري : هما (عقرى وحلقى) صفتان للمرأة المشؤومة : أي أنها تعقر قومها وتستأصلهم من شؤمها عليهم ، ومحلها الرفع على الخبرية أي هي عقرى وحلقى ، ويحتمل أن يكونا مصدرين على فعلى بمعنى العقر والحلق ، كالشكوى للشكو ، وقيل الالف للتأنيث مثلها في غضبى وسكرى .

وتقول العرب أيضاً : بؤساً له وتوساً له وجوساً له [1] ، كله بمعنى ، فالبؤس الشدة والتوس اتباع له ، والجوس الجوع ، يقال عند الدعاء على الإنسان ، وانتصابها على

---

(١) مجمع الامثال للميداني .

إضمار الفعل ، أي ألزمه الله هذه الاشياء ...

ومن دعاء العرب بالشر قولهم [1] : به الوَرَى وحمى خيبرا ، الوَرْيُ بسكون الراء أكل القيح الجوف وبالتحريك الاسم ؛ ومن أمثالهم أيضاً في الدعاء بالشر قولهم: بفيه مِن سار الى القوم البرى ، قيل في رجل سرى إلى قوم وخبّرهم بإساءهم : والبرى التراب ، والمراد بالمثل الخيبة . ولعل من هذين المثلين قد تألف الدعاء المسجوع الذي ذكره ابن مكرّم في لسان العرب وتقله عنه صاحب التاج ، قال في اللسان في مادة خسر مانصه : وفي بعض الاسجاع : بفيه البَرى ، وحمى خيبرا ، وشرُّ ما يرى ، فانه خَيْسرى !

ومن دعائهم بالشر تعساً له ، ومعنى التعس في اللغة العَثر ، وفي لسان العرب :وان لا ينتعش العاثر من عثرته وأن ينكس في سفال ، وقيل التعس الانحطاط والعثور ، قال أبو إسحق في قوله تعالى : والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ، يجوز ان يكون نصباً على معنى أتعسهم الله ، والتعس في اللغة الانحطاط والعثور قال الاعشى :

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول :لعا

ويدعو الرجل على بعيره الجواد اذا عثر فيقول : تعساً ، فاذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له : لعا ، ومنه قول الاعشى : بذات لوث عفرناة ، البيت ؛ قال أبو الهيثم : يقال تعس فلان يتعس إذا أتعسه الله ، ومعناه انكب فعثر فسقط على يديه وفمه ومعناه أنه ينكر من مثلها في سمنها وقوتها العثار فاذا عثرت فيها قيل لها تعساً ، ولم يقل لها « تعسك الله » ولكن يدعو عليها بأن يكبها الله لمنخريها

والتعس أيضاً الهلاك قال الشاعر :

وأرماحهم ينهزنهم نهز جمة يقلن لمن أدركن : تعساً ولا لعا

وفي الدعاء : تعساً له ، اي الزمه الله هلاكا ، وتعساً لكَ ولكِ ولكما ولكم ولكن ، وله ولها ولهما ولهم ولهن ، متصرفاً مع الضمائر .

والحجر من الفاظ الدعاء أيضاً في القرآن ، جاء في موضعين منه وهما: ويقولون حجراً

(١) انظر مجمع الامثال للميداني .

محجوراً ، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ، وقال ابن عباس وأهل التفسير الذين يعتمدون مثله : هذا من قول الملائكة قالوا للمشركين : حجراً محجوراً ، أي حجرت عليكم البشرى : فلا تبشرون بخير ، وقال الفرّاء : حجراً محجوراً ، أي حراماً محرماً ، كما تقول حجر التاجر على غلامه ، وحجر الرجل على أهله ، وكذلك حجر الحكام على الايتام ، اما الليث فإنه يقول : كان الرجل في الجاهلية يلقى الرجل يخافه في الشهر الحرام فيقول : حجراً محجوراً ! أي حرام محرم عليك في هذا الشهر فلا يبدؤه منه شر ، قال : فإذا كان يوم القيامة ورأى المشركون ملائكة العذاب قالوا : حجرا محجوراً! وظنوا أن ذلك ينفعهم كفعلهم في الدنيا .

فتركيب (حجراً محجوراً) كان على قول الليث من عبارات الجاهلية التي تقال لاقصاء الشر في الشهر الحرام ، فلا يمكن تعميمها الا بتجوّز لاقصاء كل شر وفي كل شهر .

وهنالك أدعية أخرى في الخير والشر لا تخرج بمعناها عما نقلناه ، ولعل أفضل ما يستعمل لذلك ادعية القرآن ، سفر العربية والعروبة الخالد ، فقد جاء فيه من الفاظ الدعاء بالشر : التب والبعد والسحق والتعس والحجر كقوله تعالى : تبت يدا أبي لهب وتب ، الا بعداً لعاد قوم هود ، الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ، وقيل بعداً للقوم الظالمين ، فسحقاً لاصحاب السعير ، فتعساً لهم وأضل اعمالهم ، ويقولون حجرا ومحجوراً .

والدعاء بالبعد اكثرما استعمله الكتاب المبين في مقام الدعاء بالشر ، ويستحسن كثير من اعضاء مجمعنا استعماله بدل (فليسقط) ، وإن انتهاء (بعدا) بالالف يساعد على الجهر بالصوت ، واذا أريد زيادة المبالغة في الشر اردفت بدعاء (وسُحقا) ، وهي تنتهي أيضاً بألف تفتح الفم وتزيد في الجهر بالدعاء ، فيصيح الشعب في الدعاء على أنصار الفتن مثلا : (بعدا) ، وفي الدعاء على أعداء الوطن : (سحقاً بعدا) أو (سحقاً لهم وبعدا !) يجوز بحذف الجار والمجرور وباثباتهما كما في المثالين .

وأما في مقام الخير فيدعو الهاتف بلفظة (رُعيا) وفي الرعاية معنى الحياة الموجود في لفظة يعيش ، فيصيحون مثلا : (رُعيا لاصحاب المعاهدة) اي رعاهم الله !

التنوخي

الجزء الثاني

المعجمية العربية

في ضوء الثنائية والألسنية السامية [1]

La léxcologie arabe à la lumière du bilittéralisme et de la philologie sémitique.

تمهيد

العربية مبعثة للخلاف بين المنقطعين لدراستها ، فمنهم من يرى فيها الكمالات ، لا بل الكمال عينه ، فيمدح ويطرى ، ويعظّم ويبجّل ، ويقدّس ويؤله . ومنهم من لا يجد فيها سوى الشوائب ، لا بل المعاب كله ؛ فيذم ويقدح ، ويحط ويرذل ، ويشمئز وينبذ .

على أن كلا من الفريقين على خطأ شائن ؛ لانقيادهم في أحكامهم ، لا الى العقل والمنطق والحق ؛ بل الى العواطف والخيال ، والظواهر والاغراض الشخصية .

الحق أن العربية ـ كسائر اللغات ـ غير خالية لا من الغث ولا من السمين . واذ كانت ، بيد أهلها ، وسيلة للتعبير عما يخالج عقولهم من الخواطر ، ويلعج في أفئدتهم من العواطف ، كان حظها ، كحظهم ، من كمال ونقصان . فإن هم ارتفعوا ارتفعت ،

(١) تنشر هذه المقالة بما فيها من الآراء في هذه المجلة الغراء ، طبقاً للمبدإ المصرح به من قبل إدارتها ، وهو « أن مجلة المجمع العلمي حلبة رحبة للبحث الحر ، والمناظرة العلمية » (مجلد ١٤ ، جزء ٤ ، ص ٥٢ ، في الحاشية) .

وان هم انحطّوا انحطت ، وان هم هبّوا من سباتهم هبّت معهم ، وصفوة القول : شأن اللغة مجاراة أحوال المتكلمين بها .

العربية اليوم في عصر انتعاش ، سبقته حقبة خمود وجمود طويلة . ولا تزال المساعي مبذولة لسدّ الخلل الطارئ عليها من شتى الوجوه . ومن نواحي اللغة المفتقرة الى الاصلاح هي دون ريب : ناحية المعجمية . فإنها كانت منذ القديم ـ وهي في عصرنا هذا أكثر من كل عصر ـ مظنّة للمذامّ وللطاعن .

مما يعزى الى المعاجم العربية أنها خلوٌ من المنطق في المعاني . فلا هناك دقة في التحديد ، ولا وضوح في الشروح ، ولا تناسق في الألفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تتابع في التطورات ؛ مما يأتي المطالع والمتقصي في حيرة وارتباك ، فتنشأ فيه السآمة والنفور ، فينحي باللائمة على اللغة وأهلها ، وعلى المعاجم ومصنفيها .

إن الحق يضطرنا الى التسليم بصوابية هذا الاعتراض والإقرار بوجود العيب في كتب لغتنا .

أما لسد هذا الخلل ، فالوسائل متعددة ، قد شمر أرباب اللغة في عصرنا — كل حسَب اختصاصه — الى التوسل بشيء منها .

على أن هناك ذريعة من أنجع الذرائع للمعجمية العربية ، ألا وهي درسها على ضوء « الثنائية ، والألسنية السامية » وهذا ما قد تفرغنا له ، فكان لنا بمثابة المفتاح لفكّ مغالق كثيرة في ذا الشأن ، وما هذا المقال سوى مثل للأسلوب الذي نتبعه في هذا العلم الجليل ، ودليل من الدلائل على ما ينجم عنه من الفوائد الجمة .

***

١) فعل « أمَرَ »

اطلب هذا الفعل في المعاجم العربية ، ترَ له المعاني الآتية :

أمَرَ — طلب إنشاء فعل .

أمِرَ (الشيءُ) كثر ، تمّ ، نما ، اشتدّ .

أمُرَ — صار أميراً .

تأمَّر — تسلّط ، تحكم .
الأَمر — الشيء ، الحال ، الشأن .
الإمر — الامر العظيم .
المؤتمر — القتِر[1] ، المتكبر .
الأَمار — العَلَم .
الأَمَرَة — الراية .
تُؤمور — (واحد التآمير) وهي الاعلام في المفاوز ، أي حجارة مكوَّمة بعضها على بعض .

في الآرامية السريانية :

Emar : قال ، حكى ، أخبر ، قصّ ، ارتأى ، أمر ، وصف ، مدح ، وعظ ، أنشد .

في العبرية :

Amar : تكلم ، لفظ ، أمر ، افتكر ، تخيّل ، قنّع ، افترض ، قصد .
Amîr : قمّة ، علو ، جبل ، شجرة .
Yetamru : يتعالون ، يتكبرون .

في الأكدية :

Amârû : قال ، ظهر ، أظهر ، أبان ، قدّم ، نظر .

في الحبشية :

Amara : علم ، دلّ ، ظاهر ، فصيح .

(1) المجمع : يطلق « المؤتمر » على معانٍ منها المستبدّ برأيه والسابع من أيام العجوز وشهر المحرم كما أنشده ابن الأعرابي :

نحن أجرنا كل ذيال قتِر   في الحج من قبل دآدي المؤتمر

وفسر ثعلب القتِر بالمتكبر كما في اللسان ، فالقتر المتكبر لا المؤتمر .

Amîr : النهار ، اليوم ، أول يوم .

في السبئية :

Amar : عالٍ .

فأيّ مطالع لا يقع في حيرة تجاه هذه المعاني المتضاربة هذا التضارب ، مع أن الاصل واحد — وهو لا يجد الاختلاف واقعاً بين معاني لغة ولغة أخرى من أخواتها ، بل إن التباين ظاهر في داخل كل لغة على حدة ؛ إذ أن البون لشاسع بين معنى القول، والشدة ، والنمو ، والتسلط ، والتفكر ، والظهور ، والتقديم ، والنظر ، والعلم ، والعلوّ — فإن لهذا الاصل العام كل هذه المدلولات المتباعدة .

لكن ما نراه عسير الحل ، تحله لنا « الثنائية والالسنية السامية » وتؤازرهما في ذلك العربية ، فلها من هذا القبيل الافضلية .

لنشرع بتطبيق المبدإ الاساسي للثنائية وهو أن أصل الالفاظ ثنائي لا ثلاثي ، ومن ثم لنردّ الثلاثي « أمر » الى ثنائي بحذفنا منه « الراء » ، بقي الاصل « أمْ » ؛ واذا كشفنا عن هذا الثنائي في المعاجم نجد له المعاني التالية :

أمْ (في كلمة الامْت) : المكان المرتفع .

أمَّ : أضحى إماماً : (عالياً) .

الأُمُّ : العَلَم الذي يتبع الجيش .

الأُمُّ : الرئاسة ، العلوّ ، أم الرأس ، قمته .

الأَمَّة : القامة ، الوجه .

الأَمَم : الجليّ من الامور .

فالثنائي « أمْ » متضمن معنى الارتفاع والجلاء ، في ذاته وفي مشتقاته . وهذا يفكّ لنا هذا المغلق في العربية وفي أخواتها السامية ، لاننا نرى في هذا الثنائي مبدأً منطقياً لتطورات كل المعاني الاخرى المنسوبة الى الثلاثي « أمَرَ » .

١) يظهر لنا معنى الارتفاع في العربية متناسباً في « أَمُرَ : صار أميراً أي عالياً ،

مرتفعاً ، وفي « أمر » : كثر ، نما ، تمّ ، اشتد : لان هذه الالفاظ تدل على الارتفاع — والنمو ينشأ عن القوة والشدة ، وفي « تأمّر » تسلط أي تعالى - في « الإمر » ، المعظم : أي العالي — في « المؤتمر » المتكبر ، أي المتعالي — في « الامار » : العلم : أي الشيء المرتفع — في « الامَرَة » : الرابية أي المحل المرتفع — في « تؤمور » الحجارة المكوّمة ، أي المرتفعة .

في العبرية يظهر معنى الارتفاع في كلة « âmîr » قمة ، علوّ ، جبل ، شجرة . وفي لفظة « Yitamru » يتعالون ، يتكبرون .

٢) إن الشيء اذا كان مرتفعاً ، اتصف بصفة الجلاء والوضوح ، إذ بارتفاعه يكون ظاهراً للعيان ، وهذا ما نراه في العربية في كلمة « الامَم » وهو الامر الجلي ، وفي الاكدية في معاني « Amârû » ظهر ، أظهر ، أبان . وفي الحبشية في « Amara » ظاهر ، فصيح ، وفي Amîr : نهار ، اليوم ، أول اليوم ؛ وكل ذلك بمعنى النور ، والنور منه الجلاء والوضوح .

٣) واذا كان الشيء واضحاً جلياً سهلت رؤيته ، فمن ذلك في الاكدية معنى : « Amârû » نظر .

٤) واذا هان النظر الى شيء أمكن الافتكار فيه ؛ ومن هنا جاء في العبرية المعاني الآتية لكلمة « âmar » افتكر ، تخيل ، افترض ، قصد . وفي السريانية « Emar » ارتأى .

٥) واذا أمكن الافتكار في الشيء سهلت معرفته وتعريفه ، فجاء في الحبشية : Amara بمعنى : علم ، ودلّ . وفي الاكدية Amârû : قدّم .

٦) واذا كان التعريف والتقديم يجري عادة بالكلام بطريق الاخبار أو الوصف وما أشبه ذلك ، وردت في الارمية « Emar » بمعنى : قال ، حكى ، أخبر ، قص ، وصف . وفي العبرية « âmar » : لفظ ، تكلم . وفي الاكدية Amârû : قال .

٧) واذا كان الكلام لا يستعمل للقول والاخبار فقط ، بل لإصدار الإرادة ، نرى في العربية « أمر » بمعنى طلب إنشاء فعل . وكذلك في السريانية emar : أمر : وفي العبرية âmar : أمر .

٨ً) فضلاً عن هذا فالكلام وسيلة للمفاوضات والتعليم ، وعليه ففي السريانية تدل **Emar** على معنى وعظ . وفي العبرية **âmar** : قنع .

٩ً) يستعمل الكلام أيضاً للمدح وما يشبهه ؛ ومن ذلك جاءت **Emar** السريانية بمعنى : مدح ، أنشد .

وهكذا فككنا هذه المغلقات بمفتاح الثنائية والألسنية السامية .

***

٢ً) حمر وخمر

إن هذين الثلاثيين مفترقان في العربية ، إذ فاء الواحد حاء وفاء الثاني خاء ، على أنهما قد استحالا الى أصل واحد في غيرها من اللغات السامية ، إذ لا وجود للخاء في السريانية ولا وجود للحاء العبرية ؛ بيد أن معاني الاثنين لم تزل بزوال افتراق الحرفين .

نسرد مدلولات هذه الأصول في اللغات الثلاثة : العربية ، والارمية ، والعبرية ، ملحقين بها الشيءُ القليل الوارد في الاكدية والحبشية .

العربية :

حَمَرَ : الخارز سَيرَه ، سحا بطنه بحديدة ، ثم ليّنه ، ثم خرزه – سَلخ الشاة ، قشر الجلد ، حلق الرأس .

حَمِرَ : تغيرت رائحة فيه ، – فلان تحرّق عليك غيظاً ، سنِق الفرس أي اتخم .

احمرّ : صار أحمر .

انحمر : انقشر .

الحمار : النهّاق من ذوات الاربع .

الحَمِر : المتحرق غيظاً .

الحُمَّر : القار .

خَمِرَ : ستر ، استحيا ، جعل في الدقيق الخمرة ليختمر .

خَمِرَ : خفي ، تغير عما كان عليه ، (فيه معنى الاختفاء) .

خمّر : (بيته) لزمه . خمّر : وضع الخمرة ، ستر وجهه .

أخمر : حقد ، ستر .

الخُمار : أذى الخمر وصداعها .

الخِمار : النصيف ، ما تغطي به المرأة رأسها .

الخمر : المسكر الذي يخامر العقل أي يغطيه ، لكن الاصوب : الذي يغير حالة العقل .

السريانية :

Ḥmar : خَمِر ، اختمر .

Ḥamrâ : خمر ، عصير ، نبيذ .

Ḥmârâ : حِمار .

Ḥammar : أسكر ، خمّر .

Ḥmîrâ : خمير .

العبرية :

Ḥâmar : غلى ، اختمر ، انتفخ ، أزبد ، طلي بالزفت أو القار ، حمّر بالنار ، أحرق ، قلق ، اضطرب ، كوّم .

Ḥêmêr : الخمر ، النبيذ .

Ḥemôr : الزفت ، القير .

Ḥômêr : الصلصال ، طين الخاتم .

Ḥâmar : خَمِرَ .

Ḥêmâr : حِمار .

Ḥômêr : كَومة .

الحبشية :

Ḥamara : احمرّ .

Hamar : سفينة .

Hamar : حبة حمراء .

الأكدية :

Hamêrû : خفي ، تغطّى .

Hamru : مخفي .

Hamûritu : داخل الحنجرة — الحلقوم .

êmêrû : (ح) حمار .

كل هذه الثلاثيات المتضاربة المدلولات في مختلف اللغات الاخوات يمكن التوفيق بينها اذا رددناها الى الثنائيات التالية وهي :

العربية :

(حَمْ) حَمَّ : التنّورَ ، أوقده ، سجره ، سخّن الماء ، أذاب ، قضي له (الله)
حُمّ الأمر : قُضي قُدّر .
حَمّ : صار (الماء) حاراً — صارت الجمرة حُمَمَةً أي سوداء .
حمّم : سخّم وجهه بالحمَم أي بالسواد — اسوّد ، نبَت ، طلع ، نبت شعره .
الحِمام : الموت ، القضاء
الحمّام : دار الاستحمام .
الحُمّة : الشدّة .
الحميم : القريب الذي نهتم لأمره ونودّه ، الماء الحار .
الاحمّ : الاسود
(خم) خَمّ البيتَ كنسه ، حلب الناقة ، كسح البئر ونقاها ، — اللحمُ أنتن .
خما : اللبنُ ، اشتدّ .

السريانية :

Ham : حمّ ، حرّ ، خمّ ، أنتن ، كنس ، قمّ ، ذَبُل جف ، تلهف ، هاج

Hammèm : احمّ ، اذوى ، اخمّ ، أو خم ، انار .

Hmimtâ : حمّام

العبرية :

Hâmam : حمّ .

ان المعنى الاصلي الذي منه صدرت المعاني الاخرى متضمن في الثنائي « حمْ » وهذه الدلالة تنطوي على « الحرارة » وما ينجم عنها من الاحوال .

١) من ذلك في العربية « حمّ » : صار (الماء) حاراً . في السريانية Ham حمّ . في العبرية Hâmam : حمّ . ومنه أيضاً في العربية المتدي « حمّ » : أوقد (التنور) سجره — سخّن الماء ، أذاب (الشمع) . ومنه « الحميم » الماء الحار ، والحمّام : دار الاستحمام . وفي السريانية Hmimtâ حمّام .

٢) ولذا كان من نتائج الحرارة أن تجعل الحي يتصف بلون السواد ، جاء في العربية : « حمّ » بمعنى صار أسود ، و « حمم » سخّم وجهه بالحمم اي بالسواد : لسوّد . ومنه « الاحمّ » الاسود .

٣) ومن مفاعيل الحرارة الانماء . وعليه كان من معاني « حمّم » نبت ، طلع ، نبت شعره .

٤) ومن خواص الحرارة الاشتداد ، ومن ذلك جاءت « الحمّة » بمعنى الشدة ، و« الحميم » القريب الذي نهتم بامره لحبّنا اياه بشدة .

٥) ومما ينجم عن الحرارة دفع العامل على قضاء الامر ، فكان المعنى المجازي « حمّ » دبّر ، حمّ (الله) ومنه « حُمّ » أي قدّر وقضي . ومنه « الحمام » أي القضاء ، وهو الموت .

٦) من خواص الحرارة ان تجمع عناصر الشيء بعضه الى بعض ، من ذلك « خمّ » كنس ، حلب الناقة ، اي جمع حليبها ، كسح البئر ونقاها : أي جمع الاوساخ التي فيها ، وفي السريانية Ham : كنس ، قمّ .

٧) والحرارة اذا دامت تولد الضعف في الشي ، من ذلك في السريانية Ham ذبل ، جفّ . و Hammem اذوى .

٨) الحرارة تولد التهيج ٠ وعليه ترى في السريانية Ham : هاج ، تلهّف ٠

٩) الحرارة تنشئ الفساد ٠ من ذلك في العربية ، « خَمَّ » : أنتن ٠ وفي السريانية Ham : انتن ٠

١٠) الحرارة تولد النور ، فمنه في السريانية Hammèn انار ٠

لناخذ الآن الثلاثي من هذا الاصل ، وهو المزيد فيه راء

١١) الحرارة تمدّد وتليّن ، والناتج من ذلك سهولة السلخ والقشر والحلق ، ولهذا جاء « خَمَر » في العربيّة ، بمعنى : ليّن وخرز وسلخ وقشر وحلق ٠

١٢) من الحرارة ينتج الغليان والفساد ، والاختمار ، ومنه الاختفاء ولهذا ترى في العربية « خَمِر » بمعنى تغيّرت رائحته ، تحرق غيظاً ، اتّخم ٠ و « خَمِرَ » تغيّر عمّا كان عليه ، خفي ، استحيا (مجاز) جعل في الدقيق الخُمرة ليختمر ٠ « خَمَّر » اختفى في بيته ، وضع الخمرة ستر وجهه ٠ « أخمَر » حقد ٠ « الخَمر » المسكر الذي يخامر العقل ، أي يغيّر حالته ٠ او المختمر عينه اي تتغير حالتـه ٠ « الخُمار » اذى الخمر وصداعها : أي تغيّر حالة شاربها ٠ « الخِمار » النصيف اي ما تغطي او تخفي به المرأة رأسها ٠ وفي السريانية Hmar خمر ، اختمر ٠ وHamra خَمر ٠ وHammar اسكر ، خَمَّر ٠ وHamra خمير ٠ وفي العبريّة : Hâmar : غلى ، اختمر ، انتفخ ، ازبد ٠ Hêmêr خمر ٠ وفي الاكدية Hamârû خفي ، تغطى ٠ وHamru مخفي ٠ وHamûritu حلقوم ٠

١٣) الحرارة تولّد النمو والارتفـاع والتجمع ٠ منه في العبرية : Hâmur كوّم وHômêr كومة ٠

١٤) الحرارة تخمر ؟ ولهذا نرى في العبرية : Hômêr : الصلصال اي الطين المختمر ٠

١٥) الحرارة تولّد الغليان الحقيقي ، ومنه الغليان المجازي ٠ من ذلك في العربية : « الخَمر » الزفت والقار ، وفي العبرية Hêmôr الزفت ٠ ومنه ايضا ، مجازاً ، في العبرية Hêmar اضطرب ٠ قلق ٠ وفي العربية « الخَمِر » المتحرق غيظاً ٠ ومنه أيضاً في العربية : « الحمار » وفي السريانية Hmârâ وفي العبرية Hemôr وفي الاكدية Êmêrû وهو الحيوان النهّاق عند هيجانه ٠

١٦) الحرارة ، اذا اشتدت ، حمّرت لون الشيء : من ذلك في العبرية Hâmar حَمِر . وفي العربية «احمرّ» صار احمر . وفي الحبشية Hamara احمرّ . وفي العربية : « حَمِر » صار احمر .

وأنت ترى أننا بفضل الثنائية والالسنية السامية توصّلنا إلى التوفيق بين هذه المعاني الظاهر فيها الاختلاف والتضارب ، اذا درست في الاصل الثلاثي فقط ، او اذا اجتزئ باعتبار معانيها في كل لغة على انفراد .

٣ ــ سَرَج . شَرَج

العربية :

سرَج : سرجت المرأة شعرها ضفرته ، سَرِج الرجل: كذب ، سرج: حسُن وجهه

سرّج : حسّن ، نوّر . اختلق الحديث .

سارج : كاذب ، شد على الفرس السرج ، أوقد السراج .

سراج : مصباح

سَرْج : رحل الدابة

شَرَج: كذب ، مزج الشراب بالماء ، الخريطة : داخل بين اشراجها وشدّها أشرك فلانًا في الأمر ، جمع الشيء ، جمع اللبن بعضه الى بعض .

شرّج : مثل شرج ــ خاط الثوب خياطة متباعدة .

العبرية :

Sàrag ضفر ، شبك ، حاك ، خلط ، مزج .

Sàrig شريجة ، احتباك .

السريانية :

Srag : سرج ، ضفر ، شبك ، عقص ، نسج ، حاك ، شرح ، ألّف ، نظم ، أسرج الفرس .

Sarrag : تسأّح

Srigta :شريحة ، جوالق من خوص ، حصيرة ، بارية ، شبكة ، احبولة .

Sarga : سرج .

Šrag : شرق ، ضاء ، زهر ، حسن ، جهر ، بهر ، عمي .

Šarrag : سرّج ، أضاء ، أبهر ، اعمى .

Šrâgâ : سراج ، نور ، الشمس .

الحبشية :

Mâsâgârêt : شبكة .

هذه هي الثلاثيات ، والاختلاف والتباعد بين معانيها بيّن . فلحل هذا ، لنردّ الثلاثيات إلى ثنائياتها وها هي ذي :

العربية :

(سج) سجّ سلحه : القاه رقيقًا . سج الطائر : حذف بذرقه . التى النعام ما في بطنه ، سجّ الحائط طيّنه .

(شج) شجّ : مزج الشراب بالماء ، جرح الرأس والوجه ، شقّت السفينة البحر وقطع السائح المفازة .

شاجّ القوم : شجّ بعضهم بعضًا .

السريانية :

Sâgâ : حشو من صوف ونحوه .

Šag : دعك ، خضخض ، فرك ، داف الدواء بمادة سائلة ، طلى ، سحق ، كسر

Šâgi أشجى ، اغصّ .

العبرية :

Šagag ، اخطأ ، غلط بدون تعمد .

***

إن المعنى البسيط الأصلي المحتوي في الثنائي ، والذي منه اشتقت بقية المدلولات متطورة في مختلف اللغات الاخوات ، هو معنى السيل والدخول والتخلل .

١) فذاك ظاهر في (سج وشج) في العربية - وكذلك في « Saga و Šag » في السريانية . أما Šagag العبرية فمعناها : اخطأ دون تعمد يدل أيضاً على الخلط : لأن الغلط خلط ، أو ادخال شيء في شيء دون تعمد .

٢) أما الثلاثيات فيمكن التوفيق بين معانيها استناداً الى المعنى الأصلي في الثنائيات . ففي العربية سرجت المرأة شعرها ضفرته ، أي أدخلت بعضه في بعض . وشرّج : مزج الشراب بالماء ، أشرك فلاناً في الأمر ، جمع الشيء ، جمع اللبن ، داخل أشراج الخريطة ، وشرّج : خاط خياطة متباعدة . وكذلك في السريانية Srag وفي العبرية Sârag : ضفر ، شبك ، عقص ، نسج ، حاك ، خلط ، مزج ، ألف ، نظم طلى ، فكلها تدل على إدخال شيء بشيء ، ومن ذلك أيضاً في السريانية Sarrag تسلّح أي حمل السلاح شاكاً أو مدخلاً بعضه ببعض . و Srîgta شريجة ، حصيرة ! جوالق من خوص ، بارية ، شبكة ، احبولة . وفي العبرية Sârig شريجة ، احتباك . وفي العربية : شريجة وفي الحبشية Măsâgarêt شبكة فهي كذلك تعني الاشتباك والتداخل

٣) إن إدخال الشيء في الشيء يأتي من باب المجاز . فمن ذلك ورد في العربية لكلمة « سرج » معنى الكذب ، لأنه إدخال الحق في الباطل . ومنه « سرج » اختلق الأحاديث .

٤) ومن كمالات الشيء أن تكون اجزاؤه متداخلة محتبكة بتظلم . فلذلك جاء في العربية معنى الحسن لكلمة « سرج » ومنه المزيد « سرّج » حسّن ونوّر .

٥) السرج بمعنى الرّحل آت من تركيبه ، فإنه يصنع عادة من القطن أو الصوف أو غير ذلك ، مما يستلزم حشوه ، أي تداخل موادّه بعضها ببعض . وكذلك السريانية Sarga ومن ذلك فعل « أسرَج » في العربية ، وفعل Srag في السريانية ، بمعنى أعدّ السرج أو الرّحل على الدابّة لركوبها .

٦) إن الشيء إذا كان متقن الصنعة ، حسن التركيب كان جميلاً ، والجمال ينشئ البهاء والضياء . ولذلك جاء في العربية « سراج » بمعنى المصباح ، وفعل أسرج

بمعنى أوقد المصباح · وكذلك في السريانية كلمة Srāgā سراج ونور وشمس ، ومنه فعل Srag شرق ، ضاء ، زهر ، حسن · وفعل Sarrēg المزيد بمعنى سرّج أضاء ·

٧) وإذ كان بعض الأحيان يسطع النور بزيادة وشدة مما ينجم عنه مضرة للنظر جاء Srag في السريانية بمعنى بَهُر وعمي · والمزيد Sarreg دلّ على أبهر وأعمى

٤ ــ حَلَق · خَلَق

العربية :

حَلق : الرأس ، أزال عنه الشعر ، أي قطعه ــ قدّر الشيء أي قطعه عن غيره بالتمييز ــ المعزى ، إذا أخذ أو قطع شعرها ــ القوم بعضهم بعضاً ، أي قتل أو قطع ــ السنة استأصلت ، أي قطعت كل شيء ــ الشيء قشره أي قطعه ــ على اسم فلان ، أبطل أي قطع رزقه ــ ضربه على حلقه أي قطعه ــ الضرع حلوقاً : ذهب لبنه اي انقطع ·

حَلِق : شكا حلقه

الحلق : محل الذبح أي القطع

خَلَق : الاديم قدره قبل أن يقطعه ــ أبدع شيئاً على غير مثال سبقه ــ افترى الافك ــ صنع الكلام او غيره ــ سوّى العود ــ لين الشيء ·

خلق الثوب : بلي

خَلق : املاسّ

خَلُق : صار له خُلق حسن ــ خَلُق الشيءُ لفلان ، كان خليقاً له ولاق به ·

الخالِق : صانع الأديم

الخَلاق : النصيب

العبرية :

Hâlaq : قسم ، وزّع ، حصّص ، جدّد ، حكم ، أعان ، لين ، اصلح ، سوّى عدّل ، اختلق ، اعطى ، فلق ، عري ، خلق ·

Hêlêq : قطعة ، حصة ،ارض . « إرمية » Helqâ قطعة أرض «حقل » Hêlag حقل ــ Hulqâ حصة .

السريانية :

Hlaq : قسم ، خلق ، وزّع ، اعطى ، قدّر ، قضى ، حلق .

Helqâ : خلاق ، نصيب ، قدر .

Halqâ : حقير ، ضعيف .

Halqâ : قطعة

Haqla : (مقلوب) حقل ، مزرعة ، صحراء .

الحبشية :

Hilêqê : عدّ

Hilaqê تعداد

Hulaqâ : العدّ اي فصل الشيء أو قطعه عن غيره .

الاكدية :

Eqlû « ح : حقلو » حقل ، ملك ، عقار .

بعد سرد هذه الثلاثيات ، لنأت بثنائياتها .

العربية :

(حقّ) حقّ : الامرُ ، صار حقاً ، ثبت ، وجب

" الامر ، أثبته ، صدقه ، اوجبه

" ركب حاقّ الطريق ، اي وسطه

" في حاقّ رأسه ، اي وسطه

الحقّ : الموجود ، الامر المقضي اي المقطوع ــ العدل اي المقطوع ــ العدل المتساوي أو المقطوع ــ وسط الرأس .

(خقّ) خقّ : السيل في الارض ، حفر فيها حفراً عميقاً

الخق : الشق في الارض (في كل هذا معنى القطع) .

العبرية :

Ḥâqaq : قطع ، قطّع ، حفر ، نقر ، طبع ، كتب ، رسم ، أسّس ، اثبت ، امر ، اوصى ، أعلن ، وضع ، حل المشكل ، حتم ، حدّد ، قضى ، اشترع

Ḥôq : شريعة ، وصية ، قاعدة ، دستور ، حد ، عادة ، عمل ، واجب ، نمط ، حق ، أمر ، تنظيم .

السريانية :

Ḥâqâ حق

الحبشية

Ḥêq (صفة) كاف ، متهاود ، معتدل

المعنى الاساسي كما ظهر ، هو في الثنائيات معنى القطع ، وهذا ثابت في كل تطورات هذا اللفظ وتقلبات مدلولاته .

١) وظهور معنى القطع هذا جلي في العبرية في كلمة Ḥâqaq (الاصل Ḥaq) فإن أول معانيها قطع ، وهو باق في بقية تلك المعاني .

في المعاني الحقيقية المحتوية في : حفر ، نقر ، طبع ، رسم ، كتب فانها كلها تستلزم القطع ، ومنها المعاني المجازية وهي : أثبت ، حتم ، قضى الخ . . و كذا الحال في اسمها Ḥôq حقيقة ومجازاً .

اما في العربية ففي الاصل الذي فاؤه خاء وهو (خق) فمدلول القطع ظاهر ، اما الاصل الذي فاؤه حاء ، فليس يظهر فيه القطع ، لاول وهلة ، فانه بمعنى ثبت ووجب اي صار حقاً . لا يمكن تأكيد القطع فيه الا من معانيه الاخرى مثل حق ، وركب حاقّ الطريق ، اي وسطه . وهو امر يتطلب القطع . ثم من (الحق) الامر المقضي اي المقطوع .

٢) اذن الامر جلي في الثنائي ، وهو ان المعنى الاساسي فيه (القطع) ، واستناداً الى هذا يمكننا التوفيق بين معاني الثلاثيات في هذه اللغات . في العربية (حلق) في

كل معانيه ، يدل بوضوح على القطع . أما « خَلَق » فمدلوله الاول فيه القطع . أما المدلول الثاني اي : أبدع الشيء على غير مثال سابق ، فماخوذ من المعنى الاول المادي اي القطع : فان الابداع هو كالصنع ، لكن من لا شيء - والصنع مادياً يتوقف على القطع ، مثل النجارة ، والحدادة ، وعمل التماثيل . فكل هذا يتطلب قطع المادة بعضها من بعض لاخراج الجزء الصالح للشيء المصنوع ، ومن هذا معنى الصنع ، اشتق المعنى التابع ، وهو افتراء الافك . و « خلّق » ، بمعنى ليّن ، وسوّى ، يفترض أيضاً القطع ، أما « خلَق » الدال على البلى فيحتوي ايضاً على مدلول القطع ، لان الثوب البالي او الخَلَق هو المتقطع . اما « خَلُق » بمعنى : حسُن بذاته ، فهو صادر من الخَلق ، لان الشيء الموجود حسب متطلبات كيانه هو الجميل ، والانسان الحسن التركيب ، ليس مادياً فقط بل ادبياً ، هو الحسن الخُلُق . ومن ذلك « خاَق » الدال على اللياقة ، و« الخالق » صانع الاديم ، اي قاطع الجلد ، وهذا يثبت ان « خَلَق » تدل في الاصل على القطع .

٣) وعلى هذا النمط جاء معنى Hâlaq العبري و Hlaq السرياني . اي للدلالة على القطع ، حقيقة ومجازاً . فحسب المعنى الوضعي ، كان مدلول Hâlaq : قسم ، وزّع ، حصّص ، صقل ، أصلح ، حدّد ، فرع ، سوّى ، عدل ، خلق - وبمعناه المجازي دلّ على : اختلف ، حكم ، اعلن - كذلك السرياني Hlaq معناه الوضعي : قسم، وزّع خلق ، حلّق ، ومعناه المجازي : اعطى ، قدّر ، قضى .

٤) ومن ذلك في العربية : الخلاق : وفي السريانية : Helqâ ، وفي الأرمية : Hulqâ بمعنى : النصيب والقدر ، والقسمة . ومنه أيضاً العبري Hêlêq حصة ، قطعة ، ارض . والسرياني Halqâ قطعة و Haqla (مقلوب) حقل . و Hêlaq حقل ، اي قطعة ارض . والاكدي Eqlu (حقلو) حقل ، عقار ، ملك .

٥) واذ كان المقسّم الى اجزاء مآله الضعف وحاله الحقارة ، جاء Halqâ السرياني بمعنى : الضعيف والحقير

٦) وبما أن العدّ لا يتم الا بالتقسيم ، جاء في الحبشية وحدها هذا الاصل بمعنى العدّ . من ذلك Hilèqâ و Hulaqa عدّ - Hilâqè تعداد .

٥) حَبَلَ – خَبَلَ

العربية

حَبَل : شدّ بالحَبْل – حبلت فلاناً ، شغفت قلبه – صاد بالحبالة
حبِلت : المرأة ، حملت – حبل من الشراب والماء ، امتلأ بطنه وانتفخ ،
حبِلَت العين القذى ، لزمته ولم ترم به
حبَّل : الزرع ، قذف بعضه على بعض
الحَبْل : الرباط ، الوصال

خَبَل : حبَس ومنَع عن كذا افسَدَ عقله – افسد العضو
خبِل : فسُد – جُنَّ (اي منع عقله)

العبرية

Hâbal : حبل ، فسُد – اخرب ، ربط
Hâbûlâ : جُرْح – جُرْم

السريانية

Hbal : حبل ، شد بالحبل – تضمّن – لقح – مخض ، ولد
Habbêl : خبّل شدّ بالحبل – أفسد – اتلف – افترس – حرّق – اساء – آذى .

هذه هي اهم معاني الثلاثيات . وظاهرٌ ما فيها من الاختلاف، لكننا نلجأ الى الثنائية لكشف المعنى :

١) ان الثنائي الحاوي المعنى الاصلي لهذه الالفاظ تُعيننا على وجوده السريانية ، اذ فيها الثنائي « Hab » وهذه معانيه : ضمّ ، عانق ، احتضن ، لثم ، ارخم ، احبّ – وكلها تدل على ضم الشيء الى الشيء .

٢) من هنا ينتج ان حبّ او أحبّ في العربية ، و Hâbab في العبرية ، الدالين على المحبة ، إنما دلالتهما الاصلية هي الضمّ الذي من مظاهره المعانقة ، أي ضم الواحد الى الآخر .

٣) والاصل الثنائي العربي الذي فاؤه خاء ياتي بمعنى الخفاء والنزول ، ومقابله في ذلك Hâba العبري ، و Hâba' الحبشي ، تتضمن كلها معنى ضمّ شيء الى شيء بوصال لا يُرى

٤) حبل العربي ، و Hâbal العبري ، و Hbal السرياني تدل على الضم ايضا — حَبل · شدّ الحَبْل بيرم خيوطه وفتلها ، او بالشد به ، وهو أيضًا الربط · ومثله Hablâ السرياني وهو الحبْل — و Hbal السرياني ، بمعنى « لقح » (اي التقى اللقاح في الجف) وهو ضم — والحَبَل في العربية هو ضمّ عنصرين — و « حَبِل » العربي معناه : امتلأت البطن وانتفخت ، اي بتجمع الماء او غيره فيها ·

٥) على أن حَبَل و Hbal و Hâbal تدل على الفساد · وهذا لا يتم الا بتلاصق المواد أو الاعضاء تلاصقًا فاحشًا ينشأ عنه الجروح — وهذا هو الفساد المادي : ومنه جاء لفظ Hâbûlâ اي الجرح في العبرية · ومن باب المجاز دل خبل على فساد العقل ، اي الجنون — وورد Hâbal في العبرية ، و Hbal في السريانية بمعنى الاتلاف والافتراس والخراب ، ومن هذا الخراب صدرت نتيجته الادبية اي الجرم — وهو Hâbûla في العبرية ·

٦) ومعنى Habbêl العبرية المجازي في السريانية التحريف والاساءة والاذى — واذ دل Hbal السرياني على الحمل جاء من باب التوسع ، بمعنى الطلق والولادة ·

٦) لَأَم

العربية :

لأم : الجرحَ ، شدّه وجمعه — أصلح

لؤم : كان دنيء الاصل ، شحيح النفس ، بخل

السريانية

L'êm : التأم ، اجتمع ، التحم ، التصق

Al'êm : ألأم ، جمع ، قرن

العبرية

L'ôm القوم ، الشعب ، الرعاع ، اللئام ·

معاني هذه الثلاثيات تظهر متلائمة في اللغات الاخوات الا في العربية ، فان بين « لأم » جمع ، شد و « لؤم » بخل ، كان دنيء الاصل ، شحيح النفس ، لفرقاً بيناً ؛ لكن هذا الفرق يزول ، اذا رددنا الثلاثي الى ثنائي ، وهو :

العربية

(لمّ) لمّ : جمع ، ضمّ ، قارب بين شتيت اموره .
اللّم ، الجمع

السريانية

Lam : لمّ ، التقط ، تكلّم ، لفظ ، دنا ، اقترب ، أحاط

Lâm : لأم ، جمع ، حوى ، أخذ ، قرب ، انتهز الفرصة .

فهذا الثنائي الأصلي يدل بنوع علم على الجمع واللمّ وضعاً ومجازاً — وفي السريانية عينها يهون إدراك تكلم لفظ ، لأن التكلم يتطلب تارةً ضم الشفتين وتارةً إبعادهما . بقي الفرق الفاحش بين الفعلين العربيين : (لأم) : شد الجرح ، وأصلح ، و (لؤم) : كان بخيلاً ، دنيء الأصل ، شحيح النفس ، فهذا للغلق بفكه الثنائي الدال على اللمّ والجمع . فان أول ما يدل عليه « لؤم » هو البخل المتوقف على جمع الدراهم ، وبما أن البخيل لجمعه وحرصه على المال بنوع مفرط يضحي شحيح النفس ، ومن ثم دنيئاً ، جاء (لؤم) بهذين المعنيين ، وهكذا ترى الثنائية والألسنية تحلان المشكلات .

٧) كلَم

« كلَم » معناه جرح — وأما المزيد : كلّم فمدلوله : جرّح وحدّث . وهنا الغرابة : فأين معنى « جرّح » من معنى (حدّث) ، على أن هذه الغرابة تزول إذا عارضنا اللفظ العربي بما يقابله في العبرية ، ودونك في هذه اللغة :

Kâlam — خجل ، خزي ، حُقر

Haklèm (مزيده) أخزى ، أحزن ، أقلق ، حقّر ، أهان ، شتم .

فهذا الثلاثي العربي (كلم) يجدر أن يكون قد صدر من الثنائي (كلّ) : تعب الجائز أن يكون مقلوباً من (لكّ) الدال على الضرب بالجمع على القفا . ومن معنى التعب أو الضرب ، انتقل في الثلاثي الى معنى الجرح في العربية ، وعفنا المدلول

الوضعي لم يرد في العبرية ، بل جاء فيها المعنى المجازي ، وهو الضرب أو الجرح الأدبي باللسان ، أي بالإهانة والتحقير . وهذه الدلالة المجازية ليست في العربية ، لكن جاء فيها لهذا اللفظ المعنى المطلق أي التكلم ، أو الحديث ، والتحدث الذي نوع من أنواعه التكلم الرديء ، وهو التحقير ، والمسبات الجارية عادة بطريق الكلام ، وهكذا نرى أن الثنائية والألسنية السامية تبينان الموافقة الأصلية بين (كَلَم) بمعنى (جرح) و (كَلَّم) بمعنى « حدث » .

٨) ضعف

نختم هذا المقال بأمر أغرب من غيره ، أو مشكل أشد تعقداً من أشباهه ، ولكي نطلع القارئ على ما يتكبده المتقصي من العناء ، أو ما يقضيه من الوقت في مثل هذه الأبحاث ، لا نكتمه اننا دمنا مدة أربعة أشهر ساعين في فك مغلق هذا اللفظ المعدود في العربية من الأضداد ، اذ ان (ضعف) يدل على الزيادة ، ثم على النقصان او الهزال ، في وقت معاً .

نقول هذا عما جرى لنا ، غير جاحدين أن غيرنا ربما فتحت عليهم أسرار المعميات اللغوية في هنيهة ؛ أما نحن فنقر بأننا لم نحظ بعد بهذا النصيب ، فعمدنا الى الجد والكد ، فان ثمرة ذلك ألذ .

رأى القارئ أننا نستعين في كل هذه الدروس بطريقتينا العزيزتين المألوفتين ، وهما « الألسنية السامية والثنائية » .

ففي هذه المادة لا سبيل الى استخدام (الألسنية) أي معارضة العربية بغيرها من اخواتها السامية : لأن العربية لغة الضاد ؛ فالضاد لا وجود لها في غيرها .

فما كان منا الا الاجتزاء « بالثنائية » . والى ساعة حلنا هذا المشكل ، لم يزل رأينا أن كل ثلاثي قابل الرد الى ثنائي : لاننا على يقين أن الثنائي مبدأ المعاني المتطورة في الثلاثي وما فوقه ، وكنا نحسب أن لكل ثلاثي ثنائياً واحداً ، وطبقاً لهذه القاعدة ، جردنا « ضَعُف » من العين ، فبقي لنا « ضف » وهذا الفعل يدل على الزيادة ، والكثرة ، لانه يقال « ضعف الشيء » أي زاد عليه و يقال كذلك : « ضف وتضاف » القوم على الماء ، أي اجتمعوا وكثروا وازدحموا ؛ ان « ضعف » بمعنى زاد صادر من (ضف)

لكن من أين أتى « ضده : ضعُف » بمعنى نقص ، وفقد قوته ، وهزل ؟ لقد انحلّت العقدة من ذاتها - بعد إطالة الفكرة ، وشحذ القريحة الكليلة مدة ذلك الزمان — حين خطر لنا فجأةً أن نرد هذا الثلاثي ضعُف الى ثنائي آخر فحاولنا أن نحذف الضاد ، فحصل لنا عفّ لكن ذلك لم يف بالمرام ؛ إذ ليس من علاقةٍ بين ضعُف بمعنى هزُل وعفّ الدال على الكف والمنع واجتماع اللبن في الضرع ، فما كان منا الا أن حذفنا لام الفعل ، وهي الفاء : فاذا تحت نظرنا الثنائي ضَعْ وهو اسم صوت يزجر به الجمل آن ترويضه وتذليله ، أي تضعيفه ، فلاحت لنا الحقيقة . ومن اسم الصوت ضَعْ هناك فعل «ضعّ» الناقة والجمل ، راضها وأدّبها أي ضعّفها ، ومن ضعّ الثنائي المفرد اشتقّ الثنائي المثنى ، أو ما يدعوه النُّحاة بالرباعي ؛ وهو ضَعضَع أي قوّض وهدّم حتى الارض ، ومن ضعضع صيغ مطاوعه تضعضع وفيه وجدنا ضالتنا المنشودة ؛ اذ هذه هي معانيه بحروفها ، كما وردت في المعاجم : تضعضع خضع وذل - ضعُف -- جف جسمه من مرض أو حزن ، ومنه : الضعضاع : الضعيف من كل شيء .

فبهذه الطريقة اتضح لنا أن هذا الحرف الثلاثي ضعُف صادر — نسبة الى معنييه المتضادّين — من مصدرين ثنائيين ، وهما « ضفّ » لمعنى « زاد » و « ضعّ » لمعنى « هزُل » ، وبذلك زال التضادّ من هذا الفعل مادلّ على أن هذا النوع من المعاني ، أي المتعاكسة في العربية ، ليس الا ظاهرياً غالب الاحيان .

وقبل إلقاء اليراعة من يدنا نرغب إلى أرباب اللغة الاختصاصيين — من شرقيين ومستشرقين — أن يبرزوا حكمهم في هذه الابحاث ، وفي طريقة الخوض فيها — هل هي مفيدة ، ومن ثم حرية بالمتابعة ؟ أو انها قائمة على جرف هار ، ومصيرها البوار . وإن كانت ذات بال ، فما القول في وضع معجم كله على هذا الأسلوب ، ونتائجه من هذا الضرب ؟ أليس في ذلك خدمة جلى للمعجمية العربية وللغة عينها ، أوليس خدمة لغتنا هذه الخدمة أكثر أمناً ، وأسمى شرفاً ، وأجدى نفعاً من الاطراء الفارغ ، ومن التبجيل والتعظيم في حينه وفي غير حينه ؟

الأب أ . س . مرمرجي الدومنكي
أحد أساتذة المدرسة الكتابية والآثارية
في القدس الشريف

فتاوى لغوية

س — « الطبيب على الناصر ، حلب »

كتبتُ مقطوعة شعرية ، واضطرني الوزن إلى استعمال كلمة أفرنجية لجهلي ما يقابلها بالعربية : وهي لفظة (أباجور) (أي المخفف للنور) ، ولا يخفى عليكم قبح هذه اللفظة الأعجمية ، فإذا تلطفتم بإرشادي إلى كلمة تفي بهذا المعنى ؟

ج — لو كان أحد من عرب الجاهلية مكانك ورأى بعيني رأسه ذلك الشيء المسمى (أباجور) وسمع الأعاجم يقولون في تسميته (أباجور) لم يجد في عروبته مانعاً يمنعه من تسميته بذلك أي باسمه الأعجمي (أباجور) ولكنه ربما حذف الألف التي بعد الباء فقال أَبَجُور على وزن (جَبَروت) أو (أبجور) على وزن عصفور مثلاً .

هذا إذا سمع اسم (أباجور) وسمع الأعاجم يلفظونه ويشيرون إلى مسماه ، أما إذا رأى بعينه مسمى الأباجور في بلاد الفرس أو الروم مثلاً أي رأى الشيء المخفف للنور ولم يسمع منهم اسمه الأعجمي أي كلمة (أباجور) واضطر إلى تسميته باسم جديد من لغته العربية ، أو قلتَ له : يا أعرابي ! ماذا تسمي هذا الشيء المخفف للنور ، وأشرتَ إليه من دون أن تذكر اسمه ، فإنه حينئذ يفكر قليلاً في صفة هذا الشيء ومميزاته ، ثم لا يلبث أن يقول لك : هذا (الغَيَّاش) مثلاً ، أي إنه يسميه باسم (الغيَّاش) من الغَبَش الذي معناه اختلاط الظلمة بالنور كما هو الحال في آخر الليل قبل انبلاج الصباح . وهذا الشيء المخفف للنور والمسمى (أباجور) يحول لون النور إلى سمرة تشبه سمرة غبش الظلام كما لا يخفى .

هـذا ما أراه في وضع كلمة تحلُّ محل (أباجور) بين أن أعزّيها (إلى أبجور)

بفتحتين أو (أبجور) بضم فسكون وبين أن أسميه بالقبّاش : وقد تشيع الكلمتان أي (الأبجور) و(القباش) حتى تتغلب أحداهما أخيراً بمقتضى ناموس بقاء الأنسب .

فلك أيها السائل الكريم أن توافقني على ماقلت، أو تنتظر ربثما يضع أحد المجمعين في « دمشق والقاهرة » اسماً جديداً للأباجور .

***

س — « خالد حمدي ، حلب شارع البندورة »

ادّعى فلان أن من الممكن استعمال حرفي الجر (الباء) و (اللام) في قولنا (خرجتُ بنزهةٍ وخرجتُ لنزهةٍ) وانه يستحيل استعمال (إلى) و (في) فيقال : (خرجت الى نزهة) (وفي نزهة) فاعترفت له بالثاني من مثاليه أعني (خرجت لنزهة) وعارضته في صحة الأول وهو (خرجت بنزهة) إذ لا معنى لأن يخرج الإنسان مع النزهة واضعاً لها في محفظته مثلاً ؟

ج — نقول : « خرجت الى حاجةٍ ولحاجةٍ ، فتكون اللام بمعنى (إلى) وكلاهما للانتهاء . ونقول (خرجت في حاجةٍ ولحاجةٍ) أيضاً فتكون كل من (في) و (اللام) بمعنى « لأجل » أي لإفادة التعليل ويكون المعنى خرجت لأجل حاجة

ويصح أن نقول « خرجت بحاجة » على أن تكون (الباء) للسببية . والسببية ترجع إلى معنى التعليل فيكون المعنى خرجتُ بسبب حاجةٍ ولأجل حاجة .

ولكن هذا الاستعمال في كلام البلغاء قليل أي إن الاكثر في كلامهم أن يقولوا (خرجت الى حاجةٍ ولحاجةٍ وفي حاجةٍ) ، أما (خرجت بحاجةٍ) فلا أظنهم يقولونه ولا أظنني سمعته في كلامهم .

وما قلناه في كلمة (حاجة) نقوله في كلمة (نزهة) فنقول في الكثير الفصيح « خرجت إلى نزهةٍ » أي انتهى خروجي إليها (وفي نزهة) أي بسببها ولأجلها ، و (لنزهة) أي إليها ولأجلها ؛ أما (خرجت بنزهة) أي بقصد نزهة وبسبب التمتع بنزهة فهو قليل الورود كما ذكرنا .

وربما عُدّ من الفصيح أيضاً قولنا (خرجت بنزهة) على أن تكون (الباء) للملابسة لا للسببية ، أي خرجت متلبساً بنية نزهة ، وتكون الباء حينئذ كما هي في الآية الكريمة (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أي خرجوا متلبسين بالكفر كما أنهم لما دخلوا كانوا متلبّسين به ، وهكذا قولك (خرجت بنزهة) : أي خرجت متلبساً بقصد نزهة ؛ ولكنه والحق يقال قليل الاستعمال في الكلام كما أشرنا ، وإن كانت قواعد العربية أو قواعد فصاحة القرآن لا تأباه .

فالسائل الذي عارض خصمه في صحة (خرجت بنزهة) قد يكون أراد عدم الصحة من حيث بلاغة الأسلوب لا عدم الصحة من حيث قواعد العربية .

* * *

س — « م . أ . خ . » حلب

هل يجوز في العربية الصحيحة أن يقرن اللقب الى الكنية بأن يقال مثلاً : (الآنسة عبد العال) وعبد العال كنية العائلة من دون أن يذكر اسم الآنسة إذا كان اسمها فاطمة مثلاً ؟؟

ج — إذا كانت القرائن تعين أن المراد بالآنسة هي فاطمة وأنها المقصودة من بين أوانس عبد العال جاز حذف اسمها العلَمي اكتفاء باسم أسرتها ، بل يكون الحذف أبلغ من الذكر طلباً للايجاز الذي يتوخاه بلغاء العرب في كلامهم حتى قالوا « البلاغة هي الإيجاز » .

* * *

س — « دمشق أحد أعضاء المجمع العلمي العربي »

يستعمل الكيمائيون ومؤلفو الكتب العلمية فعل (حلّل) الرباعي بمعنى (حلّ) الثلاثي فيقولون : تحليل الماء وتحليل التراب الخ ، مع أني لم أجد في كتب اللغة (حلّل تحليلاً) من باب التفعيل في هذا المعنى ، وإنما الموجود فيها : « حلّ » الجامد حلاًّ إذا أذابه ؟

ج — هذا السؤال من أنفع الأسئلة وأعظمها فائدة لتوسيع دائرة اللغة ، والتوسعة على المتكلمين بها . ومثل فعل (حلّل تحليلاً) مما لم يدوّن في المعاجم ، « نقّد الكلام تنقيداً ، ووصّف الشيء توصيفاً ، وعضّد المشروع تعضيداً » الى غير ذلك . فهذه الأفعال التي نستعملها من باب (التفعيل) لا يعرفها العرب وإنما ولّدناها نحن المتأخرين حينما رأينا أنفسنا محتاجين الى المبالغة في أفعالها الثلاثية وهي : عضَدَ عضداً ، ووَصف وصفاً ، ونقد نقداً .

ويقال في الأفعال الأولى المشدّدة المزيدة أنها كلمات مولدة ، والكلمات المولّدة يجوز لنا استعمالها ، بشرط أن يجري التوليد فيها على أقيسة كلام العرب ، من حيث قواعد الاشتقاق والمجاز وغيرهما ؛ وهكذا الافعال المذكورة المولدة ، أعني (حلّل) وأخواتها ، على أن فعل (حلّل) مما ولده علماء العرب الكيمائيون قديمًا ، جارين فيه على قياس الاشتقاق ، وإنك تجد فعل التحليل مستعملاً كثيراً في كلام (ابن سينا) وغيره من أطبائنا الاقدمين وإن لم تجده في معاجمنا اللغوية .

وعلى هذا لا مانع يمنع من استعمال فعل « حلّل تحليلاً ، وعضّد تعضيداً ، ووصّف توصيفاً ، ونقّد الكلام تنقيداً » ، وغيرها مما ضرب على غِرارها ، ما دمنا قد جرينا في توليدها على أقيسة كلام العرب ، وما دامت الضرورة تدعونا أحيانًا الى المبالغة في هذه الأفعال .

وعلماء الكيمياء يستعملون فعل (صعّد تصعيداً) : بمعنى الإذابة ، وهو عربي فصيح ، فلعلهم إنما قالوا (حلّل تحليلاً) لمزاوجة الشبيه بالشبيه ، وحملاً للأخ على أخيه .

المغربي



آراء وأخبار

بلاغ وزارة المعارف

في أواخر أيام الوزارة الأيوبية (٣٦/١٢/٢٠) وبلاد الشام مستبشرة بحياتها النيابية ، ومستشعرة بسيادتها القومية بفضل كتلتها الوطنية ، يودّع وزير المعارف ، وعضو مجمعنا العلمي العربي ، الأمير مصطفى الشهابي معاهد العلم والأدب ، بالبلاغ المبين التالي ، الذي ننشره اليوم خدمةً للتاريخ ، ولنشكره على رغبته في خدمة المجمع العلمي ، فقد سعى لزيادة موازنته ، ولإصلاح إدارته ، إصلاحاً يتمكن به من الاضطلاع بما عهد به إليه من خدمة اللغة والأدب ، وأملنا قويٌّ في أن يتمم خلفه « الحكيم » ما شرع فيه سلفه الكريم ؛ وهذا نص البلاغ :

معذرة عندما دُعيت الى الاشتراك في الوزارة ، كانت البلاد مضطربة ، والمدارس مغلقة ، والأسواق مقفلة ، والتلامذة في الشوارع ، وبعض الزعماء في المنفى ، وعدد كبير من الناس في السجون ، فكان من البديهي أن لا أقبل أعباء المساهمة بالحكم إلا على أساس تبديل السياسة السابقة ، واتخاذ سياسة تضمن للبلاد أمانيها القومية ، وعلى هذا حصلت مفاوضات عديدة بيننا وبين المفوضية العليا وإخواننا من رجال الكتلة الوطنية في أمور سياسية لا سبيل الى البحث فيها في هذه الإذاعة ؛ لكن ما يفيد ذكره هو كون هذه المفاوضات أدّت الى اشتغالنا بعقد معاهدة مع فرنسة ، وبإعادة

الحياة النيابية ، وغير ذلك من الأمور الجوهرية التي تقوم عليها أوضاع البلاد الاستقلالية ، وترتكز عليها مرافقها العامة ، ولهذا لم أتمكن ، ويا للأسف ، من الاتصال بكم اتصالاً وثيقاً في المدة القصيرة التي أشرفت فيها على شؤون المعارف في البلاد .

ولئن شغلتني السياسة عنكم فالعذر إذن واضح لا يحتاج الى دليل ، وقد رأيت الآن قبل وداعكم أن ألقي عليكم بعض نصائح موجزة أملتها علي تجارب الأيام والسنين :

السياسة والوطنية وأول هذه النصائح ضرورة تلقين المعلمين تلامذتهم أن عهد المقاومة السلبية قد انقضى ، وأن واجب التلامذة الأكبر الانصراف الى تثقيف عقولهم ، وتوسيع مداركهم ، حتى يكونوا في المستقبل رجالاً أصحاء الاجسام والعقول ، ولهذا ينبغي لهم ترك السياسة الى ما بعد أيام الدراسة ، حتى لا يشوشوا عمل الحكومة الوطنية القادمة ، وهي بعد أحرص منهم على عدم التفريط في حقوق البلاد . ولا شك أن كل ساعة يقضيها التلاميذ في السياسة بعد الآن تعد خسارة في حياتهم الثقافية ؛ لكن السياسة شيء والوطنية شيء آخر ، فإذا دعونا التلامذة الى ترك الاشتغال بالسياسة والاقلاع عن التحزبات السياسية في المدرسة ، فمن الواجب أن لا نذهل عن تغذيتهم بالوطنية الصادقة : كتلقينهم أمجاد أمتهم الغابرة ومزاياها واستعداداتها الحاضرة ، وكتحبيب اللغة العربية والبلاد العربية إليهم ، وطبعهم بالطابع القومي المتين ، وتعويدهم إيثار الخير العام على الخير الخاص ، وحملهم على ازدراء الاثرة — أي ما يسمى الانانية — في القضايا الوطنية . ومن الممكن الوصول الى هذه الغاية باتباع البلاغات التي أذعتها في هذا الصدد ، ولا سيما ما يختص منها ببرامج التاريخ والجغرافية التي لا بد من تحويرها على الوجه المذكور في مجلس المعارف الاعلى عند اجتماعه في ربيع السنة القادمة أو قبل الربيع .

الجامعة السورية والمجمع العلمي كثيراً ما ينتقد الناقدون الجامعة السورية والمجمع العلمي العربي ، وأهم انتقاد يوجهونه الى الجامعة كونه ينفق عليها في كل سنة

مبلغ كبير من المال ، لو أنفق نصفه على تلامذة يدرسون في الجامعات الاوروبية لتخرج منها عدد يفوق عدد الذين يتخرجون من جامعتنا في كل سنة ، وربما كان هذا الانتقاد وجيهاً لو كانت مهمة الجامعة السورية مقتصرة على تخريج عـدد من الاطباء الصيادلة والحقوقيين ليس غير ؛ فالحقيقة أن الجامعة السورية مركز ثقافي للتعليم بالعربية لا مثيل له الآن في العالم العربي كله ، وهذا المركز الثقافي العالي هو في القرن الرابع عشر من الهجرة خلف لمدارس البلاد القديمة كالنظامية والعادلية وغيرهما ، وفي عنقه رسالة علمية وسياسية واجتماعية وإنسانية معاً ، ومن الضروري أن يكون قبساً تشع منه شرائع العرب وطبهم ؛ كما يجب أن يكون همزة الوصل في هذه العلوم بين الشرق والغرب ، ولهذا لا نقدر فوائد الجامعة السورية بالمال ، ولا يجوز أن تكون عرضة للانتقاد كلما ضاق نطاق موازنة الدولة ، بل يجب على العكس من ذلك أن يوسع على العلماء من أساتذتها لكي يتمكنوا من التبحر بالعلوم العالية الحديثة والقديمة ولا سيما ما تهم معرفته منها في البلاد الشرقية . وقد وضعنا في المعاهدة السورية الفرنسية وسيلة لإيجاد اتفاق جامعي بيننا وبين حليفتنا الكريمة ، وسينتج عن هذا الاتفاق تبادل إلقاء المحاضرات العلمية — لا الدراسية — بين جامعتنا والجامعات الفرنسية ، واعتراف تلك الجامعات رسمياً بشهادات الجامعة السورية دون ما قيد ولا شرط .

أما المجمع العلمي العربي : فيجب أن يظل معهد اللغة العربية ومدارسة الآداب الرفيعة ، والصلة الوثيقة بين تراثنا العلمي القديم والعلوم الحديثة ، ولا يجيز أي رجل عربي مثقف أن تحرم دمشق من مجمعها العلمي العربي ، وهي عاصمة العرب والإسلام الكبرى ، ولذلك لا بد من تزييد مخصصاته السنوية حتى ينصرف رئيسه وأعضاؤه الى القيام بشئونه وأهمها المساهمة بإيجاد معجم أفرنجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، وإلقاء دروس ومحاضرات في دقائق اللغة وآدابهـا ، وسائر العلوم والأبحاث الشرقية ، وتنظيم المجلة ودار الكتب الوطنية ، وغرف المطالعة ، والاتصال بالمستشرقين وبالمجامع العلمية في الديار الأجنبية .

وأنا على يقين من أن رجالات المجمع والجامعة يجعلون ما ذكرته من الشئون نصب أعينهم ، وإنهم يضطلعون بالأعبـاء الملقاة على عاتقهم ، حتى تأخذ أمتنا بنصيبها

الوافي من الثقافة العامة ، وتساهم مع الأمم المتمدنة في تقدم العقل البشري .

مدارس التجهيز والمدارس الفنية التعليم الثانوي في مدارس التجهيز هو زاد الشباب وعدتهم في معترك الحياة ، لأنه يزودهم ببسائط العلوم الحديثة ، ويفتق أذهانهم ، ويوسع مداركهم ، ويجعلهم أقدر من غيرهم على معالجة شئون المجتمع البشري ، وليس التعليم الثانوي في ذاته وسيلة من وسائل الارتزاق ، لكنه عون أرباب التجارة والصناعة والزراعة على مشارفة أعمالهم ، وباب يلجه طالب الالتحاق بالجامعات وبسائر المدارس العليا ؛ ولذلك ينبغي لأساتذة التعليم الثانوي أن يظلوا حراصاً على الأمر الآتي : وهو أن البكالوريا السورية يجب أن تحتفظ بمكانتها العلمية بعد أن كادت تضاهي أمثالها في مدارس حكومات الغرب الكبرى .

أما مدارس الصناعة والأشغال اليدوية : فغايتها تخريج عمال ورؤساء عمال في مصانع البلاد ، وليست غايتها تخريج (أفندية) ينضمون الى عداد العاطلين عن العمل ، وهكذا الحال في الصفوف التجارية فإن على خريجيها أن يكونوا من العاملين في المتاجر بأجور متهاودة ، ربثما يثبتون بكفاءتهم فضل المتعلم على الجاهل . ومما يؤسف له أن البلاد خلو الآن من المدارس الزراعية على درجاتها ، على حين أننا في أشد الحاجة الى مدرسة زراعية عملية لا يدخلها إلا الذين لديهم أرض كافية والذين لا يستنكفون عن العمل في الارض بأيديهم القوية ، ولعل مجلس المعارف الاعلى يقرر في جلسته القادمة توسيع الدروس الزراعية في صفي المعلمين العالي والابتدائي وفي مدارس الدولة الابتدائية والاولية .

التعليم الابتدائي والاولي رُبَّ ناقد يقول : ما الفائدة من تعليم الفلاح والصانع والاجير والخادم ، وهل المدرسة تجعلهم أسعد من رفاقهم الذين يظلون على أميتهم ! . فالحقيقة أن السعادة اذا كانت غير مرتبطة بالعلم ، فمبادئ القراءة وأعمال الحساب الاربعة على الاقل امور يحتاج اليها كل انسان مهما يكن عمله ، ولذلك وجدنا الدول الراقية تجبر الاولاد إجباراً على ارتياد المدارس الابتدائية في المدن وللمدارس الاولية في القرى ، حتى تكاد الامية تكون مفقودة في بلاد تلك الدول . أما في

بلادنا فإن عدد الأميين يفوق كثيراً عدد المتعلمين ، والسبب ضيق موازنة الادارة أو قلة المعلمين ، ولعل أعظم عمل تأتيه الحكومة تزيد عدد المدارس الابتدائية والاولية تدريجياً على أساس افتتاح عشرين أو ثلاثين مدرسة جديدة في كل سنة ، فهي اذا ازدادت موازنة وزارة المعارف على هذا الاساس ، وأعانت المدارس الابتدائية الاهلية بما تستحقه قل عدد الاميين في البلاد وارتفع المستوى الثقافي فيها ، ولا شك عندي أن مفتشي التعليم في الوزارة يضعون هذا البرنامج نصب أعينهم ، ويؤازرون الحكومة القادمة لاجل تحقيقه .

ومما يلفت النظر كون بعض الفلاحين الجهلاء يهملون إرسال أولادهم الى مدرسة القرية ، على حين أن الحكومة تكون قد أوجدت لهم تلك المدرسة مع معلميها ولوازمها ، ففي حال كهذه يكون من الواجب حمل الفلاحين على إرسال أولادهم الى المدرسة قسراً ، ومعاقبة هؤلاء الفلاحين بما ينص عليه القانون تجاه مخالفي أوامر الحكومة وتعليماتها .

المدارس الأهلية والأجنبية طالما شكا المستنيرون من اختلاف برامج التعليم في مختلف مدارس الدولة ، وشكوا من تضارب النزعات السياسية ، واختلاف أصول التربية في المدارس الأجنبية والأهلية ؛ وربما غلا بعضهم فقال بوجوب العمل على إقفال تلك المدارس ، والحقيقة أن المدارس الأهلية والأجنبية لا يجوز إقفالها ، كما لا يجوز تركها بلا مراقبة شديدة ، ففائدتها قائمة في كونها توفر على الدولة مبالغ كبيرة لا تضطلع بها موازنتها الصغيرة ، أما أضرارها فيمكن تلافيها بعد الآن ، بأن يفرض عليها التوسع بتعليم اللغة العربية ، وتعليم تاريخنا وجغرافية بلادنا بالعربية ومنع كل نزعة سياسية مضرة قد ينزع اليها المعلمون تجاه تلاميذهم ، ولا بد من العمل بتؤدة في سبيل توحيد برامج التعليم في تلك المدارس ، وفي مدارس الحكومة ، ولا شك أن شهادة التعليم الابتدائي وشهادة البكالوريا قد خدمتا كثيراً في هذا الباب ، كما أن الحركة الفكرية في البلاد العربية تدعو الى التفاؤل في إمكان توحيد برامج التعليم في جميع تلك البلاد .

الكتب المدرسية وتنشيط المؤلفين زاد عـدد الكتب المدرسية الصالحة في السنين الأخيرة ، لكن مدارسنا ما برحت في حاجة الى كتب أخرى مهمة في علوم مختلفة ، ومن المؤسف أنني وجدتُ في بعض الكتب المدرسية غلطات كثيرة في استعمال المصطلحات العلمية والاسماء الجغرافية على حين كان يجب على مؤلفيها أن يراجعوا المجمع العلمي العربي فيرشدهم الى أصح تلك المصطلحات ، ويحق لمؤلفي الكتب المدرسية التي تدرَّس في الجامعة وفي مدارس التجهيز ، ولأصحاب المؤلفات العلمية واللغوية والادبية البارزة ، ولاصحاب المجلات المدرسية أن يستمدوا المعونة من وزارة المعارف في سبيل طبع كتبهم ومجلاتهم وترويجها ، وإنني لعلى يقين من أن وزارة المعارف سترصد لهم مبلغاً كافياً في موازنتها تنشيطاً لهذه المنتجات العقلية التي تكثر فوائدها ، لكنه قلما يتمكن أصحابها من العمل فيها بلا مؤازرة مادية .

الثقافة الغربية وأنصح رجال التعليم ونجباء التلامذة بأن لا يتبرموا بالثقافة الغربية ، وأن يعلموا أن الاستقلال الذي حصلنا عليه ليس معناه الابتعاد عن المدنية الغربية وثقافتها ، فكما تتلمذ الغرب على أجدادنا في إبان مدنيتهم الساطعة ، فقد شاءت الاقدار أن نتتلمذ اليوم على الغرب في مختلف العلوم العصرية ، وليس في ذلك عيب ؛ بل العيب والضلال أن نظل جامدين بينما العالم في تقدم مستمر - ولئن سأل سائل : أي الثقافات الغربية أصلح لنا ؟ فجوابي بأن الثقافة اللاتينية ولا سيما الفرنسية منها ، وأسباب هذا الترجيح طويلة لا تتسع لها هذه الإذاعة .

ومن البديهي أن الاخذ بالعلوم الحديثة يجب أن لا يلهينا عن لغتنا القومية وعن عاداتنا وأخلاقنا وسجايانا العربية ، وعن مدارسة قرآننا الكريم ، وتراث أجدادنا الادبي الزاهر .

وبعدُ أشكر لموظفي الوزارة ورجال التعليم كافة مؤازرتهم الحميدة ، وأشكر لمستشار المعارف نصائحه الفنية المفيدة ، وأرجو منهم جميعاً ومن التلامذة أن يخلصوا للحكومة الوطنية الدستورية القادمة ، فهي أحرص الحكومات على تقدم المعارف في البلاد ، والسلام .

وزير المعارف

دمشق في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٦ — مصطفى الشهابي

التقاريظ

الخزانة الشرقية

مجلة أدبية تاريخية متخصصة بالشرقيات ، تصدر مرتين بالسنة ، عدد صفحاتها ٦٤ ، تطبع في مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

منشئها حبيب الزيات

نيس (فرنسة)

الأستاذ « حبيب زيات » من هواة المخطوطات العربية والمولعين بدفائن خزائنها الشرقية والغربية ، قال في مقدمة هذه المجلة : « وقد عنينا بنقل كل ما ألفينا فيه جدة وطلاوة في كل باب ، وقيدنا أمامنا كل ما تبين لنا أن بالتنويه به فائدة وامتاعاً في اللغة والأدب والشعر والتاريخ الديني والأدبي وتقويم وتراجم أعيانها وسائر ما له علاقة بأخبار الأقطار العربية حتى اجتمع لدينا من هذه التعليقات والقيود التي تلقطناها في دور الكتب عامة من الأصول المطبوعة والمخطوطة عدة دفاتر رأينا اليوم أن نفضي ببعض مختاراتها الى طلاب العلم والتاريخ الشرقيين بعد معارضتها والتعليق عليها في مجلة عزمنا على إصدارها مرتين في السنة في الثاني عشر من شهري تموز وكانون الأول ، لانفرادنا بإنشائها وتحريرها وعدم استعانتنا في انتقاء مواضيعها وفصولها بشيء من التعريب أو التقليد ، وقد آثرنا أن نجعلها شرقية بحتة تتخصص بدرس تاريخ

الديار العربية وحضارتها في الاسلام ، ونقتصر على البحث في آدابها وعلومها وفنونها ومصانعها وآثارها وأخلاقها وعاداتها ومذاهب مللها ونحلها ، لا تتعدى ذلك الى المشاركة في أخبار الغرب أو تعريب شيء من علوم أهله وآدابهم ، ولذلك دعوناها « الخزانة الشرقية » . اه

وقد بحثت هذه المجلة في عددها الاول عن : الأسماء والألقاب والكنى النصرانية في الاسلام ، وتفاح لبنان ، وليلة رقص وسماع أميرية للفقراء بدمشق سنة ٦٥٩ للهجرة ، وضرب الحوطة على جميع الغوطة ، ودفائن الخزائن ، ولغة الحضارة .

ومن أمتع أبحاث هذا العدد (ليلة رقص الفقراء « أصحاب الطرق » وسماعهم) ، وقد تحامى المؤرخون وصف شيء من حياة هؤلاء المتصوفة من أصحاب الطرق في مآكلهم وملابسهم وأخلاقهم ورسومهم وتأثيرهم الاجتماعي في مختلف عصورهم ، وقد عُرف الدمشقيون خاصة بالإحسان الى الفقراء وبناء المنازل لهم ، فتعددت في حضارتهم الخوانق والربط والملاجئ والزوايا ، وقد اطّلع منشئ المجلة في خزانة اكسفرد على « ذيل قطب الدين اليونيني على مرآة الزمان » لسبط بن الجوزي ، فرأى فيه فصلاً ممتعاً في وصف ليلة راقصة ساهرة أقامها الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي في داره بالعقيبة ولبثت محتدمةً حتى مطلع الفجر .

أما وصف سماط العشاء فيحب القارئ أن يعلم أنه اشتمل على مئة زبدية عادلية في كل زبدية منها خروف صحيح (رضعي) ، وثلاثمائة زبدية صغيرة تشتمل الواحدة منها على ثلاث دجاجات مع أطعمة أخرى ، ولما فرغ الصوفية من الطعام صلوا العشاء ثم شرعوا في الذكر والرقص والسماع والأمير يرقص معهم ، وجملة السمط التي مدها الأمير لهم أربعة ، والسماط الثاني يشتمل على أنواع الحلوى ، والثالث على أصناف الفاكهة ، والرابع على المكسرات من الفستق والبندق والكعك المحشو وأمثالها ، وقد رقص الفقراء ثلاث رقصات بين كل سماطين رقصة لا ندري أهي لله أم للهضم !

وعلى كل باحث عن غير دينه أن يتثبت فيما ينقله من الآثار الدينية وقد مها

الأستاذ الزيات في قوله في بحث الاسماء والكنى (صفحة ٧ ، سطر ١٨) ما نصه: (ولذلك جاء في الحديث « ولا تنابزوا بالالقاب[1] ») وهي في القرآن الكريم؟

* * * التنوخي

كمال أتاتورك

تأليف محمد محمد توفيق

كتاب يقع في (١٩٠) صفحة من القطع الوسط أخرجته إدارة الهلال ، أحد هدايا ثلاث لقراء مجلة الهلال ، مستهل بمقدمة جيدة للأستاذ « فكري أباظه » ثم بتصدير للمؤلف تعرض فيه لصفة كمال الجسمية وذكر مزاياه البارزة من سيرته . وكمال أتاتورك على رأي المؤلف في تصويره : سيد مذ كان في الجيش صبيا — المنطق عنده مطرقة يهوي بها على كل شيء — عملي بارد قبل أن يكون خياليا متحمسا — آمن الناس بزعامته قبل أن تتاح له الزعامة — اذا آمن بفساد شيء بتره بترا لم يعمد الى إصلاحه — متكبر كالشيطان ولكن كبرياءه قائم على اعتداد بالنفس — منطقه العسكري لا يجارى — اليأس يتخذ سبيله الى قلوب الناس أما هو فهيهات أن يقنط — صارم الى أقصى حدود الصرامة .

وتحت كل جملة من هذه الجمل الموجزة القصة الشاهدة لها .

وقد قسم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام جعل عنوان القسم الاول (سلطنة تنهار) وبحوثه تدور حول الحرب الكبرى وأيام الانحلال العثماني ، ويلمس فيه القارئ جملة من أسباب الاضمحلال والفناء اللذين سبقت اليها الدولة العثمانية . والقسم الثاني عنوانه (جهاد واستقلال) وفيه تتجلى الحركة الكمالية منذ نشأتها حتى ازالتها آخر خيط من شباك النفوذ الاجنبي وهو أقوى أقسام الكتاب وأفيده ، وخليق بكل أمة تحاول تخلصا من النير الاجنبي أن تتدبره بإمعان لتنسج على منواله . والقسم الثالث عنوانه (عهد

(١) سورة الحجرات في الآية رقم ١١

جديد) عرض فيه المؤلف التنظيمات الجديدة التي أحدثها العهد الكمالي في التعليم والاجتماع والعادات .

* * *

المؤلف تركي الأصل وهو معجب كل الإعجاب بمصطفى كمال وأعماله يتحمس كل التحمس للدفاع عنه ورد مايرمي به من نقد ، وقد أبعده إعجابه وتعصبه – في بعض المواضع – عن أن يكون المؤرخ المنصف الحيادي . تعوزه الحجة فيعمد الى العبارات الخطابية أحياناً بل قد يستدرجه هـذا الحب الى الاستنجاد بكلام هو أقرب الى المغالطة .

عرض ص (١٦) ما في سيرة مصطفى كمال الشخصية من قبح وفساد فبرر ذلك بقوله : « دنيا القرن العشرين ليست دنيا الاخلاق الفاضلة فحسب ، بل دنيا الاخلاق غير الفاضلة أيضاً » . ثم يقول : « ولو أن كمالاً كان فاضلاً و . . . . . لما استطاع أن يسوق شعبه في دنيا القرن العشرين » ! وهذا تعصب ذميم فلم نعهد ان أحداً من العلماء والمؤرخين حاول تبرير ضعف الخلق ، وكيف تغافل المؤلف عن الزعيمين هتلر وموسوليني وهما مضرب المثل في متانة الخلق الشخصي والحرص على كسر شوكة التهتك والرذيلة في شعبيهما ما وجد الى ذلك سبيلا . فهل سبقهما كمال بشعبه في مدارج التمدن حين قذف به في مهاوي الفساد وانحلال الخلق . والذي أظنه أنه ستمضي قرون طويلة دون أن يبلغ الشعب التركي بهذه الوسائل شوط الالمان أو الطليان في الرقي الحقيقي .

جاء في ص (٣٢) في صدر الكلام عن جمال باشا كلمة للغازي في جمال : « إن رجلاً يبحث عن القدوة ليتشبه بها مؤمناً بأن نجاة البلاد لاتتم الا بهذا التقليد ، هيهات أن يكون رجلاً في نظري » فهلاّ ذكر هذا حين اندفع في تيار التقليد اللاتيني الاعمى ودفع أمته اليه بالنار والحديد ؟ .

ولما بلغ المؤلف الى الكلام على تخلي كمال عن الدين علل هذا العمل ص ١١٣ بأنه يرمي الى اجتناب عداوة الغرب ، كأن التدين هو الذي يجلب عداوة الغرب وكأن نبذ الدين يستدعي صداقتـه !! ألا فليعلم أن الدين الصحيح ما كان يوماً أداة ضعف قط

وأن هذا من كمال هفوة وهفوةُ العظيم عظيمة أبداً . وإن الغرب اذا وجد تركيا ضعيفةً وأراد الاعتداء عليها فلن يعدم وسيلةً أو حيلة تبرر له اعتداءه أمام الرأي العام ، والا فقل لي ماذا نفعت الحبشة نصرانيتها ؟ وما هي قوة الحجج التي تذرعت بها إيطاليـا للفتك بهـا ؟

كل الذي نرجوه ألا تعدم تركيا بعد سنين ، في هؤلاء النشء الذين نُشئوا التنشئة الكمالية اللادينية : ابطالاً على غرار الغازي كمال وعصمة وكاظم وبكير وفوزي وغيرهم ممن أخرجهم العهد الديني عهد الخلافة والرجعية إن كان يعزي انتصار الترك في حروب الاستقلال إلى قوة معنوية ، فهـذه القوة هي قوة الدين والدفاع عن حرمته . الكلمتان اللتان لم تكن تخلو منها خطبة من خطب كمال وأتباعه في تحريض الجند التركي الباسل . دع مئات الألوف من الدنانير التي جاد بهـا العالم الاسلامي باسم الاسلام .

ولا بأس في أن أنقل هنا الحجة التي نقلها المؤلف في صدد الكلام عن استبدال الحروف اللاتينية بالعربية حيث يقول ص ١٦٣ « لماذا تتحمل القبيلة التركية كل هذا التعقيد من حروف ليست من تراث آبائهم الأولين في مراعي آسيا ؟ » ويقول ص ١٦٥ « فالكلمات العربية والفارسية المندسة في لغة الترك يجب أن تستبعد ، واللغة التركية يجب أن تعود الى عهد القبيلة .

وعجيب من الرجل الذي يفرّ من الرجعية واسمها ورائحتها ويهجر كلَّ نافعٍ إن كان يتصل منها بسبب ثم يعلّل (تلتين) الحروف ونبذ الكلمات العربية والفارسية بأنها لم تكن من تراث الآباء في مراعي آسيا . وما الرجعية الذميمة والله إلاّ الرجوع لعهد الآباء في مراعي آسيا . ثم أمر آخر هل كانت هذه الكلمات الفرنسية والإنجليزية و . . . وغيرها مما رحب الكماليون بدخول اللغة التركية من تراث الآباء في مراعي آسيا ؟ اللهم هذا فرار من المنطق وتناقض صارخ . ومتى جانب المؤرخ الجيدة في كتابته صرفه الغرض عن تسميته الأشياء بأسمائها .

الكتابُ قيمٌ والجهودُ المبذولةُ في تأليفه شاقةٌ والفكرةُ المسيطرةُ عليه ناضجةٌ والأسلوبُ جذاب ذو صبغةٍ خاصة ولا يسعني وقد فرغتُ من تلاوته إلاّ أن أقول :

إن كلمة الأستاذ أباظه في المؤلف : « أنه روح » صحيحة الى حدٍ بعيد فقد أصغينا ونحن نقرأ الى روحه لا الى لسانه ولا بد للمؤلف أن يكون صبيقاً لمن يترجم له حتى ينصفه ، وان كان صاحبنا قد جاوز هذا حتى وقف على عتبة التأليه لكمال .

وأنا أنصح لكل متعلم أن يطالع هذا الكتاب فهو من الكتب القليلة النافعة التي تتمخض عنها المطابع وعقل المطالع ومحا كتمه فله ملء الحرية أن يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء ... وليس ما قدمتُ من مآخذ على المؤلف بصارفي إياي عن الثناء على عمله ؟

سعيد الافغاني



تصويبات

إن الأستاذ سالم الكرنكوي — جزاه الله عن أدب العرب خيراً — قد نبهنا الى تصحيفات في بعض أعلام (المنتقى من أخبار الأصمعي) نشأت كما ذكرنا عن سوء الرواية في نسخة ابن عساكر المحفوظة في الخزانة الظاهرية التي نقلنا منها تلك الأعلام، وحينما اطّلع على (تكملة الجواليقي) التي نشرها المجمع في هذه السنة أيضاً عارضها بنسخة ديرنبورغ، وبعث لنا بما وقع بينهما من الاختلاف، ومنه ما يكون الصواب من نصيب نسختنا الظاهرية على ما نرى، وقد عجلنا في نشر ذلك في آخر هذا المجلد الرابع عشر لأنه موضعه.

وهناك بعض أغلاط في مقالة (أغلاط المستشرقين) لحضرة الأب أنستاس الكرملي وأخرى وقعت في مقالة «روح الطموح في المتنبي» للأستاذ أحمد رضا، وقد نشأ ذلك الغلط عن غموض الخط في المقالتين أو تكسر بعض الحروف والنقط؛ وهذا ونحن نشير بالأرقام الى صفحات رسالة المنتقى المنشورة في المجلة، وبالحروف الى صفحات مقدمة الرسالة المستقلة بنشرها بعد ذلك على حدة:

صفحة	سطر	حرف	خطأ	صواب
٨٤	٢٠	ب	مشرّد بن اللعين	مسرّد
«	٢١	«	علقمة	عِلْقة
«	«	«	أبو بابل	أبو نائل
«	«	«	نظام	خطام الريح
«	«	«	أبو الاحرز	أبو الأخزر

صفحة	سطر	حرف	خطأ	صواب
٨٥	١	ج	أبو الرجف	أبو الزحف
〃	٣	〃	أبو ترميس	أبو برميس
〃	٤	〃	المو ّار	المزّار
〃	٥	〃	عريف الكلبي	عُرَين الكلبي
〃	٨	〃	ابن عرادة تعليل	حنظلة بن عرادة وقد تكون تعليل تصحيفاً

وأما الاختلافات بين طبعتي المجمع وديرنبورغ من « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » فهي كما يأتي :

صفحة المجلة	صفحة المستقلة[1]	سطر	طبعة المجمع	طبعة ديرنبورغ
١٧٤	١٠	٧	زدْ بعد والجسم	لا في الابِاس
١٧٧	١٣	١٥	خِزْبع	خَزبع
١٧٨	١٤	٦	انبثر	أنْبَث
〃	〃	٧	أبو دؤاد	أبو دواد
〃	〃	٨	الفلاةُ	الفلاةِ
〃	〃	١٥	الليلَ	الابل
١٧٩	١٥	٩	السمحة	المتحبّبة
١٨٠	١٦	١	ضيعته	صنيعته
〃	〃	١٨	الجهيمي	المجيمي
١٨٨	٢٤	٥	المُذبوط	المِذْبوط
١٩١	٢٧	٤	الليث منه	الليث فيه
〃	〃	٧	زجّال	زجّان

(١) نريد بالمستقلة رسالة التكملة المطبوعة على حدة

صفحة المجلة	صفحة المستقلة	سطر	طبعة المجمع	طبعة ديرنبورغ
١٩٣	٢٨	٥	الحجاب	الجُبْحاب
«	«	١٢	كَبِلت	تَكَبلت
١٩٥	٣١	١٨	كَوّة	كَوّة
«	«	٢٢	الانابيب	الاثابب
١٩٨	٣٤	١٢	قرفشه	قرفسه
١٩٩	٣٥	٩	البوطة	البوطقة «كما في نسخة بارينس»

واليك تصحيح مقالة أغلاط المستشرقين :

صفحة	غلط	صواب
٢٣٦	(ب ي ب ك)	(ب ي ب ن)
«	alüs	aliis
«	andalusüs	andalusiis
٢٣٨	(ب الا و ن)	(ب اه و ن)
«	الفرغاني	الفرغاني
«	ossifraga	ossifraga,
٢٣٩	Pwpraïsti	Phomaisti
٢٤٠	Ossifragns	Ossifragus
«	europens	europeus
«	Térichot	Bérichot
٢٤١	وصنشمير	وصنثيمر
٢٤٢	عادته	اعادته
«	étais	était
«	faisai8	fais i

صفحة	غلط	صواب
٢٤٤	ميفي والمبفي	ميفي والميفى
«	أنه أكولا	أنه كان أكولا
٢٤٥	وتابعه	تابعة
«	محارثة	محارثه
٢٤٦	الاقاسيم	الاقاليم
«	الشمز	التمر
«	والدباقة	والدبقاء
«	ومضاة	ومعناه

والجدول التالي في تصحيح مقال «روح الطموح في المتنبي» المنشور في الجزء العاشر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٥٣	١٧	واذ كام	واز كام
٣٥٥	٢	مثل هذه الكبيرة	مثل هذه الدعوى الكبيرة
«	١٥	بام اواب	بأم ولا اب
٣٥٦	٧	بولده	من ولده
٣٥٨	٤	تصاح	تصرح
٣٥٩	٨	المتوهمين	التبوهين
٣٦١	١٦	انه	ابن
٣٦٣	٨	يفرغ	يفزع
٣٦٥	٣	وانما شهرة	وشهرة
«	٨	النعمة	النقمة
٣٦٦	٢٠	والمقيم	والمقيم
٣٦٨	٣	أدهم	أو هم
«	٤	وليس	أو ليس

الفهرس العام

« لما ورد في هذا المجلد من المواد والموضوعات »

مرتبٌ على حروف الهجاء

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف النون

حرف الواو

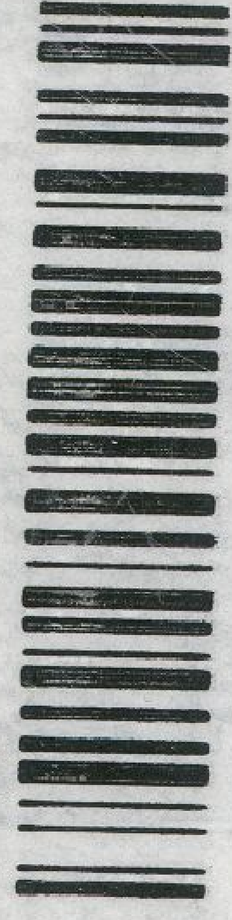


فهرس الأعلام

«أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا الجزء»

«مرتبة على حروف المعجم، والأرقام للصفحات»




Bibliotheca Alexandrina
0652772
